تاريخ المملكة العربية السعودية

في ماضيها وحاضرها

صلاح الدين المختار

الجزء الأول

دار مكتبة الحياة



صلاح الدين المختار
1
دار مكتبة الحياة

تاريخ
المملكة العربية السعودية



حضرة صاحب الجلالة المغفور له

عبد العزيز آل سعود المعظم

صلاح الدين المختار

تاريخ المملكة العربية السعودية

في

ماضيها وحاضرها

الجزء الأول

ويشتمل على تاريخ آل سعود من عهد جدهم الأعلى مانع المريدي
حتى عهد المغفور له الامام عبد الرحمن الفيصل آل سعود
وعلى سيرة جهادهم الوطني ونضالهم القومي لبعث الأمبراطورية العربية

منشورات دار مكتبة الحياة
بيروت - لبنان

«لو أُخرج العرب من التاريخ، لتأخرت أوربا بأول خطوة من مدنيتها بضعة قرون»

«ليبري».

إلى حضرة صاحب الجلالة عاهل الجزيرة العربية

سعود بن عبد العزيز آل سعود المعظم

هذه يا مولاي، صفحات ناصعات من تاريخ المملكة الفتية

ووصفاً منهجياً صادق الرواية لسيرة جهادكم الكريمة

وقد ضمت لمحات وضاءة من حياتها القديمة والحديثة

فإليك يا صاحب الجلالة أتشرف بإهداء هذا الكتاب

الجامع والجهد المتواضع لأنك من التاريخ مصادره وعنوانه

ومن المجد الخالد رمزه ولواؤه.

"المؤلف"

كلمات كريمة

« أمران لا نقبل فيهما الدنية من أحد ولا من دولة ، ولا من كبير أو صغير مهما كان ، هما ديننا واستقلالنا ، لأنهما أمانة في أعناقنا »

*

« ليس للمملكة العربية السعوذية من مقصد سوى رؤية البلاد العربية حزمة واحدة وبنياناً مرصوصاً ، وان المملكة العربية السعودية لتؤثر مصلحة العرب اجمعين على مصالحها الخاصة »

*

« ان ما أدعو المسلمين والعرب اليه وأدعو نفسي : هو العمل مع مجموع المسلمين والعرب ، والتعاون في كل ناحية من النواحي لتوحيد اهدافنا ، ولا هدف لنا الا سلامة انفسنا ومصافاة من يصافينا واتقاء شر من يريد الاعتداء علينا » .

« سعود بن عبد العزيز »

تمهيـــد

« بقلم المؤلف »

هبطتُ في آخر سنة ١٩٢٤ مدينة معان ومنها الى العقبة ، مستجيباً دعوة العروبة ، للعمـــل في الحقل العربي العــام ، والمساهمــة في ذلك الجهاد الضخم لترى الأمة العربية ، مولد امبراطورية عربية جديـدة ، تشمل دنيــا العرب ، في حدودها المترامية ، فترقى هـــذه الأمة الى المستوى الذي كانت عليه إبان الدولة العربية الكبرى . فدخلتُ الجيش الهاشمي برتبة « ملازم » وكانت معان والعقبـة من أعمال الحجــاز ، ورحت أجدّ بلا جدوى ... وأعمل بلا إنتاج ... ذلك لأن الاستعمار البريطاني كان قد أحكم طوقه في رقاب فريق من قــادة العرب ... وراحت هذه الحقائق تتفتح أمام عينيّ تباعاً ، فأيقنت ان الذين يعملون بقيادة الأمة العربية بين مكة ومعان ودمشق وبغداد لن يفلحوا أبداً ، لأن هذا الاستعمار كان قد بسط ظله ونشر جناحيه ، فعلا على أديم قسم كبير من دنيــا العرب ، ورَاح دهاقنتــه يعملون جاهدين في غرس بذور الشقاق والتفرقة بين صفوف اولئك القادة العرب ، فيتزاحمون على

الوصول الى المقاعد الوثيرة للتمتع بالحكم والسلطان مهما كانت الدواعي والأسباب والغايات والاهداف . وكانت النتيجة وبالاً على الأمة العربية إذ تقاسم المستعمرون الانكليز والافرنسيون القسم المهم من ديار العرب عملاً بمعاهدة « سايكس – بيكو » واستباحوا حرمات فلسطين العربية المقدسة فجعلوها وطناً قومياً لحفنة من اليهود اعداء الانسانية ، وراح دهاقنة الاستعمار البريطاني يمهدون لفرض استعمارهم على جزيرة العرب من حد الى حد بحيث ترث الامبراطورية البريطانية الظافرة المنتصرة .. مخلفات الامبراطورية العثمانية ، بعد انضمامها الى الدول الوسطى في الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤ – ١٩١٨ » وخروجها منها منهزمة منكسرة !!!

على هذا الأساس كانت المفاوضات بين ممثل بريطانيا في القاهرة السير هنري مكماهون وبين المغفور له الشريف الحسين بن علي في مكة دون أن يدري جلالته – رحمه الله – حقيقة تلك النوايا السيئة التي تعتمر ضمير قادة الحكم البريطاني ، وأسفرت المفاوضات عن تلك النتائج التي أرادها الاستعمار البريطاني – الفرنسي مما يعرفه الخاص والعام .

* * *

وبينما كانت الأمور تسير على هذا النمط بين مكة ولندن وباريس كان في الرياض أمير عربي اصيل كريم يعمل جاهداً لإعادة بناء الدولة العربية الكبرى من أجزائها المبعثرة ، بعد أن تمكن من استرجاع ملك آبائه وأجداده السليب في ديار نجد ، ذلك هو الفقيد العظيم الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود تغمده الله برحمته .

وكان الانكليز يعدون العدة – شأنهم في كل أمر – لكبح جماح هذا الامير العربي السعودي ووضع حد لطموحه في السيادة والحرية والاستقلال واعادة إنشاء الامبراطورية العربية ، فأوفدوا اليه ممثلهم في خليج العرب

السر برسي كوكس للمفاوضة في « أمر مهم » يرتكـز في أساسـه علـى حياد الديار النجدية ... وذهب المغفور له عبد العزيز الفيصل آل سعود الى « القطيف » حيـث اجتمـع الى السر كوكس في جـزيرة « دارين » وأسفرت المفاوضات بعد ذلك عن معاهدة « العقير » التي تعهد فيهـا المرحوم عبد العزيز بأن لا يلحق بالدول المتحالفة منه أى ضرر وأن لا ينضم الى أي حلف ضدهم كما سيأتي ايضاحه !!

وأراد السر برسي كوكس أن يسبر أغوار المرحوم عبد العزيز آل سعود في موضوع الخلافة الاسلامية وسأله رأيه فيها فأجاب (رحمـه الله) بكل سهولة وصراحة : « أنا لا أريدها لنفسي وأرى أن الشريف حسين ابن علي أجدر بها مني » !!

والواقع الذي لا جدل فيه هو : ان المرحوم عبد العزيز آل سعود كان قد أدرك لأول وهلة : ان استغلال الصراع بين بريطانيا وعدد من الدول الغربية الكبرى على منـاطق النفوذ الاستعماري في تقسيم تركـة « الرجل المريض » تركيا هو في صالح الأمـة العربيـة ، كما أدرك : ان الضرورة تقضي عليه بأن ينظر الى القضية بشكل عام ، بعين تختلف عن عين المرحوم الشريف حسين بن علـي . فقد كان يعتقـد تمـام الاعتقاد : بأن الخطة التي رسمهـا المرحوم الملك حسين بن علـي وأخـذ أنجاله الأمراء – لا سيما المرحوم الامير « الملك » عبد الله – ينفذونهـا بأساليب وتوجيهات عافهـا احرار العرب ، لن تصل بهـم وبالأمـة العربية الى الحياة الحرة الكريمة ، فلذا عمد المرحوم الملك عبـد العزيز آل سعود الى بذل الجهـد لتحقيق أهدافـه الوطنية واهـداف العرب القومية ، وذلك في تأسيس دولة عربيـة قوية موحـدة تقـوم على مصادرها وامكاناتها فحسب وتجنّب رحمه الله – الانخراط في صفوف الداعين لمشاريع المرحوم الملك حسـين بن علي ، باعتبارها مشاريع لن تكون في صالح العرب وما ارادوه من ثورتهم البكر على الدولة العثمانية

بقيادة المرحوم الملك حسين بن علي .

على هذا الاساس الظاهر الجلي خاض المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود معركة الحرية والاستقلال في مهاجمة الحجاز ، بعد أن كان المغفور له الملك حسين بن علي قد شعر تماماً بغدر الدول المتحالفة وفي مقدمتها بريطانيا لاقتصارها في اعترافها به على أنه ملك على الحجاز فقط ، وتنازل عن عرشه الى ولده الاكبر المرحوم الملك علي ، ثم « خطفه » الانكليز وقادوه على المدرعة البريطانية « دلهي » الى قبرص حيث بقي فيها الى أن شعر الانكليز بأن المنية قد اقتربت منه ، فأحضروه الى عمان وقضى – عطر الله ثراه – نحبه فيها ودفن في المسجد الاقصى بالقدس ، تغمده الله بواسع رحمته !!

* * *

لقد دعيت ، وأنا في معان ، للسفر الى جدة فأساهم في العمليات العسكرية بقيادة وزير الحربية الهاشمية عامذاك المرحوم الفريق تحسين باشا الفقير لصد القوات السعودية الزاحفة نحو جدة ، وكان قائدنا العام ووالي معان المرحوم امير اللواء غالب باشا الشعلان قد قرر البقاء في معان وترك الأمور تجري في أعنتها ... بينما قرر قائدي امير اللواء عارف باشا الحسن قائد حرس الخط الحجازي العام الرحيل الى جدة ، وباشر بشحن السلاح المدخر في حامية معان ، (قصر بناه المرحوم عودة ابو تايه) الى جدة عن طريق العقبة بواسطة الباخرة الهاشمية « رضوى » وأختها الباخرة « الرقمتين » وكان نسّب الى وزارة الحربية الهاشمية ترفيعي الى رتبة « ملازم أول » فكان ذلك قبيل احتلال جدة بعدة أيام فقط ، بيد أني اعتذرت عن الالتحاق بجدة بقوة وعناد . وفي هذه الأثناء وصلت القوات الأردنية الى معان حيث أعلن رسمياً أنها مع العقبة قد التحقتا بالأردن وأصبحتا في نطاق الانتداب البريطاني المفروض

على فلسطين والأردن في ذلك الحين ، وكان رئيس الوزارة الأردنية عامئذ المرحوم رضا باشا الركابي ، قد وصل ايضاً الى معان لتنظيم الادارة فيها ، وعهد بقيادة المنطقة الى المرحوم القائد « المقدم » خلف التل ، وأشرف القائمقام « العقيد » يومئذ والفريق المتقاعد اليوم عبد القادر باشا الجندي على تنظيم وتوزيع القوات العسكرية في مختلف ارجاء المنطقة حيث اصبحت كاتباً لقيادة المنطقة ، وفي ٢١ تموز ١٩٢٥ التحقت بالجيش الأردني في عمان حيث عينت « امين سرية » للسرية الخامسة للفرسان ، ولم يطل الزمن على حركة المرحوم الملك عبد العزيز آل سعود حتى تمكن من احتلال جميع الديار الحجازية ودانت له الأمة بالطاعة والولاء !!

منذ ذلك الحين رافقت الحركة السعودية في سياستها الاستقلالية وتجديد دعوتها للتوحيد ، وفي السادس عشر من شهر نيسان ١٩٣٠ استقلت من الجيش الأردني اذ أصبحت البلاد خاضعة لنير استعماري بريطاني ثقيل ... وكنت قطعت في مرافقة هذه الحركة المباركة سحابة ثلاثين عاماً طوالا ، فوعيت منها قدراً كبيراً ، ولممت بمتونها وحواشيها وبعواملها واسبابها ، وعنيت ، خاصة ، بتسقط أنباء البيت السعودي العربي الكريم ووقفت على تاريخه منذ فجره ، وهذا ما دفعني الى وضع تاريخ « المملكة العربية السعودية — في ماضيها وحاضرها » مستعرضاً الماضي بجل وقائعه والنهضة الحديثة المباركة بأهم ادوارها فتبرز في ثوبها الحقيقي القشيب ، حيث يتضح الاثر البليغ والفضل العظيم الذي كان لجلالة الراحل الكبير المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود وخليفته جلالة الملك سعود المعظم من بعده ، في انشاء هذه المملكة العربية الفتية ، وقد أصبحت محط الآمال ومعقد الرجاء — آمال ورجاء العرب في حاضرهم ومستقبلهم .

* * *

يقول المرحوم فيلسوف العرب في كتابه « نجد الحديث وملحقاته » ما يلي : « كنا في الرياض نسمر ورجال التاريخ من آل سعود ، المعاصرين منهم والأقدمين . وكان الفضل في السمر التاريخي للسلطان عبد العزيز الذي أرسل الي كتابين طبعا في الهند لاثنين من أدباء نجد ومؤرخيه ، الأول « روضة الأفكار » لحسين بن غنام الحنبلي ، والثاني « عنوان المجد في تاريخ نجد » لعثمان بن عبد الله بن بشر الى أن يقول :

« ولكني وأنا أطالع الكتابين أسفت لاسلوب مؤلفيهما القديم ، ذاك الاسلوب المكلف المسجع الذي لا يحبب مطالعة التاريخ الى قراء هذا الزمان ، وودت لو ان أحد المنشئين العصريين يلخص ابن بشر أو يعيد كتابة تاريخ نجد منذ قرن ونصف قرن ليطلع العامة والخاصة على ما جرى في وادي حنيفة من الأمور الدينية والسياسية التي كان لها التأثير الاكبر في العرب بعد البعثة النبوية » .

والواقع الذي لا جدل فيه هو : ان علماء نجد وأهلها لم يكن لهم ، في الماضي ، رغبة في تدوين سيرة بلادهم وعناية بتاريخ اوطانهم ، الا ما قل وندر ... كتبه بعض العلماء من المعاصرين ، وكان في مقدمة هؤلاء ابن غنام وابن بشر ، فلذا لم اترك مؤلفاً او كتاباً او تاريخاً او مصدراً جمع بين دفتيه شيئاً ، ولو يسيراً ، من اخبار نجد والحجاز وسيرة آل سعود ، الا ودرسته وفحصته ، وميزت بين صحة وقائعه وعدمها وبين غثها وثمنها ، ثم استندت في عملي الى زيارتين قمت بهما للمملكة العربية السعودية الفتية ، كنت خلالهما موضع عناية عاهل الجزيرة سعود بن عبد العزيز المعظم ، فجبت البلاد واجتمعت الى العباد ، ودونت ما يسره الله لي من معلومات اتت وافية كافية لإخراج هذا التاريخ الى الوجود .

وكم كنت أتمني لو أطال الله بعمر فيلسوف الفريكة المرحوم امين

الريحاني ليرى كيف تحملت عنـاء تلخيص تاريـخ ابن بشر ، وكـيف اعدت طبـع تاريخ نجد لابن غنام خالياً من « الاساوب المكلف المسجع » فأتى هذا كله ، في هذا التاريخ ، على هذه الصورة شاملا لأهم وادق الوقائع مع ضبط التوازن في سلســـلة الحوادث وتاريخ وقوعها فأرجو أن اكون قد وفيت بالغرض المرجو من هـــذا المؤلف فسجلت اعظم انقلاب حصل في تاريخ جزيرة العرب منذ اربعـة عشر قرناً على ايدي آل سعود الأكرمين مستعيناً بالله الواحد القوي القدير .

صـلاح الدين المختار

المَمْلَكَة العَربيَّة السُّعُودِيَّة
في حُدودِها وجغرافِيَتُها الحاضِرة

تشغل المملكة العربية السعودية اكثر شبه جزيرة العرب التي تقع في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا ، وموقعها عظيم الأهمية لأنها تجاور قارات ثلاث ، فهي في طرف آسيا الغربي وملاصقة لقارة افريقيا وقريبة جداً من اوربا .

ولا مشاحة في : ان هذا الموقع الممتاز جعل للمملكة العربية السعودية – وهي اكبر أجزاء شبه جزيرة العرب – اهمية كبيرة منذ اقدم العصور ، وقد قامت بها حضارات منذ فجر التاريخ ، وكانت مركز الاتصال بين الشرق والغرب حيث تقوم العلاقات الاقتصادية على أساس وطيد من تبادل حاصلات الاقليم الموسمي في شرقها مع حاصلات اقليم البحر الابيض المتوسط وغربي اوربا في غربها .

ولذلك كانت اراضي شبه جزيرة العرب طريقاً سلكتها القوافل تحمل مختلف السلع والعروض منذ اقدم العصور ، وقامت التجارة بين الشرق والغرب عبر ذلك التاريخ بواسطة سكانه ، وهذا مما اكسبهم

ميزات كثيرة فجعلهم تجاراً بطبيعتهم كما جعلهم يحبون التنقل والتجوال ، وقد كان لهذه الميزات اثره البالغ في استكشاف مجاهل افريقيا التي كان التجار العرب يجولون خلال أراضيها ، وليس هذا فحسب ، بل يمكن أيضاً ان يرجع انتشار الدين الاسلامي في وسط آسيا والصين الى تنقلات هؤلاء التجار العرب في هذه الاصقاع ، كما وجدت نقود عربية في وسط روسيا . وهذا كله لما يدل على انتشار التجار العرب في هذه الجهات .

والمملكة العربية السعودية تطل على خليج العرب « الفارسي » الذي سهل لها الاتصال باواسط آسيا عن طريق الهند وايران ، وتطل كذلك على البحر الاحمر الذي يعتبر القلب النابض في المواصلات الدولية ، وهذا يفسر بوضوح ، تلك الاهمية البالغة الخاصة بالمملكة العربية السعودية ، بين دول الجامعة العربية والعالمين الاسلامي والعربي ، ويبشر بالخير الوفير يغمر هذه المملكة الفتية بعد ان تستغل مرافقها اطلاقاً ، استغلالاً حكيماً في ظل جلالة عاهلها العظيم سعود بن عبد العزيز آل سعود .

حدود المملكة :

إن البلاد العربية السعودية تمتد شمالا الى ما فوق خط عرض الاسكندرية وتدنو تقريباً من خط عرض القدس . ويحدها غرباً : البحر الاحمر وخليج العقبة . وشرقاً : العراق والكويت وخليج العرب . وشمالا : سوريا والمملكة الاردنية الهاشمية ، وجنوباً : اليمن وحضرموت .

ويبلغ طول مساحة المملكة من العقبة الى « ميدي » ٣٥٠ ميلا ،

كما ان خط الحدود من العقبة الى رأس مشعاب يبلغ طوله ٧٥٠ كيلو متراً . ومن ميدي الى البحر الاحمر الى سلوى عن خليج العرب « الفارسي » يبلغ طول الخط ٨٠٠ ميل وبذلك تكون مساحتها ٤٥٠ الف ميل مربع .

أقاليم المملكة :

وتنقسم المملكة العربية السعودية الى ثلاثة اقاليم رئيسية : نجد والحجاز وعسير .

١ ـ إقليم نجد :

يقع اقليم نجد باعتبار وضعه الجغرافي في وسط جزيرة العرب ، وينقسم الى اربع مناطق : شمالية وجنوبية وشرقية ومتوسطة .

المنطقة الشمالية

هي المعروفة باسم « الجبل » والشهيرة باسمها الحقيقي « حائل » وملحقاتها . تحيط بها من ثلاث جهات جبال وسهول رملية تسمى « النفود » وعاصمتها « حائل » المدينة الجميلة . وتقع بين جبلي « السمرا » و « اجا » المعروف بجبل « السموأل » ذي الشهرة التاريخية وكان مقراً لحاتم الطائي ، وهو اليوم مأهول بالسكان والقرى المحاطة بالحدائق الغناء ذات المياه الغزيرة . أراضيه خصبة وفيه شلالات يستفاد منها عند

اللزوم ، وترابه يحوي الذهب والنحاس .

وهواء هذه المنطقة معتدل واراضيها خصبة وتربتها غنية وماؤها عذب غزير ، وفيها غابات من النخيل وحدائق وبساتين وحقول تنبت الخضر والحبوب على انواعها ، ويتصف سكانها بالشجاعة والحماسة ويشتغلون بالتجارة والزراعة .

المنطقة الجنوبية :

هي المنطقة التي يطلق عليها « الرياض » وتتألف من المدينتين الكبيرتين العارض « العاصمة الرياض » والدرعية وملحقاتهما . وهواء هذه المنطقة حار نسبياً واراضيها كانت قاحلة ماحلة ، كما كانت اكثر مياهها مالحة ، أما الآن فقد اتسمت ارجاؤها وطاب هواؤها وكثرت مياهها ، بفضل النهضة العمرانية الحديثة العارمة بالجد والنشاط . ويوجد في اطراف العاصمة غابات من النخيل وبعض القرى الجميلة تتقدمها ضاحية « بديعة » حيث اقام بعض الامراء من البيت المالك قصورهم في ارجائها . ويحترف سكان هذه المنطقة التجارة وهم مطيعون شديدو التمسك باهداب الدين الحنيف ، وكلما ازداد اميرهم تديناً ازدادوا طاعة له وحباً واخلاصاً .

المنطقة الشرقية :

هي منطقة الأحساء ، وقاعدتها « القطيف » وتتمتع هذه .. بأعظم امكانيات الري ، فهنالك ينابيع عظيمة تتدفق بالماء العذب الزلال بكميات هائلة ، في واحات الاحساء والقطيف وصفا وتاروت ، واكبر

نبع جار في الهفوف هو « نبع عين حقل » ويعطي ٢٢ الفاً و ٥٠٠ جالون في الدقيقة الواحدة ولا يزال جارياً متدفقاً .

لقد كانت هذه المنطقة في العهد العثماني لواء إدارياً مستقلا ، وكانت قبلاً خاضعة لحكم آل سعود ، لا سيا في عهد المرحوم الامير فيصل ابن سعود ، ثم استرجعها المرحوم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، سنة ١٣٢٩ هجرية .

والقطيف مدينة زراعية تجارية ومشهورة بكثرة وجودة تمرها ومنسوجاتها الوطنية « الكوفية والعباءة » ومن اهم مدن هذه المنطقة الآن « الهفوف » وكانت حاضرة حاكم المقاطعة ومقر حكمه ، وموطن اسرتين من كبار التجار الأثرياء : القصيبي والعجاجي . والدمام ، وهي الآن حاضرة امير المقاطعة ومقر حكمه . والخُبر والظهران حيث توجد آبار النفط .

المنطقة المتوسطة :

لقد اشتهرت هذه المنطقة باسم « القصيم » وهي بمثابة القلب من نجد وتتألف من عدة مدن كبيرة منها : عنيزة وبريدة والرس والخبرة والبكيرية وشقرا وما يتبعها من مدن وقرى ودساكر ، ولها ميزات خاصة من الوجهة الحربية والادارية والاقتصادية .

هواؤها معتدل ، وارضها خصبة وتربتها غنية جداً ومياهها غزيرة عذبة ، ومحصولاتها كثيرة تفيض عن حاجة السكان فيصدرون منها الى مقاطعات وملحقات نجد ، والتجارة والزراعة فيها بتقدم مستمر وسكانها متصفون بالحزم والعزم والصبر والاناة ، ويحترف اكثرهم التجارة والباقون الزراعة والصناعة ، وفيهم طبقة ثرية . ولا تقتصر

تجارتهم على مناطق نجد بل يتجاوزونهـــا الى العراق وسوريا ومصر . واهـل القصيم اجمـالاً أهـــل جد وعمــل فلذا نراهم يكثرون من السفر إلى خارج بـلادهم سعياً وراء التجارة والكسب الحلال .

٢ - إقليم الحجاز :

يتألف هذا الاقليم من مكة المكرمة والمدينة المنورة والطائف وجدة وما اليها من مدن وقرى ممتدة على شاحل البحر الاحمر وبين هذه المدن الكبرى . وطول الاقليم حوالي ٧٠٠ ميل يمتد على طول السهل الساحلي أعلى البحر الاحمر الى ان يصل الى خليج العقبة ويتراوح عرضه بـين عشرة واربعين ميلاً . ولإقليم الحجاز قداسته المعروفة في مدينتيه مكةالمكرمة والمدينة المنورة . وقد اصبحت مدينة جدة من ارقى المدن اتساعاً وعمراناً وتجارة واقتصاداً .

٣ - إقليم عسير

يقع هــــذا الاقليم في جنوبي الحجاز ويمتد جنوباً الى ان يصل مملكة اليمن ، ويشمل سهول « تهامة » المحاذية للبحر الاحمر بطـــول ٢٠٠ ميل وعرض ٤٥ ميلاً ، وهي مأهولة بالسكان وزراعتها كثيفةتغمرها السيول ، وعاصمة الاقليم مدينة « ابهـا » ذات الموقع الجميـــل الجذاب وسكانها حوالي ١٥ الف نسمة ، وترتفـــع عن سطح البحر حوالي سبعة آلاف قـــدم . ومن ابرز مدنها « جيزان » الواقعة على قمـــة خليـج تعصف به دوافـــع وعوامل المد والجـــزر بحيث يتحول ، في بعـض

الظروف ، الى جزيرة . وهناك « القنفده » الميناء المهم لهذا الاقليم ، كما ان هناك مدينة « نجران » حيث يستقر حــاكم وادي نجران . وفي هــذا الاقليم بساتــين نضيرة بمساحــات واسعــة تقــع محاذية للجبــال وتمتــد منحدرة الى الاودية حتى تصل الى نجران والربع الخالي .

البَيْت السّعُودِي المَالِك
في مَدارِج النَّسَبِ الصَّحِيح

إن جلالة عاهل الجزيرة العربية سعود هو ابن :

جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن المسيب بن المقعد بن بدران ابن مالك بن سالم بن مالك بن غسان بن ربيعة بن منقذ بن الحارث بن سعد بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

فيلتقي نسب البيت السعودي بنسب النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » في جده ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وعدنان هو : ابن أد بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سلات بن نابت بن حمل بن قيدار بن نبي الله اسماعيل بن نبي الله ابراهيم « عليهما السلام » بن تارح بن ناحور بن سروج بن رعو بن فالج ابن عابر بن شالح بن ارفكشاد بن سام بن نبي الله نوح عليه السلام .

الفصل الأول

الجَزيرَة ٱلعَربيَّة قبْلَ الإِسْلَامِ وَبَعدَه

قضت الفطرة البشرية أن تكون حياة الانسان مقرونة بغايات وآمال متعددة ، وهي وان كانت متفارقة متباينة فانها متناسبة مع قابليته واستعداده ، وترتكز في جوهرها على السعادة في الدنيا ، ومن هنا نشأ التنازع على البقاء ، وكان لا بد للانسان من قائد يقوده نحو اهدافه ومدبر يضمن له الوصول إلى غاياته ، فبعث الله الانبياء والرسل لقيادة البشر نحو الخير والسلامة ، مزودين بالشرائع والسنن ، فكان للدين تأثير عظيم على الانسان ، وقبول شرائعه وتعاليمه اوصل الفرد والجماعة الى السعادة والهناء .

ولقد كانت الديار النجدية ، قبل مبعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) مقراً للجهل والضلال ، وموطناً للجور والظلم ، ومسرحاً للحروب والقتال والنهب والسلب !!

ومن الثابت الواضح أن سكان جزيرة العرب فُطروا على الشجاعة والكرم والذكاء ، نفوسهم أبية لا تلينها القوة ، وشهامتهم قوية لا

تزيلها الرهبة . ويسطو على قلوبهم ويسيطر على انفسهم حب الزعامة والقيادة ، ويصبوهم الطموح الى الرئاسة والسيادة اندفاعاً وراء التنازع على البقاء في هالة العزة والكرامة ، فلذا كان كل زعيم او رئيس او شيخ في الديار النجدية ، يزعم أن جميع هذه الخصال والصفات متوفرة فيه ميسورة اليه اكثر من سواه ، ويغتنم الفرص لإعلاء شأنه وبسط سلطانه على غيره ، فلذا كانت الحروب لا يخمد اوارها ، والغارات لا يطفأ لهيبها ، والغزوات لا ينتهي أجلها ، وبدلاً من وجود الوحدة والتضامن في الجزيرة العربية ، بعامل وتأثير وحدة العنصر والدم واللغة والتقاليد والعادات كنت ترى النفرة والشقاق والبغضاء مستحكمة فيما بينهم .

وقد دامت هذه الحال في جزيرة العرب حتى بعث الله النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما اسلفنا ، فنشر الامن والسلامة والحب والعدل في ارجاء الجزيرة ، بما للدين من سطوة قاهرة ، واستأصل ما في هذه الديار المترامية الاطراف من شرك وكفر ووثنية والحاد ، وجمع الدين الحنيف بين الغايات والمنافع والافكار ، وقامت على هذه الاسس المتينة حكومات اسلامية ورث بعضها بعضاً ، ولكن عندما فسدت النيات ، وساءت الغايات ، وتدخل الاعاجم بأمور العرب وادارة الحكم فيهم ، عادت الفوضى الى جزيرة العرب ، واستحكمت شريعة الغاب والقتل والسلب ، بحكم الرغبة في الحكم والجاه والسلطان والرئاسة ، في نفوس زعماء القبائل والعشائر ، الى أن تمكن آل سعود من السيطرة على البلاد لما قاموا به من جليل الاعمال والخلق والإعمار والانشاء ، وكانوا ، وما زالوا حماة الدين الحنيف من كل نحلة وبدعة ، كما كانوا ، وما زالوا ، أكثر جميع الاسر التي حكمت الجزيرة ، منذ زوال الملكية من ايدي العرب ، تفانياً في أحقاق الحق وازهاق الباطل واعلاء كلمة الله في السر والجهر .

مؤسس الدولة السعودية الأولى :

لقد ثبت في مدارج أنساب العرب الصحيحة : أن البيت السعودي المالك في المملكه العربية السعودية قد انحدر من صلب ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان .

وينتمي ال سعود الى عشيرة عنزة من ضبيعة احد اولاد نزار ، ومن أسد شقيق ضبيعة انحدر بنو عبد القيس بن افصى بن دعمى بن جديلة وهم اهل هجر والبحرين .

وكانت منازل ال ربيعة بن نزار – ومنهم بنو وائل – في « حجر » من وادي اليامة و « غبير » قرب الدرعية و « القرنية » وما حولها بالقرب من بلدة « حريملا » كما قطن آل ربيعة هجر والقطيف وحجر اليامة وما جاور هذه الديار .

وكان الامير مانع بن المسيب ولقبه « المريدي » جد آل مقرن بن مرخان – راجع نسب البيت السعودي – يقطن بلدة « الدروع » من اعمال القطيف ، ويربطه بابن ذرع رئيس حجر اليامة صلة نسب ، فجمعت هذه الصلة بينهما وتراسلا حقبة من الزمن ، واسفرت هذه المراسلة عن دعوة الامير مانع من القطيف ، واقطعه من املاكه ارض « المليبيد » و « غصيبة » قرب الدرعية . فاستقر فيها مع صحبه وآله ، في سنة ٨٥٠ هجرية . ولما توفي الامير مانع تولى بعده ابنه ربيعة زمام الادارة وكان حسن السيرة ، جسوراً مقداماً ، وحصل على شهرة بالغة في تلك الاصقاع وكثر انصاره في كل مكان .

وكان آل يزيد وآل دغيثر يملكون الاراضي والدساكر الكائنة على حدود « المليبيد » و « غصيبة » فهاجم ربيعة منازل آل يزيد وسلبها . وفي هذه الفترة من الزمن الضئيل كان الامير موسى بن ربيعة قد اشتد ساعده ، وحصل على شهرة اوسع من شهرة ابيه ربيعة وتزعم عشيرته

في حياته ، ثم احتال على أبيه واراد قتله ، ولكنه لم يصب منه مقتلاً ، بل أصابه بجراح عديدة ، وهنا خشي موسى مغبة الامر ، فالتجأ إلى حسن حمد بن حسن بن طوق في « العيينة » وآواه وأكرمه ، وبعد راحـــة قصيرة جمع موسى عـــدداً من انصاره ومريديه وهاجم بهم آل يزيد في « النعمية » و « الوصيل » وقتل منهم اكثر من ثمانين رجـــلا واستولى على منـــازلهم ودمرها ، ومن آل يزيـــد اليوم آل دغيثر المعروفين !!!

لقد استمر الامير موسى بن ربيعـة في الولاية الى أن توفاه الله ، فتولى زمام الولاية بعده ولده ابراهيم ، فأنجب هذا عدة اولاد احدهم « مرخان » وتعاقب اولاده بعده على استلام الولاية ، وكان اكبرهم وأشدهم مراساً وعدلاً الامير مقرن ، وهو جـد آل سعود الاكبر كما سيأتي ذكره .

وكان الامير مرخان رحل مع عشيرته — وهي بطن من عنزة أهم العشائر العربية واكثرها عدداً واعظمها ثراء وارهبها بطشاً — إلى جهات المدينة المنورة ، فقطن بين خيبر وتيماء ومداين صالح والعلا ، وانجب اربعة اولاد الاول محمد ، والثاني مقرن ، والثالث زيد ، والرابع ربيعة . فرحلوا إلى نجد ، بحسب تقاليد وعادات العشائر الكبيرة ، وطلبـــاً للمرعى ، وبعد اقامتهم فيها مدة من الزمن ، اختاروا عيشة الحضارة ، على عيشة البداوة ، فسكنوا في قرية « عرقة » وهي على بعـد ساعة عن الدرعية ولم يكن في الديار النجـدية من يضـارع الاخوين « محمد ومقرن » فهماً وذكاء ورجولة وكرماً وتمسكاً بأهداب الدين وحبـاً لأهـله ، فتمكنا بذلك من التسلط على قلوب السكان الذين أجمعوا على محبتهما واعلاء شأنهما وولوا اكبرهما سناً الامير محمد زمام الحكم فيهم . غير أن المنية عاجلته ، فانتهى الحكم بعده الى أخيه مقرن ، واختار « الدرعية » عاصمة له وذلك في سنة ١١٠٠ هجرية (١٦٨٢ ميلادية)

ويعتبر الأمير مقرن ، والحالة هذه ، الجد الأكبر لأسرة سعود المالكة ومؤسس لدولة السعودية الأولى كما اسلفنا .

وقد وقعت فتنة بين افراد هذه البيت الكريم وهو في فجر تأسيسه . ذلك أن خلافاً كان وقع بين الامير مقرن بن محمد بن مقرن بن مرخان وبين الأمير زيد بن مرخان ولما تصالحا طلب مقرن من زيد أن يزوره لاستئناف الثقة به ، ولكن زيداً خشي من مقرن أن يبطش به ورفض المجيء الا بكفالة الامير محمد بن سعود والامير مقرن بن عبد الله بن مقرن ، فكفلاه على ذلك وأتاه الامير زيد بصحبة جماعة وهمّ مقرن بقتله فوثب محمد بن سعود ومقرن بن عبد الله على مقرن بن محمد فهرب من فرجة الى بيت الخلاء وادركوه فيه وقتلوه واعادوا الامير زيد إلى مكانه ، وكان ذلك في سنة ١١٣٩ هـ .

وكان الامير زيد بن مرخان وجماعته ارادوا نهب اموال بلدة العيينة ، ولما وصلوا « عقربا » ارسل محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر الشهير بلقب « خرفاش » وصاحب العيينة ، الى الامير زيد يرجوه عدم الاغارة على البلدة فيعطيه ما يرضيه ، وطلب اليه الحضور لطرفه للمحادثة في الموضوع ، فسار الامير زيد باربعين فارساً من رجاله ومعهم الامير محمد بن سعود اليه وأدخلهم قصره ثم أدخل عليهم فرقة من رجاله بالسلاح وفتكوا بالامير زيد إذ كان أشار خرفاش اليهم باطلاق النار على زيد عندما يجلس على الفراش وهكذا كان ووقع الامير زيد قتيلاً . اما الاميرَ محمد بن سعود قد تحصّن بمن معه في موضع ولم يخرجوا منه إلا بامان من الجوهرة بنت عبد الله بن معمر ، ثم رجع وجماعته إلى الدرعية واستقل بادارتها كلها ومعها « غصيبة » وكان الامير موسى بن ربيعة حاضراً هذه الحادثة في منزل خرفاش ، فاصيب برصاصة توفي على أثرها ، وبقي الحكم في البلاد إلى الامير

مقرن بن مرخان وأنجاله وأحفاده من بعده الى أن اصبح الامير محمد ابن سعود بن محمد بن مقرن اميراً على الدرعية كما اسلفنا وكما سيأتي تفصيله وايضاحه .



الفصل الثاني

جهاد آل سعُود المتعَاقِب
والشَّيخ مَحمَّد بن عَبد آلوهاب

١ – لقد انجب الامير مقرن بن مرخان أربعة أولاد هم : محمد ومرخان وعياف وعبد الله .

٢ – توفي الامير محمد بن مقرن سنة ١١٠٦ هجرية وكان انجب ولدين هما : سعود ومقرن .

٣ – انجب الامير سعود بن محمد عدة أولاد منهم : محمد ومشاري وثنيان ، وكان هذا كفيف البصر .

٤ – أنجب الامير محمد بن سعود أربعة اولاد هم : عبد الله وعبد العزيز وفيصل وسعود .

٥ – أنجب الامير عبد الله بن محمد ثلاثة أولاد هم : تركي وسعود وزيد .

٦ – انجب الامير تركي بن عبد الله أربعة أولاد هم : فيصل وعبدالله

وجلوي وفهد .

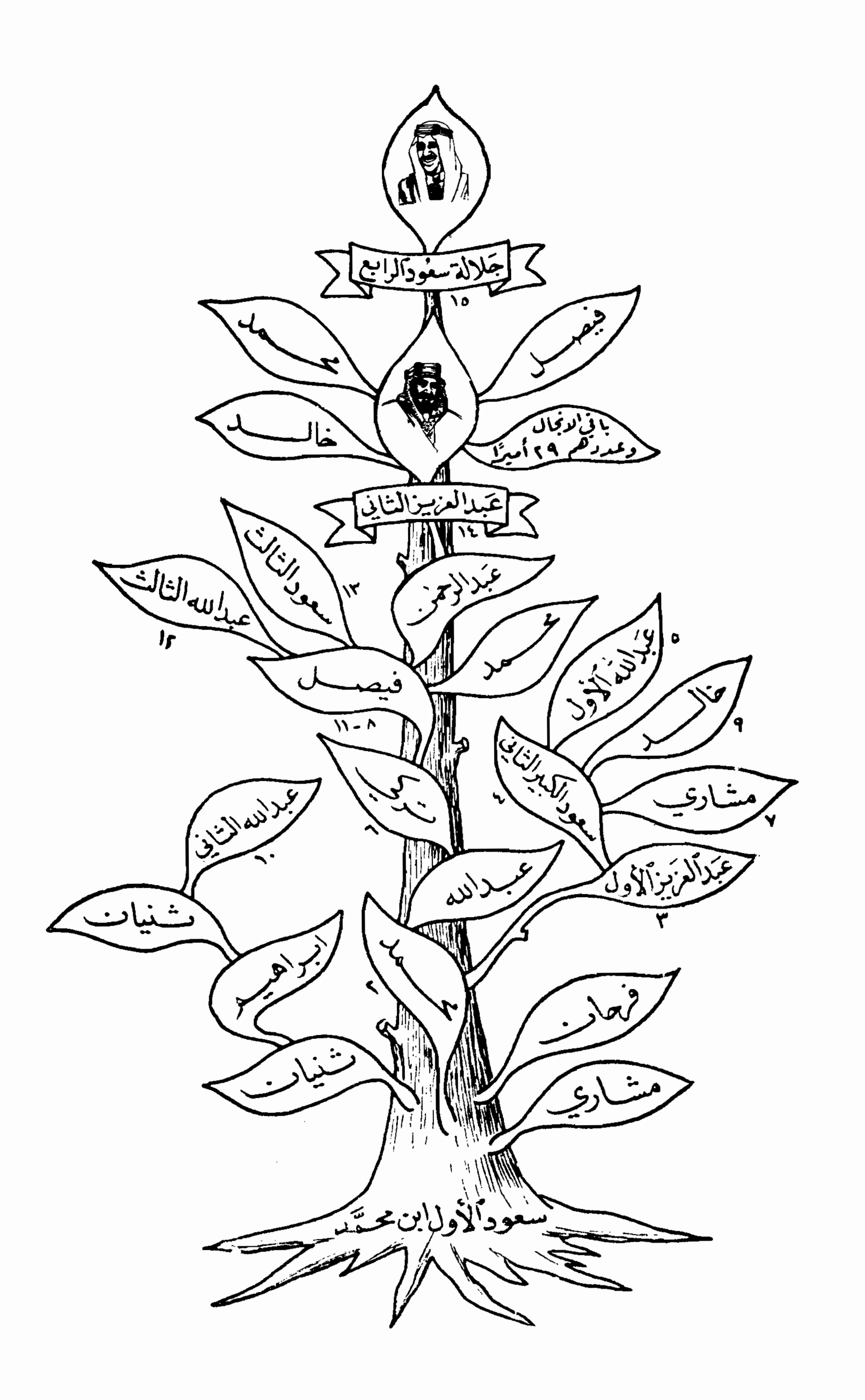
٧ – انجب الامير فيصل عدة اولاد ومنهم : عبد الله ومحمد وعبد الرحمن

٨ – انجب الامير عبد الرحمن حضرة صاحب الجـــلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود عطر الله ثراه .

٩ – وانجب المغفور له الملك عبد العــزيز آل سعود حضرة صاحب الجلالة عاهل الجزيرة الحـــالي سعود المعظم أمدّ الله بعمره ونصر بـــه العرب والمسلمين .

لقد كان لهذا البيت السعودي الكريم شأن كبير في الجهـــاد والنضال لاعلاء كلمة العرب والمسلمـــين واعادة تأسيس الامبراطورية العربيـــة الكبرى ، وأرسل قوافــل الشهداء قرباناً مثاباً على محراب هذا الهدف الاسمى ، ولكن سلاطــين وملوك آل عثمان الذين تعاقبوا على الحـــكم قد افسدوا على هذا البيت العربي الكبير خططه ومراميه وغاياته واهدافه ، وسخر آل عثمان في سبيـــل امتداد سلطانهم وتخليــده ، عمالهمّ على الملحقات والاقاليم العثمانية وفي طليعتهم محمد علي باشا الكبير والي مصر ، واشراف مكة على التعاقب والتوالي ، فـكانت الحروب بينهم سجالا .

ولما كان البيت السعودي المالك قد لعب دوراً خطيراً في سبيل إعادة مجد العرب وعزهم وسؤددهم في اعـــادة تأسيس الامبراطورية العربيـــة الكبرى كما أسلفنا ، إلى أن تمكن من إنشاء المملكة العربيـــة السعودية الحاضرة ، فقد عنيت بتدوين أنباء المعارك والوقائع والحوادث التي جرت في نجد والحجاز بين آل سعود وآل عثمان وعمالهم ، وتبدأ هذه المرحلة من عهد الامير محمد بن سعود بن محمـــد بن مقرن سنة ١١٥٨ « ١٧٣٩ ميلادية تقريباً » لما لهذا العهد من تأثير عملي في إنشاء الدولة السعودية الحاضرة في جزيرة العرب ، ولمـــا كان له من ارتباط وثيق بالدعوة الدينية الجديدة لنبذ الشرك والالحاد والوثنيـــة ، وقد تولى هذه الدعوة العالم المحقق المدقق الامـــام المغفور له الشيـــخ محمد بن عبد الوهاب .



جلالة سعود الرابع
١٥
محمد
فيصل
خالد
باقي الانجال وعددهم ٢٩ أميرًا
عبد العزيز الثاني
١٤
سعود الثالث
عبد الله الثالث
١٣
١٢
عبد الرحمن
محمد
فيصل
٨ - ١١
عبد الله الأول
خالد
سعود الكبير الثاني
مشاري
تركي
عبد الله الثاني
١٠
عبد الله
عبد العزيز الأول
٣
ثنيان
ابراهيم
محمد
فرحان
ثنيان
مشاري
سعود الأول ابن محمد

الأسرة السعودية المالكة
منذ سعود الأول كما جاءت في الشجرة

ان المؤسس للملك آل سعود الحالي هو الامير سعود الأول ابن محمـــد بن مقرن « جد الاسرة الكبير » ابن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعه بن مانع المديدي الجد الاعلى لآل سعود .

والامراء والملوك السعوديون بحسب تفرعاتهم في شجرة النسب هم :

الاول – سعود الاول ابن محمد

الثاني – محمد بن سعود وقد تزوج ابنة عبد الوهاب

الثالث – عبد العزيز الاول ابن محمد

الرابع – سعود الثاني ابن عبد العزيز الملقب بالكبير

الخامس – عبدالله الاول ابن سعود الكبير وقد شنقه الاتراك

السادس – تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وهو الذي انتقلت به الامارة الى فرع الاسرة الثاني ، وقد قتله ابن عمه مشاري .

السابع – مشاري بن سعود الكبير ولم ينعم بالامارة لأن فيصل بن تركي ثأر لأبيه بقتله واسترجع الامارة منه

الثامن – فيصل بن تركي بن عبدالله وقد تنحى عن الامارة بسبب الضغط التركي – المصري

التاسع – خالد بن سعودالكبير وقد تولى الامارة بظل الحكم العثماني مدة سنتين وخلعه الشعب ووضع مكانه عبدالله بن ثنيان

العاشر – عبدا الثاني بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان بن سعود الاول وقد اسرع فيصل بن تركي باسترجاع الامارة منه

الحادي عشر – فيصل بن تركي « المرة الثانية »

الثاني عشر – عبدا الثالث ابن فيصل بن تركي وقد اشتد النزاع بينه وبين أخيـــه سعود وتقاتلا وتناوبا الحكم

الثالث عشر – سعود الثالث ابن فيصل بن تركي الذي اختلف مع اخيه عبدالله وافلت زمام الحكم من يد الاسرة فمات سعود وعبدالله وفر اخوهما الثالث عبدالرحمن الى الكويت

الرابع عشر – عبد العزيز الثاني ابن عبد الرحمن بن فيصل وهو الذي استرجع الملك السليب من غاصبيه بحد السيف وانشأ المملكة العربية السعودية الفتية الحاضرة

الخامس عشر – حضرة صاحب الجلالة الملك العادل التقي النقي سعود الرابع ابن عبدالعزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود جعل الله التوفيق حليفه واليمن والاقبال قرينه .

الشيخ محمد عبد الوهاب :

وصف المرحوم الشيخ حسين بن غنام في كتابه « تاريخ نجد — روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام » ما كانت عليه الديار النجدية وما جاورها من الشرك والضلال والفساد والطغيان فقال :

« كان غالب الناس في زمانه — زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب — متضمّخين بالارجاس ، متلطّخين بوضر الانجاس ، حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة المطهرة بالارماس واطفاء نور الهدى بالانطماس بذهاب ذوي الابصار والبصيرة والألباب المضيئة المنيرة وغلبة الجهل والجهال ، واستعلاء ذوي الاهواء والضلال ، حتى نهجوا في تلك الطريق منهجاً وعراً ونبذوا كتاب الله تعالى وراءهم ظهراً واتوا زوراً وبهتاناً وهجراً » .

ووصف العلامة المحقق الشيخ عثمان بن بشر النجدي الحنبلي — وقد عاصر عهد الامير محمد بن سعود — ما كانت عليه البلاد النجدية في ذلك الحين من الجهل والضلال فقال في كتابه : « عنوان المجد في تاريخ نجد » .

« وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الاشجار والاحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم وجعله لهم في زوايا البيوت لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم والحلف بغير الله ، وغير ذلك من الشرك الاكبر والاصغر » .

هكذا كانت الحال في نجد وما جاورها ، وقد اتفقت كلمة المؤرخين المعاصرين لذلك العهد ومن أتى بعدهم ، على وصف تلك الحال بما وصفه العالم المؤرخ ابن غنام والعالم المدقق المؤرخ ابن بشر ،

فلذا كان لا بد من وجود عالم مصلح إلى جانب أمير حاكم يخاف الله في دينه وامته ووطنه ، فقيض الله لسكان تلك البلاد العالم التقي النقي المغفور له محمد بن عبد الوهاب ، فكان إلى جانب الامير النبيل الفارس المقدام محمد بن سعود ، ذلك العامل المجد في الدعوة إلى عبادة الله والتوحيد .

لقد ولد الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في سنة ١١١٥ هجرية في بلدة « العيينة » بنجد ، وهو نجل العالم المدقق المرحوم عبد الوهاب ابن سليمان بن علي بن محمد بن احمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف وينتهي نسبه إلى نزار بن معد بن عدنان . وكان جده سليمان قاضياً في العيينة زمن عبد الله بن معمر المشهور ، وقد انبته الله نباتاً حسناً . وقرأ على أبيه في الفقه ، بعد أن حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب وعمره دون العاشرة . وكان – رحمه الله – في صغره مثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الاسلام . ولما تحقق الشيخ معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه وما كان وقع فيه الناس من البدع المضلّلة . ذهب إلى حج بيت الله الحرام ، ومن مكة المكرمة سار إلى المدينة المنورة فوجد فيها الشيخ العالم عبد الله بن ابراهيم ابن يوسف من آل سيف رؤساء بلد « المجمعة » بالقرب من « سدير » من أعمال نجد ، فأخذ الشيخ عنه ثم أخذ عن الشيخ العلامة محمد حياة السنوي المدني ، وبعد أن أقام في المدينة المنورة بعض الوقت خرج إلى نجد ومنها قصد البصرة وقرأ لدى الشيخ محمد المجموعي في بلدة « المجموعة » من أعمال البصرة ، وقد تجمع اناس في البصرة على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فآذوه واخرجوه منها وقت الهجيرة ، وفي الطريق اشتد العطش على الشيخ ، فوافاه مكاري على حماره يدعى « ابو حميدان » من أهل « الزبير » . وكان الشيخ اشرف على الهلاك فسقاه المكاري واركبه على حماره حتى أوصله الزبير ، وهنا أراد

الشيخ ان يعرج على الشام فضاعف نفقته التي معه ، ولكنه عدل عن عزمه هذا ، وعاد إلى الاحساء ونزل على الشيخ العالم عبد الله بن محمد ابن عبد اللطيف الشافعي الاحسائي ، ثم رحل إلى بلدة « حريملا » وكان والده المرحوم الشيخ عبد الوهاب قد انتقل اليها من « العيينة » في سنة ١١٣٩ هجرية ، بسبب نزاع نشب بينه وبين محمد بن حمد الشهير بلقب « خرفاش » فعزله محمد عن القضاء وجعل مكانه احمد ابن عبد الله بن عبد الوهاب بن عبد الله ، وقد راح الشيخ محمد يقرأ على ابيه الشيخ عبد الوهاب وينكر ما يفعل الجهّال من البدع والشرك في الاقوال والافعال .

وفي سنة ١١٥٣ توفي الشيخ عبد الوهاب ، فراح ولده الامام الشيخ محمد يعلن بالدعوة والانكار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبعه خلق كثير من أهل البلدة ومالوا اليه ، وكان أهل « حريملا » قبيلتين ، وليس للبلد رئيس يسيطر عليها ، وكانت احدى القبيلتين تملك طائفة من العبيد ، وقد كثرت تعدياتهم وكثر فسقهم وفجورهم ، فأراد الشيخ أن يمنعهم عن غيّهم وينفذ فيهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقرر العبيدُ الغدر بالشيخ والفتك به ، وتسوروا بالليل عليه جدار منزله ، ولكن فئة من الناس شعرت بهم ومنعتهم عن اجرامهم ، فلذا انتقل الشيخ إلى « العيينة » ، ورئيسها عامذاك عثمان بن حمد بن معمر ، فقبله ورحب به واكرمه وتزوج الشيخ فيها الجوهرة كريمة عبد الله بن معمر ، وقد عرض الشيخ على عثمان رئيس البلدة ما قام به من الدعوة للتوحيد ، وساعده عثمان على ذلك وتبعه اناس من اهل « العيينة » وكان فيها اشجار يعظمها الاهلون ويعلقون عليها النذور ، فبعث من قطعها سراً ودفع اجره ذلك من ماله الخاص ، ثم اشتهر امر الشيخ واجتمع اليه حوالي سبعين مريداً بينهم فريق من رؤساء آل معمر ، وقد ساعده عثمان بن محمد على قطع عدة شجرات اخرى .

واتت امرأة إلى الشيخ واعترفت بالزنى والاحصان ، وتكرر منها الاعتراف ، فسأل عن عقلها فاذا هي صحيحة العقل ، وقال : « لعلك مغصوبة ؟ » فأقرّت واعترفت بما يوجب الرجم ، فأمر عليها بالرجم فرجمت ، وهنا عظم امره عن ذي قبل وذاع صيته في طول البلاد وعرضها ، وسرى التوحيد في تلك الجهات بين السكان ؛ فبلغ خبره سليمان بن محمد بن غرير الحميدي قائد الاحساء والقطيف وارسل هذا إلى عثمان كتاباً طلب اليه فيه ان يقتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائلا له : فان لم تفعل قطعنا خراجك الذي عندنا في الاحساء !! »

التجاء الشيخ إلى الدرعية :

لقد خشي عثمان بن معمر مغبة عدم تنفيذ امر سليمان الحميدي وطلب إلى الشيخ ان ينزح من العيينة إلى أي مكان يريده وامر أحد فرسانه بايصال الشيخ إلى حيث يريد ، فركب الفارس جواده والشيخ يمشي امامه ، وكان ابن معمر اوعز إلى الفارس بقتل الشيخ عندما يصل إلى ضريح اخيه يعقوب بن عبد الوهاب ، وكان قتل ظلماً وجوراً بين الدرعية والعيينة ودفن في غار جبل على قارعة الطريق ، ولما همّ الفارس بقتل الشيخ غشيته الرهبة وغمره الفزع فلم يعد يستطيع مضياً وعاد بجواده إلى بلده ، وتابع الشيخ سيره إلى « الدرعية » ، ونزل في بيت محمد بن سويلم العويني ، ولكن محمداً خشي على نفسه من الامير محمد بن سعود وهو امير البلدة ، بيد أنه كتم أمر الشيخ ، وأخذ الشيخ يلقن فريقاً من أهل البلدة أصول وقواعد الدين الحنيف ، فأتى فريق من هؤلاء زوجة الامير محمد بن سعود واسمها « موضى » وكانت ذات عقل ومعرفة ، واخبروها بالشيخ محمد بن

عبد الوهاب وما هو عليه من علم ومعرفة لحقيقة دين الاسلام فلما دخل زوجها الامير محمد عليها أخبرته بقصة الشيخ ، فزاره الامير بدار ابن سويلم العويني ، وأكرمه وعظمه ورحب به ونصره في دعوته ورسالته ، وأخذ الشيخ يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويعلم قواعد التوحيد ، ويكاتب أهل البلاد النجدية ورؤساءهم وقضاتهم فمنهم من قبل واتبع الحق ومنهم من اتخذه سخرية ونسبوه إلى الجهل وعدم المعرفة وإلى السحر ، ثم أمر الشيخ بالجهاد وحضّ السكان عليه ، فكانت اول غزوة لهم مؤلفة من سبعة رجال وقد عادوا سالمين غانمين . وكان انتقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى « الدرعية » في سنة ١١٥٨ هجرية .

استشهاد ولدي الأمير :

ثابر المرحوم الامير محمد بن سعود على مناصرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته الأمة لدين الحق ، وكانت الفتن بين القبائل والعشائر وسكان المدن والقرى على اشدها ، ونيران الحروب مستعرة بينهم مما يرغم الامير محمد بن سعود واولاده الامراء عبد العزيز واخوته على تجهيز الجيوش والقوات والسير بها لتأديب العصاة والخوارج . ودامت هذه الحال طوال سني : ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ وفي هذه السنة ، سار دهام بن دواس بأهل الرياض والصمدة إلى الدرعية ووضع في احد مداخلها كميناً ثم أغار على البلدة فخرج أهلها لملاقاته ، وهنا أظهر انهزامه امامهم ، فلحقوه ، فخرج الكمين عليهم وانكشف اهل الدرعية امام المغير واستشهد في هذه المعركة فيصل وسعود ولدا الامير محمد بن سعود ، مما دعا لاشتداد الحرب واستعار اوارها .

وذلك ان الامير محمد بن سعود سار بأهل « الدرعية » و « منفوحة » و « حريملا » غازياً الرياض ، واستعد دهام بن دواس لهم ، ووقعت المعركة بين الطرفين شديدة قاسية عرفت باسم « وقعة الشراك » أو « وقعة دلقة » وقتل فيها من الجانبين عدد كبير .

وفي سنة ١١٦١ حدثت « وقعة البنية » وذلك أن عبد العزيز بن محمد بن سعود سار بأهل الدرعية وقراها ومن تبعه ، ومعه عثمان بن معمر امير « العيينة » إلى الرياض . والتحمت المعركة عاتية انهزم فيها جيش الامير عبد العزيز بعد ان قتل منه ٤٥ رجلاً .

وجدد الامير عبد العزيز هجومه على الرياض في ذات السنة فانتقم من رئيسها دواس .

وفي سنة ١١٦٢ جدد الامير محمد بن سعود هجومه على الرياض فقتل عدداً من سكانها ، وفي سنة ١١٦٣ قتـــل عثمان بن معمر في مسجد « العيينة » بعد صلاة الجمعة . وقد انتُدِب عدد من جماعته لقتله بداعي انهم تحققوا منه نقض العهد وموالاة الاعداء ، بعد أن كان على عهد مع الامير محمد بن سعود .

وهكذا توالت الحروب والغزوات في نجـد في سبيل اعلاء كلمة الله ومنها موقعة « البطيحا » في الرياض وموقعة « الوطية » في « ثرمدا » .

وفي سنة ١١٦٤ حارب ابراهيم بن محمد بن عبد الرحمن رئيس بـــلدة « ضرمى » ونقض عهد الامـير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب وقتل من أهل بلده عمر الفقيه ورشيد العزاري وابن عيسى لأنهم دعاة الامير والشيخ .

وتتابعت الحروب والغزوات في هذا السبيل القويم الى أن دخلت سنة ١١٦٧ وفيها ضجر دهام بن دواس من الحرب مع الامير محمد بن سعود فهادنه وبعث اليه بعدد من الخيل الاطايب وكميات من السلاح وتعهد باقامة شرائع الاسلام في بلده وطلب ارسال معلم ليدرس اصول التوحيد

فأرسل الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليه عيسى بن قاسم ، وفي سنة ١١٦٨ تمكن الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود من فتح مدينة « حريملا » والاستيلاء عليها واستعمل عليها مبارك بن عدوان اميراً . وفي هذه السنة نقض دهام بن دواس عهده مع الامير محمد بن سعود ، ثم عاد وعاهد واشترك في عدة معارك قادها الامير عبد العزيز بن محمد ابن سعود ، ومنها غزوة أهل الرياض في سنة ١١٧٨ .

وفاة الأمير محمد بن سعود :

وفي سنة ١١٧٩ توفي الأمير محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع ، وكان ولي العهد بعده ولده عبد العزيز « ولد في سنة ١١٣٣ » فتسلم زمام الحكم والسلطان ، وما ان علم دهام بن دواس بذلك حتى ارتد عن العهد واثار الحرب لثالث مرة ، ولكن الدائرة كانت على أهل البغي والضلال ، وتابع الامير عبد العزيز سيرة ابيه ، فراح يواصل جهاده ونضاله ، وكان ولده الامير سعود قد كبر وترعرع فأخذ يقود الجحافل عملا بأوامر أبيه ، فقاد أول غزوة في سنة ١١٨١ وذلك بهجومه على بلدة « العودة » في اقليم السدير ، وكانت القبائل والعشائر تتسابق على مبايعة الامير عبد العزيز ابن محمد بن سعود واعلان التوحيد أمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وفي سنة ١١٨٥ سار الامير عبد العزيز من الدرعية غازياً يريد « منيخ» ولما وصل (عرقة) باسفل الدرعية صادف ان دهام بن دواس كان متوجهاً إلى عرقة لغزوها ، ولما رأى جيوش الامير عبد العزيز انهزم مع قواته امامها ، ولكن الامير اسرع في أثره وهنا عثرت فرس دواس ابن دهام في موقع « صفاة الظهرة » وتقع بين عرقة والفوارة ، فامسكه

جنود الامير وقتله الامير عبد العزيز واراح المسلمين من بلائه ، كما قتل في هذه الموقعة شقيقه سعدون بن دهام .

وفي هذه السنة كتب والي مكة المكرمة احمد بن سعيد الشريف إلى الامير عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب بارسال فقيه عالم إلى مكة ليبين حقيقة الدعوة الدينية الجديدة فأرسلا اليه عبد العزيز بن عبد الله الحصين ، ولكن حصـــل في سنة ١١٨٦ ان ثار آل مساعد على عمهم احمد شريف مكة فأجلوه عنها وتولى سرور بن مساعد مكانه .

وفي سنة ١١٨٧ هاجم الامير عبد العزيز الرياض ونازل أهلها أياماً وضيق عليهم الحصار واستولى على بعض بروجهم وهدمهـــا كما هدم المرقب وقتل من أهلها عدداً كبيراً ، وكان ذلك في شهر صفر ، وفي شهر ربيع الثاني من السنة ذاتها أعاد الامير عبد العزيز هجومه على الرياض ، ولدى وصوله إلى مقربة من عرقة اقبل شخص من الرياض واخبر الامير بان دهام بن دواس – وقد فقد ولديه في المعركة قرب الدرعية – قد خرج هارباً من الرياض ، فحث الامير عبد العزيز السير اليها وقدمها بعد العصر ، فاذا هي خالية من أهلها إلا القليل ، إذا انهزموا في اثر دهام ابن دواس قاصدين الخرج ، ولما دخلها الامير وضع في البيوت ضباطاً لحراستها بما فيها ، وهكذا انتهت هذه الحرب بين ابن دواس وامراء البيت السعودي بعـــد أن دامت مـدة سبع وعشرين سنة وذهب ضحيتها من أهل الرياض ٢٨٠٠ قتيل ومن جماعـــة آل سعود ١٧٠٠ قتيل آخر .

وفي سنة ١١٨٩ هاجم الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود « الخرج » ثم هاجم ناحية (القصيم) فنازل أهل « بريـدة » وحاصرهم وشيّد قصراً بالقرب منها ، جعل فيه عدداً من جنوده واستعمل فيهم اميراً عبد الله بن حسن من رؤساء آل ابن عليان ، فلما اضر بهم الحصار طلب رئيس البلدة الصلح والتسليم ، واستولى الامير على البلدة .

وفي سنة ١١٩٠ وفد اهل « الزلفى » و « منيخ » الى الدرعية واعلنوا انضمامهم إلى الامير عبد العزيز وبايعوه كما عاهدوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب على التقوى والتوحيد والصلاح .

وفي سنة ١١٩١ هاجم الامير سعود بن عبد العزيز أهل الخرج ومنيخ إلى أن أعلنوا ولاءهم وعهدهم ، كما هاجم الحلة ونعجان لاعلاء كلمة الله .

وفي سنة ١١٩٢ تواعد أهل ضرمى والزلفى ، وسعدون بن عريعر رئيس الاحساء ، وبنو خالد ، على نقض العهد والسطو على بلدة (الجمعة) وفيها قوة من جيش الامير عبد العزيز ، وداهم أهل ضرمى بلدة (الجمعة) واحتلوا بروج النخيل ، ثم لحق بهم سعدون بقواته وجموعه من بني خالد ، وتحصن أهل الجمعة وأعوانهم في قلعة البلدة وسدوا ابوابها بالطين والحجارة . ولما ضاق الامر على اهل البلدة اوفدوا إلى سعدون طالبين مهلة يومين لعقد الصلح معه ، وذلك أمل أن يصل المدد من الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود وكان الامير حسن بن مشاري بن سعود بن عبد العزيز في بلدة « جلاجل » ومعه قوات كبيرة من أهل العارض والمحمل والسدير وراح يدرس كيفية ارسال المساعدة إلى أهل الجمعة فقرر ارسال سرية من قواته في الليل لنجدة البلدة ، ووصلت السرية فعلا إلى جدار القلعة والقى الاهلون المحاصرون فيها إلى أفراد السرية الحبال وصعدوا إلى داخلها بوقت الفجر ، ولما علم سعدون وجماعته بذلك ضاقت بهم الحال فرحلوا عن الجمعة ، ولكن الامير عبد العزيز جهز اخاه الامير عبد الله بن محمد بن سعود وارفقه بقوة كبيرة فنازل اهل « ضرمى » ووقعت بين الفريقين حرب ضروس قتل فيها عدد كبير من الطرفين ، ثم لحق الامير سعود بن عبد العزيز بعمه الامير عبد الله مستنفراً معه اهل البلدان الموالية لآل سعود ، ونزلت هذه القوات على بلدة ضرمى وحاصرتها بشدة وملكت اكثر نخيلها ، واقامت عليها

عدة ايام ، تباكر في صباح كل يوم اهلهـا بالقتال ، حتى وصلت إلى جوار القلعة وحاصرت اهل البلدة فيها ، ولمـا اشتد الحصار عليهم ارسلوا الى الامير سعود بن عبد العزيز طالبين الصالحة فابى ذلك مشترطاً ان يكون نخيل البلدة لبيت المال وان يبعد عن البلدة جميع الرجال الذين يعملون ضده وضد تعاليم الشيـخ محمد بن عبد الوهاب ، فصالحـه اهل البلدة على الانفس والمال ، وعندها كتب الامير سعود الى ابيـه الامير عبد العزيز بذلك فرفض هذا الرأي واعلم ولده : ان اهل هذه البلدة قد تكرّر منهم نقض العهد ولا تزال تشكل خطراً على سلامة الامة والدين ، وطلب اليـه تدميرهـا وهدمها ، فأمر سعود بهدم سورها وبعـض بيوتها وامر عدداً من اهلها ممن اثاروا الشر بالارتحال عنها فارتحل عدد كبير منهم الى المجمعة وبلدة الزبير في جهات العراق .

وفي سنة ١١٩٤ هاجم الامير سعود بلدة « الزلفى » ووقـع بين الفريقين قتال شديد ، ثم جدّد الامير عبد الله بن محمد بن سعود الهجوم على هذه البلدة ، وبعد قتال مرير عاد الامير عبد الله وما ان تجاوز بلدة « رغبة » حتى اوعز الى فريق من قواتـه بالانصراف الى بلدانهم ، فلما وصل هذا الفريق الى « العتك » المعروف بين المحمل وسدير ، اغار سعدون بن عريعر في جموع من بني خالد على رجـال الفريق واحاط بهم وابادهم ولم يسلم منهم سوى القليل ، وممن قتـل في هذه المعركة عبد الله بن سدحان امير غزو اهل الوشم وحسين بن سعيد رئيس العودة وامير غزو اهل سدير ، ثم جددت قوات الامير عبد العزيز هجومها على الزلفى واوقدوا النار في زرعهـا ثم هاجمت « الخرج » واغارت على « الدلم » فاضطر اهل الزلفى لمبايعة الامير والشيـخ على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، فداهم الامير سعود بقواته حوطة بني تميم وطلب إلى سكانها الطاعة والولاء ففعلوا .

وفي سنة ١١٩٥ سار الامير سعود بن عبد العزيز بجمع من قواته إلى

ناحية الخرج ونازل اهـــل بلدة « الدلم » وحاصرهم وقطع نخيل ابن عشبان ، ثم سار الامير بقواته الى السلمية وبنى القصر المعروف باسم « البدع » على مقربة من البلدة ووضع فيها رجالا من مؤيديه واستعمل عليهم اميراً محمد بن غشيان ، وفي هذه السنة اغار جماعــة من اتباع الامير سعود بن عبد العزيز على فرحان بن راشد من رؤساء اليمامة ، وفي الوقت ذاته هاجم الامير عبد الله بن محمد بن سعود اهــل اليمامة وبعد عدة معارك قتل من اهلها عشرين رجلا ومن قوات الامير عدة رجال ، ثم سار الامير منها واغار على سروح اهل الحريق فقتل منهم عشرين رجلا ، وحيال هذه الحال عقد اهل الخرج اجتماعــاً قرروا فيه هدم قصر « البـــدع » لأنه العقبة القائمة في وجوههم ، وقد صنعوا محامل وسلالم وساروا ليلا الى القصر لهدمه ، فشعر سكان القصر بهم وقتلوا منهم عدة رجال وانهزم الباقون ، فذهب اهل الخرج الى سعدون ابن عريعر وشكوا اليه ما يعانونه من وجود هذا القصر واستنجدوا به لهدمه ، فسار اليه بالجنود والمدافع ونازل اهــل القصر دون اي طائل ورجع خائباً .

وفي هذه السنة مات رئيس اليمامة حسن بن راشد البجادي ، وفيها قام الامير عبد العزيز بن سعود بعـــدة غزوات لاقرار السلم ونشر تعاليم الدين الحنيف . واكبر معركة وقعت في هــذه الفترة هي : أن الامير سعود علم بأن قبائل الظفير وانصارهم قد اجتمعوا ومعهم محسن بن خلاف رئيس السعيد وقبيلته ودهام ابو ذراع وقبيلته الصمدة وغيرهم ونزلوا على مبايض المـــاء المعروف باسم « مجزل » قرب سدير ، فتوجه الامير سعود اليهم ، ولما اشرف عليهم استكثرهم فرجـــع الى ارض بلدة « نمير » في طرف مجزل واستنفر اهل سدير ركباناً ومشاة ونازل الجميعُ تلك القوات المؤتلفة على مائهم وتقاتلوا قتالا شديداً عسيراً الى ان تمكن الامير سعود من اختراق قلب تلك القوات فانهزمت شر هزيمـــة وغنم

الامير سعود نحو ١٧ الف رأس من الغـــنم وخمسة آلاف رأس من الابل و ١٥ فرساً واستولى على جميع ما تملكه تلك الحـلة من اثاث ومتاع ، واوقع فيهم عدداً كبيراً من القتـــلى ، واخذ الامير سعود خمس الغنائم والباقي قسمه على افراد قواتـــه للراجل سهم وللفارس سهمان !!

أهل القصيم ينقضون العهد :

وفي سنة ١١٩٦ اجمع اهـــل القصيم على نقض العهد الذي قطعوه للامير عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى محاربة الامير وقواته ، ولكن اهل بريدة والرس والتنومة رفضوا ذلك، فقام بقية اهل القصيم بقتل كل من ينتسب عندهم الى التوحيـد ومنهم : ناصر الشبيلي ومنصور ابو الخيـــل وثنيان ابو الخيل وعبد الله القاضي وغيرهم ، وارسلوا إلى سعدون بن عريعر يستنجدونـه ، فأجابهم على ندائهم وجمع قواتـــه من بني خالد واستنفر الظفير وبوادي شمر ومن حضر من بوادي عنزة ، وسار اهل القصيم بهذه الجموع الغفـيرة ونزلوا بلدة بريدة وحاصروها ، ورئيسها يومئذ حجيلان بْن حمد من رؤساء آل بن عليان ، فاقاموا عليها عدة اشهر ، وعـــلم ان سليمان الحجيلاني وعدد من اهل بريدة يمالئون الاعداء ، وعليه قـام ابن حجيلان امير البلدة لأ بمداهمة سليمان الحجيلاني – وكان من عشيرته – فقطع عنقه ، فكان هذا الاجراء خير رادع لأهل البلدة على عدم الخيانة واتفق امر اهل بريدة على الثبات والحرب . وقد دامت تلك القوات اربعة اشهر على حصارها البـــلدة ، وجرت عدة معارك بين الطرفين دون اي طائـل !!

وفي هذه الأثناء تزوج حجيلان بن حمـــد امير البلدة ، ولمـا سمع سعدون بن عريعر قائدُ قوات الاعــداء َنقرّ الدفوف سأل عن الخبر ، فأعلموه بزفاف امير البلدة ، وهنا اقتنــع بان لا جدوى من الحصار وان الاهلين في لهوٍ عنه وعن حصاره ولم يكترثوا به لمناعتهم ، فارتحل عن البلدة وتفرقت قواته ، ونزل سعدون قرب الزلفى فاجتمع اليه خلق كثير من اهل الخرج وغيرهم ، ثم رحل ونزل على مبايض الماء المعروف ، واجتمع اليه عدد كبير من اهالي ضرمى والماضي اهل الروضة واهل الزلفى وزيد بن زامل باهل الخرج واقاموا اياماً على مبايض يديرون الرأي على اي بلد يسطون فتقرر ان يكون هدفهم بلدة « الروضة » .

وفي عيد النحر من هذه السنة « ١٠ ذي الحجة » سار كل من آل ماضي وهم عون بن مانع واخوانه ، وتركي بن فوزان بن ماضي واخوه منصور ومن معهم من قبيلتهم وجماعتهم ، كما سار معهـم آل مدلج وغيرهم من آل سدير والزلفى وزيد بن زامل ومن معه من بلدة الدلم واهل الخرج — سار هؤلاء ليلا الى بلدة الروضة ومــع الفجر استولوا عليها ، وكان في الحصن ، ويقع في وسط البلدة ، جماعة من اتباع الامير عبد العزيز منهم سليمان بن موسى بن قاسم وعلي بن حمـــد القاضي ، فانزلوهم من الحصن بالامان واخرجوهم من البـلدة ، وبعد احتلالها رحل سعدون بجنوده من مبايض ونزل الروضـــة واقام ريثما استقرّ آل ماضي فيها ، ثم رحل سعدون عنها وتفرق اهل البـــلدان كل إلى بلده .

كل هذا والامير سعود بن عبد العزيز وقواته مرابطون في بلد « تارق » فراح يرسل النجدات الخفيفة الى البلدة ، وراح اهل سدير ينازلون آل ماضي في فترات متقطعة ، وكثرت الوقائع على آل ماضي ، وقتل منهم منصور بن فوزان وغيره ، ثم قتل رئيس آل ماضي عون بن مانع ومعه

عدة رجال ، فقام مقامه اخوه عقيل بن مانع ، وهنا داهم الامير سعود ابن عبد العزيز بلدة الروضة ، وحاصرها وراح يقطع نخيلهـا إلا ما حمته بروج القلعة ، فانزل اهل هذه الابراج ولما لم يبق سوى قلعـة البلدة ارسل اهلها إلى الامير سعود يطلبون الصلح وقدموا اليه مبالـغ جيدة من الاموال نكالا ، فصالحهم على حقن الدماء وما في الحـلة من الاموال وان يرحل آل ماضي واعوانهم عن البـلدة ، واستولى الامير سعود عليها واجلاهم عنها ، وقـــد استغرقت هذه الحروب مـدة شهر واحد .

سعود يغزو عالية نجد والخرج :

وفي سنة ١١٩٧ سار الامير سعود بن عبد العزيز بجميـع قواته الى عالية نجد ، وهاجم قبيلة الصهبة المعروفـة ، وهي بطن من مطير ، وكانت نازلة على المزرع « المستجدة » قرب بلد شمر ، ومع الصبـح كانت المعركة منتهية ، وقتـــل من الصهبة عدد كبير ومن رؤسائها وفرسانها : دخيل الله بن جاسر الفغم وخلف الفغم ، واخذ الامير سعود ابل القبيلة واغنامها وخيولها .

وفي سنة ١١٩٨ سار الامير سعود قاصداً بقواته ناحية الاحساء لتأديب اهلها فأخذ ابلهم واغنامهم ، وبرجوعه اغـار على اهل اليمامة وقتل منهم حوالي ثمانين رجلا من الخوارج ، ثم سار غازياً بـلدة عنيزة في ناحية القصيم وبعد قتال عنيف عاد إلى دياره .

وفي سنة ١١٩٩ سار سعود لتأديب أهـل الخرج . فصادف مرور قافلة مؤلفة من ٣٠٠ رجل بطريقهـا من الاحساء الى الخرج للسلب والنهب . فرصد لها الامير سعود على مـاء « ثليا » قرب الخرج ،

وبعد معركة عنيفة بين الفريقين تمكن الامير سعود من الاستيلاء على جميع ما تحمله القافلة من مال وقماش ومتاع وابل ، وقتل في هذه المعركة ٩٠ رجلاً بينهم : زامل بن زيد وابن زيد الهزاني وسنان بن شاهين وبراك بن زيد بن زامل رئيس بلدة الدلم وعبدالله بن محمد ابن راشد الابرص . ثم هاجم الامير سعود وقواته الخرج ونازل بلدة « الدلم » وحاصرها ووقع بينه وبين أهلها قتال عنيف في النخيل ، ارغم اهلها أخيراً على الالتجاء الى البلدة وحصرهم فيها وهجم على البلدة وأخذها عنوة وقتل اميرها تركي بن زيد بن زامل ومعه عدة رجال ، واستعمل عليها اميراً سليمان بن عفيصان ، ثم اذعن جميع من في الخرج وبايعوا الامير على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

أهل العراق يداهمون أراضي نجد :

لم يحدث في سنة ١٢٠٠ هجرية ما يستحق الذكر ، غير قيام الامير سعود بغارة على بوادي قحطان فأخذ اكثر ابلهم واستولى على ديارهم وقتل منهم خلقاً كثيراً بسبب فسقهم وخيانتهم .

ولكن حدث في شهر محرم من سنة ١٢٠١ ان سار ثويني بن عبدالله ابن محمد آل شبيب بقوة كبيرة من الجنود والموالين ، من المنتفق واهل المجرة وجميع أهل الزبير في العراق وبوادي شمر وغالب وطي وغيرهم ومعه عدد كبير من البنادق والمدافع والذخيرة . ما بلغ حمولته ٧٠٠ جمل . وقصد بهذه القوات اقليم القصيم من اعمال نجد فوصل بلدة « التنومة » ونازلها وحاصرها اياماً وقذفها بالقنابل ، ثم احتلها عنوة واستأصل اهلها قتلا ونهباً ولم يسلم منه سوى الشريد . ثم ارتحل عنها

الى بلدة « بريدة » ونازلها ، وبينما هو في المعارك مع سكانهـا تلقى أنباء تفيد : ان خللا قد وقع في دياره والضرورة تقضي بعودتـه ، فارتحل تويني عن بريدة عائداً الى دياره ، وكان عبد المحسن بن سرداح رئيس بني خالد قد سار بجميع عشائره من بني خالد واهـل الاحساء يريد الاجتماع الى تويني وجنوده لمحاربة اهالي نجـد ، فلما اجتاز الدهناء علم برجوع تويني من القصيم ، فرجع عبـدُ المحسن بدوره من حيث جاء ، وقصد تويني البصرة ومنها دخل الزبيرّ ، وهنا اقبل والي البصرة للسلام عليه ، فأمر تويني باعتقاله وحبسه وركب مع قواتـه فاحتل البصرة ودخل السرايا واستولى على اوراقها وارسل الى رؤساء البـلدة واعيانها بأن يكتبوا الى السلطان مطالبين به اميراً عليهم وباشا في البصرة وبغداد تابعة له ، ففعلوا ذلك وحمل مفتي البصرة رسائلهم الى استانبول وعرض الامر عـلى السلطان ، والسلطان عرضه على وزرائه فأعلموه بأن تويني أعرابي ممتدٌ متقلّب . فغضب السلطان واراد الفتك بالمفتي ولكنه شرد ليلا من استانبول .

وفي هذه السنة هاجم حجيلان بن حمد امير القصيم جبـل شمر ، بأمر من الامير عبد العزيز فبايعه أهله على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ثم هاجم حجيلان بوادي شمر واخذ منهم عدداً كبيراً من ابلهم ومتاعهم وقتل منهم حوالي ١٠٠ رجل . لاصرارهم على الفساد .

وفي سنة ١٢٠٢ هـ ، وعندما علم سليمان باشا والي بغـداد بحركة تويني في البصرة ، قام بتجهيز حملة قوية ، وسار بها بذاتـه قاصداً ديار تويني في المنتفق ، وعـلم تويني بامر الوالي ، فجمع عدداً كبيراً من سكان المنتفق والزبير وسار بهم من البصرة وخلف اخـاه حبيباً مكانـه ، والتقى الطرفان بادنى المجرة عند نهر معروف اسمـه (الفاضلية) قرب سوق الشيوخ ، فوقع قتال عنيف جداً ، اسفر عن انهزام تويني شر هزيمة ، وقتل من جماعته عدد كبير ، فجمع سليمان

باشا رؤوس القتلى وجعل منها ركاماً بثلاث منارات ، وتولى حمود بن تامر ادارة المنتفق وآغا مصطفى ادارة البصرة ، ورحل تويني ومن معه من الرجال الى « الجهراء » الماء المعروف قرب الكويت ثم رحل منها الى ديار بني خالد في الصمان .

وفي هذه السنة سار سعود بن عبد العزيز بجيوشه غازياً القصيم ونزل بلدة عنيزة وابعد عنها رؤساءها آل الرشيد واستعمل عليها اميراً عبدالله ابن يحيى .

وفي هذه السنة أمر الامير سعود سليمان بن عفيصان بان يغزو جهة الشرق فأوقع بأهل قطر وقتل من آل ابي رميح عدداً كبيراً واخذ أموالهم وعاد الى الاحساء واغار على أهل « الجشة » وقتل منهم عدداً كبيراً .

مبايعة سعود بولاية العهد :

وفي هذه السنة طلب الأمير عبد العزيز والشيخ محمد بن عبد الوهاب الى اهالي نجد ان يبايعوا الامير سعود بن عبد العزيز بولاية العهد والامارة بعد أبيه فبايعه جميعهم ، وقد قام الامير سعود في هذه السنة بجموع أهل نجد وبواديها فهاجم عالية نجد ما وراء القصيم ، واغار على قبائل عنيزة وهم مجتمعون على جبلي « قفا » و « قني » فاخذهم وقتل منهم عدداً من الرجال .

وفي هذه السنة بايع جميع أهل وادي الدواسر ، الامير والشيخ على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وارسلوا وفوداً الى الامير والشيخ وذلك بعد عدة معارك دامية .

وفي سنة ١٢٠٣ سار الامير سعود بن عبد العزيز بجيوشه من حاضرة

نجد وباديتها قاصداً جهة الشمال ، فصادف وجود تويني آل شبيب في ديار بني خالد من أرض الصمان وذلك بعد خروجه هارباً من البصرة ، فأغار الامير سعود عليه وعلى قواته واخذ اثاثهم ومتاعهم وابلهم .

وتابع الامير سعود زحفه الى ان وصل المنتفق بالعراق فوجد اقواماً ينزلون موقع الروضتين بين المطلاع وسقوان فحاربهم واخذ ابلهم ومتاعهم ثم رجع الى الماء المعروفة بالوفرا ، ورحل منه الى الاحساء ونازل أهل المبرز ، ثم اهل قرية الفضول شرقي الاحساء فأخذ ابلهم ومتاعهم وقتل منهم حوالي ٣٠٠ رجل .

وفي سنة ١٢٠٤ وقعت معركة « غريميل » وهو جبل صغير تحته ماء قرب الاحساء ، وذلك ان الامير سعود سار من الدرعية بقواته قاصداً بني خالد ورئيسهم يومذاك عبد المحسن بن سرداح وابن اخته دويحس بن عريعر وهم عند غريميل المذكور فنازلهم الامير سعود مدة ثلاثة ايام وانهزم عبد المحسن ومن معه من بني خالد ، فكرت قوات الامير سعود خلفهم تقتل وتغنم وحازت على قدر كبير من الابل والغنم والامتعة ، واخذ الامير سعود خمس الغنيمة ووزع الباقي على افراد قواته للراجل سهم وللفارس سهمان ، وهرب عبد المحسن ومن معه الى المنتفق واستعمل الامير سعود زيد بن عريعر في بني خالد اميراً واجتمعوا عليه .

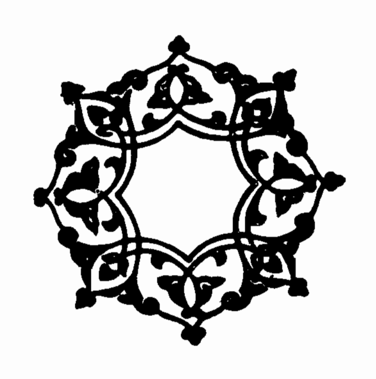
شريف مكة يهاجم الديار النجدية :

وفي سنة ١٢٠٥ جهز شريف مكة غالب بن مساعد حملة عسكرية كبيرة بقيادة اخيه عبد العزيز لمحاربة أهل نجد ، وتحرك الشريف عبد العزيز بقوة بلغت عشرة آلاف جندي مصحوبة باكثر من عشرين مدفعاً ،

وكانت بلدة الدرعية هدفه الاول ، وفي الطريق انضم اليه عدد من عشائر الحجاز وشمر ومطير وغيرهم ، فحشدوا السهل والجبل ، ونازلت هذه القوات قصر « بسام » المعروف في « السر » وحاصروا اهله اكثر من عشرة ايام وقذفوه بقنابل المدفعية بلا طائل ، مع انه لا يوجد في القصر اكثر من ثلاثين رجلاً ، فلما رأى الشريف ان القصر منيع رحل عنه ، وقد لحق الشريف غالب بن مساعد بأخيه عبد العزيز يقود قوة كبيرة ومعه سبعة مدافع واجتمع بعبد العزيز وجنوده ، وسار الجميع نحو قرية « الشعراء » في عالية نجد وحاصروها وقذفوها بالمدفعية مدة شهر ، دون الوصول الى نتيجة ، فرحل الشريف وقواته عنها ولا يوجد فيها سوى ٤٠ رجلاً ، وعاد الى الحجاز وتفرقت قواته كل الى مكانه وديرته .

وعلى اثر تفريق شمل هذه القوات ، تجمعت قبائل مطير وشمر ونزلت ماء « العدوة » وهو مزرع لشمر قرب بلدة حائل ، فاستنفر الامير سعود قواته ورجاله واعوانه وقصد بهم تلك العشائر ونازلها في قتال شديد عنيف ، فانهزمت العشائر المذكورة بعد ان سقط من فرسانها عدد كبير بين قتيل وجريح وقتل من رؤسائها مسعود الملقب « حصان ابليس » وسمرة الفارس المشهور رئيس العبيات من مطير ، وغنم الامير سعود غنائم كثيرة من الابل والغنم والاثاث والمتاع ، ولما انهزمت هذه الجموع المعادية ، استنفرت ما يليها من القبائل وغيرها ممن لم يحضر هذه الوقعة وأرسلت الى الامير سعود تدعوه للمنازلة وانهم يريدون المسيرة اليه ، فثبت الامير لهم ، واقبلوا اليه مقرنين الابل ، وهو على « العدوة » يقسم الغنائم ، فدهمته القبائل وفي مقدمتها مسلط بن مطلق الجربا الفارس المشهور وكان اقسم ونذر ان يدخل بفرسه صيوان الامير سعود ، وأراد ان ينفذ نذره ، فاختطفه جماعة من قوات الامير سعود ورماه رجل بقطعة من الحديد يشوى عليها الخبز

وتسمى « مشوى القرص » فطرحه عن جواده وقتل لساعته ، وانهزمت تلك العشائر لا يلوي احد من رجالها على شيء تاركين الابل مقرونة الى بعضها بالحبال ، فلحق بهم صناديد الامير سعود مدة يومين وهم يأخذون من اموالهم ويقتلون رجالهم . وحاز الامير سعود على تلك الغنائم ومنها ١١ الف بعير واكثر من هذا العدد من الغنم وحوالي ١٠٠ الف رأس من الخيل ، واحتفظ بالخمس وقسم الباقي بين جماعته للراجل سهم وللفارس سهمان .



الفصل الثالث

وفاة الشيخ وغزوات متفرقة

وفي أول جماد الأول من سنة ١٢٠٦ تحرك الامير سعود بقواته غازياً ديار القطيف لانتشار المفاسد والشرك والفتن بين اكثر سكانها ، فحاصر أهل « سبهات » واخذها عنوة ، ثم احتل بلدة « عنك » وقتل من سكانها عدداً قدر بحوالي ٤٠٠ رجل ، واخذ أموالاً عظيمة ، وصالحه بقية سكانها على ٥٠٠ جنيه ذهب ، وفي هذه المعركة قتل عبد المحسن بن سرداح رئيس بني خالد ، وذلك ان عبد المحسن هرب بعد موقعة غريميل الى المنتفق وتولى في بني خالد زيد بن عريعر كما اشرنا آنفاً ، ثم ان زيداً واخوته ارسلوا الى عبد المحسن باذلين اليه صداقتهم وامنوه ووعدوه بالخير ، فأتى اليهم واجتمع بهم فقتلوه في مجلسهم . ثم شن هادي بن قرملة رئيس بوادي قحطان هجوماً على عشائر مطير ، بأمر من الامير عبدالعزيز بن سعود ، وهم على الجنايح الماء المعروف في عالية نجد ، فأخذ منهم غنائم كثيرة .

وفي هذه الاثناء أمر الامير سعود سليمان بن عفيصان بغزو اقليم قطر ، فتحرك على رأس قوة من اهل الخرج وهاجمه بين عمان والبحرين وحصل على غنائم من اهله .

وفيها كانت غزوة « الشقرة » فقد هاجم الامير سعود بجيوشه الكثيفة جبل شمر وكانت عشائر مطير وحرب وغيرها نازلة على الماء المعروف باسم « الشقرة » قرب جبل شمر فأغار الامير سعود عليهم واخذهم جملة وكسب اموالاً عظيمة واكثر من ثمانية آلاف بعير واكثر من عشرين فرساً ، ثم رحل الامير سعود بالغنائم الى دياره محتفظاً بالخمس ووزع الباقي على جنوده للراجل سهم وللفارس سهمان .

لقد اصيب الامام المجاهد والعالم العامل الشيخ محمد بن عبد الوهاب في أول شهر شوال من هذه السنة بمرض ، لم يمهله طويلا ، ففي يوم الاثنين من آخر هذا الشهر « شوال سنة ١٢٠٦ هـ » انتقل الى رحمة ربه تعالى ، وكان من بيت علم شمل آباءه واعمامه وبني اعمامه ، واتصل العلم ببنيه وبني بنيه . وقد نصر – عطر الله ثراه – السنّة . وعظمت به من الله المنّة ، بعد ما كان الاسلام غريباً ، فقام بهذا الدين ولم يكن في البلاد الا اسمه . واجمالا : ان محاسنه وفضائله اكثر من ان تعد وتحصر واشهر من ان تذكر .

وكان – تغمده الله برحمته – يجهز الجيوش ويبعث السرايا ويكاتب اهل البلدان ويكاتبونه ، والوفود والضيوف عنده ، ولم يزل مجاهداً حتى اذعن اهل نجد وبايعوه على الحق والعدل ، فعمرت نجد بعد خرابها وصلحت بعد فسادها .

وقد وضع المرحوم الامام محمد بن عبد الوهاب عدة مصنفات في اصل الاسلام وتقرير التوحيد ، ومنها كتاب « التوحيد » ، وكلامه في القرآن الكريم وقع في اكثر من مجلد ، وكتاب « كشف الشبهات »

وكتاب « الكبائر والمسائل » التي خالف النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » اهل الجاهلية وصنف غير ذلك وهنالك فتاوى ومراسلات فقهية وأصولية اكثرها في أصول التوحيد .

وأخذ عنه عدد من العلماء الاعلام الأجلاء ومنهم ابناؤه الاربعة العلماء القضاة : حسين وعبد الله وعلي وابراهيم ، وكان لهم مجالس ومحافل في التدريس بالدرعية ، وكان لهم من المعرفة ما فاقوا به اقرانهم ، ولكل واحد منهم قرب بيته مدرسة فيها طلبة للعلم من اهل البلاد والغرباء ونفقتهم من بيت المال . وقد اصبح الامام حسين بن المرحوم محمد عبد الوهاب خليفة لأبيه وكان قاضياً في الدرعية وله عدة اولاد بين طلبة وقضاة ، ومن اولاده : علي وحمد وحسن وعبد الرحمن وعبد الملك ، وتولى اكثرهم القضاء .

غزوات متفرقة :

وفي سنة ١٢٠٧ هاجم الامير سعود عشائر بني خالد واستأهل تجمعات شتى ارادت الغزو والنهب والسلب .

ثم هاجم الاحساء فبايعه أهلها وارتحل عنه الى مدينة الحسا ، فبايعه اهلها ايضاً على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، ودخل الامير هذه المدينة وأقام فيها مدة شهر حيث افتتح المساجد وأقام فيها العلماء لتدريس التوحيد وأصول الاسلام وشروطه .

وفي سنة ١٢٠٨ سار الامير سعود بقواته الى الاحساء ، وكان أهل هذه البلاد نقضوا العهد وتولى عليهم زيد بن عريعر واستوطن البلدة ومعه ذووه واخوته ، فهاجم الامير سعود سكان البلاد ، وحاصر بلدة

« الشقيق » مدة يومين ثم احتلها وهرب أهلها ، ثم اجتمع اهل قرى شمال الاحساء في قرية « القرين » فسار الامير بقواته اليها وحاصرها بشدة وحاصر اهل المطير ، فصالحاه على نصف اموالهم ، ثم سار الامير بجموعه الى « المبرز » فخرج اليه زيد بن عريعر بمن عنده من الفرسان وحصل بينهم قتال عنيف انهزم زيد على أثره ، الى البلدة ، وبعد أيام سارت الجموع الى المبرز وجرت معركة « المحيرس » وسقط فيها حوالي ١٠٠ قتيل ، ثم سارت الجموع الى بلاد ابن بطال وبعد عدة معارك انتصر فيها الامير سعود ورجاله سارت الجموع الى الشرق ونازلت اهل (الجبيل) وقتلت عدداً كبيراً منهم ، وهنا قدم براك بن عبد المحسن على الامير عبد العزيز ، ورجاه باسم اهل الاحساء أن يرفق بهم فيبايعوه على السمع والطاعة ، فأجابه الامير سعود الى ذلك ورحل عنهم عائداً الى الدرعية ، ورجع براك بن عبد المحسن الى الاحساء مطالباً أهلها بالوفاء بما عاهدوه عليه ، فنبذوه وقاتلوه واستمروا على عنادهم ، ولكن فريق السياسب دخلوا الى (المبرز) وبعد قتال عنيف بين الفريقين تمكن براك من السيطرة على البلاد ، وانهزم اولاد عريعر من الاحساء ، ودخل براك الهفوف فبايعه اهلها وأهل الاحساء ، وأصبح براك نائباً للامير عبد العزيز في الاحساء ، وبزوال ولاية زيد بن عريعر عن الاحساء زالت ولاية آل حميد المستقلة لهم في الاحساء والقطيف ونواحيها .

وفي هذه السنة سار محمد بن معيقيل بأهل الوشم والسدير ونهض معه عدد كبير من عشائر قحطان ومطير وبني حسين والدواسر وهاجم عالية نجد ، وأغار على بني هاجر ورئيسهم يومئذ ناصر بن شري ، فوقعت عدة معارك بين الفريقين انهزم ، على أثرها ، بنو هاجر وقتل منهم عدة ابطال ، بينهم رئيسهم ناصر المذكور ، واخذ الغزاة جميع أموالهم من الابل والغنم والمتاع ، وارسل محمد بن معيقيل خمس الغنائم

الى الامير عبد العزيز وقسم الباقي بين جنوده .

وفي هذه السنة اوعز الامير عبد العزيز الى أهل الوشم والقصيم وجبل شمر بغزو دومة الجندل المعروفة باسم « جوف آل عمرو » في الشمال ، فتحركت هذه القوات برئاسة محمد بن معيقيل ومحمد بن عبد الله آل حسن ومحمد بن علي ، ونازلت أهل تلك الديار فاحتلت ثلاث قرى منها ، وحاصرت غيرها الى أن أعلن السكان مبايعتهم الامير على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

ثم سار ابراهيم بن عفيصان بأهل الخرج وجيرانهم نحو قطر ونازل أهل « الحويلة » الكائنة على شاطىء خليج العرب « الفارسي » فاحتلها ثم سار ابراهيم المذكور غازياً الكويت وقتل من أهلها ٣٠ رجلاً .

وفي شهر شعبان من سنة ١٢٠٩ هاجم الامير سعود عشائر الظفير في موقع « الحجرة » فهزمها وقتل من رجالها عدداً كبيراً واخذ منها ١٥٠٠ بعير وجميع اغنامها وأثاث حلتها ، ثم قفل راجعاً ، وفي شهر ذي القعدة سار الامير سعود بجيوشه نحو الحجاز ، فنازل اهل « تربة » وحاصرها بشدة وقطع كثيراً من نخيلها ، وبعد قتال عنيف صالحه اهل البلدة فرجع الى دياره .

وفي هذه السنة ارسل الامير عبد العزيز جيشاً من أهل الخرج وعلى رأسه ابراهيم بن عفيصان فداهم « قطر » واخذ منها اموالاً وابلاً كثيرة باعها في الاحساء .

شريف مكة يداهم نجداً ثانية :

وفي سنة ١٢١٠ جمع الشريف غالب بن مساعد قوات كبيرة وجعل الشريف فهيد قائداً عليها ، وانضمت اليه عشائر الحجاز ،

فسار بهذه الجموع وهاجم ابن قرملة وعشائره من قحطان ، وكان نازلاً على ماء « ماسل » في عالية نجـد ، وبعد قتال عنيف انهزم ابن قرملة ومن معه وقتل من قبيلته الجحادر القحطانية نحو ثلاثين فارساً ، ومثلت قوات الشريف بالرجال وانهزم الرجـال والنساء والاطفال حفاة عراة لا ماء لديهم ولا طعام ولا ما يركبونه ، وكان الحر على أشده . ولما أشرفوا على الهلاك أرسل الله عليهم سحابة فأمطرت وشربوا واغتسلوا ، وبذا أنقذهم الله من الهلاك .

وسار محمد بن معيقيل صاحب « شقراء » باهـل الوشم نحو عشائر عتيبة وهم فوق ماء « مران » بجوار حرة كشب دون مكة المكرمة بقليل وأخذ منهم ابلا كثيرة .

وفي الوقت ذاته سار الامير سعود بجيوشه من جميع اهل نجـــد قاصداً الحجاز فأغار على عشائر مجتمعة من عتيبة ومطـير وهم في الحرة برئاسة « ابو محيور » العتيبي ، فأخذ الامير منهم نحو ١٢٠٠ بعـير واغناماً كثيراً ومتاعاً وقتل أبا محيور والقدح من رؤساء مطير ، وقتل من جماعة الامير رئيس فرسانه سبيل بن نصير المطرفي .

وفيها تحرك قاعد بن ربيع بن زيد صـــاحب وادي الاواسر نحو عربان بني هاجر فقتـل منهم ٤٠ رجلاً واخذ ابلهم واغنامهم وخيولهم واموالهم .

وفي هـــذه الفترة كان الشريف غالب بن مساعـــد صـاحب مكة المكرمة جمع جموعـاً كثـيرة من الحضر والبدوان واستعمـــل عليهم امـيراً الشريف ناصر بن يحيى وساروا من مكة المكرمة .

ولما بلغ خبرهم مسامع الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود اوعز الى محمد بن ربيعان ومن معه من عربان عتيبة وفيصل الدويش ومن تبعه من عشائر مطير ، كما اوعز الى عشائر السهول وسبيع والعجمـــان وغيرهم من عشائر نجد ، بأن ينزلوا على هادي بن قرملة رئيس قحطان

وجميع عربانه ، ثم أوعز الامير عبد العزيز الى ربيع بن زيد الدواسري امير الدواسر بأن يسيروا بالدواسر وانصارهم وينزلوا ايضاً على هادي المذكور ، واجتمعت هذه القوات الكبيرة قرب ماء « الجمانية » بعالية نجد عند جبل قريب من مياه قريبة منهم .

ولما علم الشريف ناصر بذلك تحرك بقواته يتقدمها مدفع واحد فقط ، ونزل على ماء الجمانية ايضاً ، وقد حضرت اليه جموع غفيرة من بوادي الحجاز حاملة اموالها ومتاعها ، فالتقت هذه الجموع على ذلك الماء واستعر القتال بين الفريقين وسقط منها عدد كبير من القتلى ، ولما ضاق الامر على قوات الامير عبد العزيز حمل هادي بن قرملة بقواته على الشريف ناصر وقواته حملة صادقة موفقة ، فولى الشريف ورجاله الادبار ولحق بهم هادي بن قرملة وجنوده ، وامعنوا بالمنهزمين ضرباً وطعناً فسقط منهم ٣٠٠ رجل ، وغنم ابن قرملة من الابل والغنم والمتاع ما لا يعد ولا يحصى واخذ خيمة الشريف ناصر ومدفعه ، وعزلت اخماس هذه الغنائم الى الامير عبد العزيز وقسم الباقي على جنوده الميامين ، وانهزم الشريف ومن بقي سالماً وعادوا الى اوطانهم .

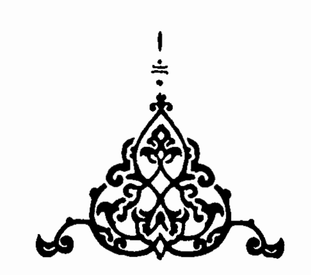
وكان الامير عبد العزيز قد بعث محمد بن معيقيل على رأس جيش لاسعاف ابن قرملة فانقضى الامر قبل وصوله ، وحث ابن معيقيل السير في اثر قوات الشريف ناصر المنهزمة فأدرك منها بني هاجر وهم على الماء « القنصلية » قرب بلدة تربة ، فأغار عليهم واخذ ما بقي من اموالهم وقتل منهم حوالي اربعين رجلاً .

وفي شهر رمضان من هذه السنة اتفق صالح بن النجار وعلي بن حمد وسلطان الجبيلي ورجال من رؤساء اهل الاحساء على نقض العهد الذي قطعوه لآل سعود ووجوب محاربتهم .

وقد تبين امر هؤلاء فارادوا من عشـيرة السياسب موافقتهم على اتفاقهم ، فأبت ذلك وقاتلتهم وامتنعت وارسل السياسب الى الامير عبد العزيز يستنجدونه ، فبعث اليهم ابراهيم بن سليان بن عفيصان في جيش كطليعة امام ابنه سعود ، ولما وصل البشير بذلك الى السياسب استبشروا وقويت قلوبهم ، وعندما رأى صالح بن النجار ذلك ارسل الى مهوس ابن شقير رئيس العتبان واخذ منه الامان فأمنه . واما الرفعة والنعائل واهل الشرق فقد صمموا على امرهم بنقض العهد واصروا على الحرب ، فقاتلهم ابن عفيصان ومن معه من السياسب والعتبان وضيق ابن عفيصان على ابن عفالق والحبابي فطلب منه هؤلاء الامان والسير الى الامـير عبد العزيز لاعلان ولائهم ، فاذن لهم بذلك وساروا الى الدرعية .

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة سار الامير سعود بن عبد العزيز من الدرعية ونزل روضة « محرقة » قرب الوشم ودخل « شقرا » للسلام على اهلها والاجتماع بهم فأضافوه ، وبقي على حاله هذه اياماً الى أن اجتمع اليه جميع السكان ، فتحرك بهذه القوى العظيمة الى منطقة الاحساء ونزل قرب « الرقيقة » مزارع الاحساء وبات تلك الليلة واوعز الى مناديه في الامة بان يوقد كل رجل ناراً وان يطلق بندقيته عند طـلوع الشمس . ولمـا اصبـح الصباح رحل الامير سعود وما ان ركب كل فرد مطيته حتى اطلق رصاصة من بندقيته وهنا سمع السكان هـذه الاصوات الرهيبة وشعروا كأن الارض قد اهتزت من تحتهم ، واسقط كثير من النساء الحوامل في الاحساء ، ثم نزل الامير سعود في الرقيقة المذكورة وامر اهل الاحساء بالاجتماع اليه ، ففعلوا وراح يقتل من يشاء ويبعد من يشاء ابعاده ويحبس من اراد حبسه ، ويهدم بعـض المحال ، ويبني ثغوراً ويهدم دوراً وضرب عليهم الوفـاً من الدراهم وقبضها منهم وذلك لـمَّا تكرر منهم من نقض العهد ونبذ المسلمين وجر الاعداء اليهم .

وقد جاء في كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » وصف لهذه الوقعة ، فقال : « لقد اكثر سعود فيهم القتل ، فكان مع ناجم بن دهينيم عدة من الرجال يتخطفون في الاسواق لأهل الفسوق ونقّاض العهود ، وكان اكثر القتل في ذلك اليوم في الاحساء بالتلفقية والسوادية المجتمعة على الفسوق الذين فعلتُهم في الاحساء بأهوائهم ، كلما ارادوا شيئاً فعلوه ولا يتجاسر احد ان يأمرهم او ينهاهم لكثرة تعديهم . فهذا مقتول في البلد ، وهذا يخرجونه الى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة الامير سعود حتى افناهم الا قليلا ، وحاز سعود من الاموال في تلك الغزوة ما لا يعدّ ولا يحصى ، ولما اراد سعود الرحيل من الاحساء امسك عدة رجال من رؤساء اهلها ، منهم علي بن حمد وآل عمران وبريكان ومحمد حسن العدساني وظهر بهم الى الدرعية واسكنهم فيها واستعمل في الاحساء اميراً عليهم ناجم المذكور وهو رجل من عامتهم » !!



الفصل الرابع

دَسَائِسُ وَفِتَنُ ٱلأَتْرَاك

وفي سنة ١٢١١ هجرية ، عزل سليمان باشا والي العراق حمود بن تامر عن ولاية المنتفق وعين مكانه تويني بن عبد الله وبعثه من بغداد الى البصرة .

وقد كان تويني ، بعد ان غزاه الامير سعود في ديرة بني خالد ، قصد البصرة ونزل على ماء « سفوان » فاجتمع اليه عدد من عربان المنتفق . فأغار حمود بن تامر عليه ونهبه وقتل من رجاله عدداً كبيراً ، وهرب تويني بعدها الى « الدورق » في بلاد كعب ، وذلك في سنة ١٢٠٤ ، ثم خرج من الدورق وقصد بني خالد فاستنصرهم واستنجدهم وكان رئيسهم يومئذ زيد بن عريعر ، فلم ير منهم نفعاً ، فسار الى الدرعية مستنجداً بالامير عبد العزيز نفسه ، فأكرمه واعطاه عدداً من الخيل والابل ومبلغاً جيداً من المال ، ثم رجع تويني الى الكويت وقصد العراق مترامياً على الوالي سليمان باشا ، فسامحه وعفا عنه

واقام تويني عنده هذه المدة محاولا ان يوليه امارة المنتفق ، ووعده بان يسير الى نجد ويخربها ويقتل اهلها . فوقّع سليمان باشا امراً بتعيين تويني والياً على المنتفق وعزل حمود بن تامر ، وسيّره سليمان باشا من بغداد بقوات عسكرية كبيرة ، ولما استقر تويني في المنتفق والبصرة استنفر جميع رعاياه وحشد معه عربان المنتفق واهل الزبير والبصرة ونواحيم وحشد جميع عشائر الظفير ، ثم حشد بني خالد كلهم دون ان يغيب منهم غير الزعماء المشاهير ورئيسهم براك بن عبد المحسن ، ونزلوا جميعهم عليه .

بهذا الجيش اللجب تحرك تويني من البصرة قاصداً ديار نجد ، فنزل ماء « الجهرا » قرب الكويت ، ودام حوالي ثلاثة اشهر وهو يجمع العشائر والاحلاف والانصار والجنود والمدافع وغيرها من عدة الحرب الميسورة في ذلك العهد ، والطعام واللباس ، وأركب قواتٍ كبيرة اخرى في البحر من البصرة امل ملاقاته في ساحل القطيف .

ولما بلغ الاميرَ عبد العزيز ما يفعله تويني ، أوعز الى سكان الخرج والفرع ووادي الدواسر والافلاج والوشم وسدير والقصيم وجبل شمر ، فاجتمع لديه جيش عرمرم واستعمل عليه اميراً محمدَ بن معيقل ، وتحركت هذه القوات نحو ماء « الطف » في ديار بني خالد ، ثم اوعز الامير عبد العزيز الى عشائر مطير وسبيع والعجمان والسهول وغيرهم من بوادي نجد بحشد اهاليهم ومواشيهم والذهاب الى ديرة بني خالد وان يتفرقوا على منازل ، المياه والثبات في وجه القوات الزاحفة للقتال .

ثم حشد الامير سعود اهل العارض واستلحق غزواً من البلدان ونزل « التنهات » الروضة المعروضة في الدهناء واقام فيها ، ثم نزل منها الى ماء « الحفر » واقام عنده اكثر من شهرين .

واما توني فقد اعد جنوده في « الجهرا » ورحل منها قاصداً الاحساء ، ولما علم سكان البادية برحيله رحلوا عن « قرية » وعن « الطف » وانحازوا الى ام ربيعة وجودة وهما مكانان للماء ، واشتد عليهم الامر وساءت الظنون وكثر فيهم الخوف ، لا سيا عندما نزل تويني في الطف .

وكان الامير سعود ارسل جيشاً من الحضر بقيادة الامير حسن بن مشاري بن سعود ، واستعمله على القوات التي بقيادة ابن معيقل ، فصارت هذه القوة بمثابة حامية لسكان البادية ودرعاً لهم .

أما تويني فانه ارتحل من الطف ونزل على ماء « الشباك » المعروف في ديرة بني خالد ، وبذا كثر الخلل ، ووقع الاضطراب في صفوف سكان البادية من انصار الامير سعود .

وقد شاء القدر ان يضع لحملة تويني حداً على يدي عبد اسود ، وذلك ان عبداً اسمه « طعيس » وهو من عبيد جبور بني خالد ، كان قد فارق براك بن عبد المحسن حين نقض عهده مع البيت السعودي وتبع تويني واتى غازياً ، ثم اصبح مع بني خالد عند براك ، فصمم على قتل تويني ، وحين نزل تويني موقع « الشباك » المذكور واتخذ مقعده في مجلسه وعنده اثنان من خواصه والناس يحطون برحالهم ، اقبل العبد من خلفه يحمل زانة برأسها حربة وطعنه بها بين كتفيه طعنة واحدة جعل الله بها حتفه ، وقتل العبد من ساعته ، وحمل تويني الى داخل المخيم واراد رؤساء قومه العناد فقالوا انه حي .... وراحوا ينادونه باسمه ويقدمون اليه القهوة والتنباك ، والحقيقة انه كان فارق الحياة ، فنادوا بأخيه ناصر اميراً مكانه !!

وكان بين براك وحسن بن مشاري آل سعود مراسلة لانه اظهر ندمه على السير مع تويني ، فلما قتل تويني على يدي العبد انهزم براك إلى حسن بن مشاري ومن معه من الجنود ، وهنا تخاذلت قوات

تويني وارتحلت منهزمة لا تلوي على شيء ، فتبعتها قوات الامير سعود وقتلت من رجالها عدداً كبيراً وغنمت اموالا كثيرة ، واخذت جميع المدافع والقنابل التي كانت معها ، وعادت الى الدرعية ، وكان مقتل تويني في الرابع من شهر محرم الحرام أول سنة ١٢١٢ هجرية ، وسميت هذه الواقعة « سجية » واشتهر امرها بين القبائل والعشائر حتى يومنا هذا !!

ولما فرغ الامير سعود من تقسيم الغنائم نزل في شمال الاحساء ، وخرج اليه السكان وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

وفي هذه السنة هاجم ربيع بن زيد امير الدواسر ، بأمر من الامير عبد العزيز ، الحجاز فاغار على عربان شهران وقتل منهم نحو خمسين رجلا واخذ منهم ابلا واغناماً كثيرة .

غزوات شريف مكة وانهزامه :

وفي سنة ١٢١٢ عين سليمان باشا والي العراق حمودَ بن تامر على المنتفق بعد قتل تويني . وارسل الشريف غالب صاحب مكة المكرمة قوة من الجنود فأغاروا على فريق من عشائر قحطان في اراضي الحجاز ، وخيّمت قحطان على الماء ، وجنود الشريف في ظمأ شديد ، ودارت المعركة فانهزم جند الشريف بعد ان قتل منهم خمسين نفراً .

ثم سار ربيع بن زيد على اهل « بيشة » و « الجنينة » في جهات الحجاز ، وضيّق عليهم الحصار حتى بايعوا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

ولما سمع شريف مكة غالب بذلك ، ارسل قوة كبيرة من جنده بقيادة الشريف فهيد بن عبد الله ، فنازل اهل « بيشة » وحاصرهم وقطع

نخيلهم فدخلوا في طاعته وقتل عدداً من رجالهم ، ثم سار الشريف فريد الى « رنية » فحاربوه ، وقتل عدد من رجال الفريقين .

وفيها هاجم هادي بن قرملة عربان « البقوم » في الحجاز فهزمهم وقتل منهم عدة رجال .

وبعد شهرين غزاهم لثاني مرة وسلب اغنامهم وابلهم ، وقتل عدداً من رجالهم .

وفي هذه السنة اوعز الامير عبد العزيز الى مانع ابي رجلين الزعبي بالهجوم على الكويت ومعه جيش من اهل الاحساء واغتنم عدداً كبيراً من الابل والاغنام .

وفي هذه السنة ارسل حمود بن ربيعان ومن معه من عشائر عتيبة وعربان الحجاز الى الامير عبد العزيز طالبين اليه قبول مبايعتهم اياه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وايتاء الزكاة وقدموا اليه بعض الاموال نوالا ، فاجابهم الامير عبد العزيز الى ذلك واخذ على كل بيت عدة دراهم معلومة . فلما بلغ الشريف غالب صاحب مكة المكرمة ذلك افزعه هذا الامر ، وجهز قوة من الجند من مكة المكرمة وما حولها وخرج بنفسه قاصداً هادي بن قرملة ومن معه من قحطان وغيرهم ، ونازلهم ، وبعد قتال خفيف اخذ الشريف من هادي مقداراً من ابله واغنامه ومتاعه ، ثم نزل بهذا كله على ماء « القنصلية » قرب « تربة » ونزل هادي بن قرملة في « رنية » فسار الشريف بقواته اليه وتقاتل الطرفان وخسرا عدة رجال .

وفي هذه السنة وفد رؤساء « البقوم » على الامير عبد العزيز وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة .

وفيها غزا حجيلان بن حمد امير ناحية القصيم بجيش من اهل القصيم وغيرهم ، ارض الشام ، واغار على عشيرة الشرارات فانهزموا امامه وقتل منهم نحو مائة وعشرين رجلا ، واخذ ابن حمد منهم نحو خمسة آلاف بعير واغناماً كثيرة وامتعة وفيرة ، وارسل خمس الاغنام الى الامير

عبد العزيز وقسم باقيها على الجنود .

وفي شهر رمضان المبارك من هذه السنة قام الامير سعود بن عبد العزيز على رأس قوة كبيرة جمعهـــا من جميـــع نواحي نجد ، وقصد بها الشمال حيث اغار بها على « سوق الشيوخ » في العراق وقتـل عدداً لا يحصى من اهلها وانهزم عدد آخر وغرقوا في الشط .

ثم هاجم الامير بهذه القوة « السماوة » فحضر اليه جواسيسه واخبروه بأن عرباناً كثيرة قد اجتمعت في « الابيض » الماء المعروف قرب السماوة، فوجّه الامير جيوشه واغارت عليها ، وكانت تلك البوادي غاصة بعشائر شمر ورئيسها مطلق بن محمد الجربا الفارس المشهور ومعه عدد من قبائل الظفير وآل بعيج والزقاريط وغيرهـــا ، ودارت رحى المعركة بين الفريقين حامية شديدة ، فقتل في ذلك اليوم مطلق الجربا المذكور ، وكان على جواد سابق يكرُّ فيه على جنود الامير يمنة ويسرة ، ويصول ويجول ، فعثر فيه جواده بنعجة ، وادركه خزيم بن لحيان رئيس السهول وفارسهم المشهور فقتله ، وغنم الجيش السعودي بهذه الوقعة اكثر ابـل الاعداء ومتاعهم ، وقتل من الجيش السعودي عدة رجال بينهم البطل براك بن عبد المحسن رئيس بني خالد ، ومحمد العلي رئيس بني المهاشير .

وقد اغتنم شريف مكة غياب الامير سعود في تلك الاصقـــاع ، فجهز حملة كبيرة ، وسار في شهر شوال من تلك السنـــة على رأس الحملة إلى بلدة « رنية » ونازل اهلها وحاصرهم ودمر نخيلهـا واحرق زروعها واشتبك الفريقان بمعركة خسر فيها شريف مكة غالب بن مساعد عدداً من رجاله ، واقام على البلدة عشرين يوماً ثم ارتحـــل منها الى « بيشة » ونازل اهلها ، واشتبك معهم بقتال عنيف . وكان يوجد له بين اهلها بطانةٌ خاصة فمالوا معه ، وظفر بالبلدة ودخل سكانها في طاعته واقام فيها اياماً . وكان قبل حصاره بلدتي « رنية » و « بيشة » قد اغار على عشائر قحطان وابن قرملة واخذ ابلا كثيرة وامتعة وقتل منهم

عدة رجال .

ثم نزل الشريف غالب وقواته بلدة « خرمة » بالقرب من « تربة » واعجب بنفسه وبقوته وراح يستعد لمهاجمة نجد .

ووصلت انـــباء هذه الحملة الى سمع الامير سعود وهو في غزوته بالشمال ، فارسل قوة من بعض اهل النواحي لتكون مدداً للعشائر وعوناً لها في تلك الديار ، ثم ارسل الاميرَ عبد العزيز الى هادي بن قرملـة ومن لديه من قبائل قحطان وربيـع بن زيد امير البوادي ، وامر ايضاً عدة قبائل من اخلاط البوادي وجيشاً من الحضر ، أن يكونوا جميعـاً صفاً واحداً في وجه الشريف غالب وقواتـــه . فتوجهت هذه القوات الى خرمة وداهمت الشريف في عقر داره ، فانهزمت قواتـه لا تلوي على شيء تاركة خيامها واموالها ، والقوات السعودية مستمرة في مهاجمة ساقة قوات الشريف تقتـل وتغنم ، فـكانت موقعـــة وصفت بانها « عظيمة » وقدر عدد القتلى من جيش الشريف بالف ومائتين وعشرين رجلا بينهم الشريف سعود بن يحيى بن بركات ، وابن اخيه هيازع ، وعبد الملك بن ثقبة ، وسلطان بن حازم ، وحسن الياس وغيرهم من رؤساء القوم. وقتل من قريش اربعون رجلا ، ومن ثقيف ثمانون رجلا ، وقتل من الجند ما ينوف على اربعماية جندي ومن المصريين مائتان ، ومن المغاربة ثمانون وفقد من العبيد ١٥٠ عبداً بين قتيل واسير . واخذت القوات السعودية جميـع الذخائر والخيام والمتاع ، ولم تقم للشريف غالب بعـــد هذه الوقعة قائمة ، وارسل الى الامير عبد العزيز فصالحـه واذن له ولشعبه بالحـــج .

والي العراق يهاجم الديار النجدية :

دخلت سنة ١٢١٣ ، وقد قام ربيع بن زيد ، في اولها ، بالهجوم على « بيشة » ومعه قوات كبيرة من اهل الدواسر وقحطان ، فحاصروها بشدة واستولوا على قراها صلحاً وعنوة ، ثم بايع سكانها على دين الله ورسوله والسمع والطاعة واستعمل الامير عبدُ العزيز عليها اميراً سالم بن محمد شكبان .

وفي هذه السنة جمع سليمان باشا والي العراق قوات هائلة من العراق والاكراد والجرة والبصرة ، وعيّن وزيره علي كيخيا ، قائداً لهذه الحملة . وانضمت اليه عشائر المنتفق وعلى رأسها زعيمها حمود بن تامر وآل بعيج والزقاريط وآل قشعم وجميع بوادي العراق وعربان شمر والظفير مزوداً بعدد من المدافع وآلات الحروب ، ثم تبعه اهل الزبير وما يليهم . وبلغ عدد الخيل في هذه القوة حوالي ١٨ الف رأس ، وسار علي كيخيا بهذه القوات الكبيرة الى الاحساء وما ان وصلها حتى انضم اليه اهل « المبرز » و « الهفوف » والقرى الشرقية ونقضوا بذلك العهد الذي قطعوه . ولكن قصر « المبرز » وحصن « الهفوف » امتنعا على القائد كيخيا ، فزحف على القصر وحاصره منذ السابع من شهر رمضان الى السابع من شهر ذي القعدة ، اي مدة ستين يوماً كاملة ، ورماه بالقنابل وهدم بعض جدرانه وكاد يهدمه بأجمعه ولكن الابطال الاشاوس الذين بداخله كانوا يبنون مكان الهدم باسرع ما يمكن من نيطان التمر ، وكان لا يوجد في القصر سوى مائة رجل فقط اكثرهم من نجد وعلى رأسهم البطل الصميدع سليمان بن محمد ماجد من اهل بلدة ثادق . ولما طال المقام على قوات علي كيخيا دب الملل في نفوسهم وارتحلوا عن الاحساء ومعهم اولئك الذين نقضوا العهد من اهل البلاد ، وتركوا اموالهم وامتعتهم ، وقام الكيخيا بجمع ما صنعه من السلالم

والزحافات الخشب وجزوع الشجر وشيئاً من خيامهم ومتاعهم وطعامهم واشعل فيها النيران خشية ان تقع بيد الامير وقواته .

اما القصر الذي حاصروه فاسمه « قصر صاهود » واما الذين امتنعوا على الكيخيا في قصر الهفوف فرئيسهم يدعى ابراهيم بن سليمان بن عفيصان ومعه عدد من اهل الخرج وغيرهم .

وقد كان الامير سعود بن عبد العزيز سار بأهل نجد نحو الاحساء ، فلما علم برجوع الكيخيا اراد ان يغير على مؤخرته ويأخذ من شذ من العشائر ، فسبق الامير قوات الكيخيا ونزل وجيوشه الماء الشهير باسم « تاج » في ديرة بني خالد ، وهكذا جمع الله بين الامير سعود وبين قوات عدوه على غير ميعاد ، ووصل الكيخيا الى الماء المعروف باسم « الشباك » قرب « تاج » وزحفت قوات الكيخيا على قوات الامير سعود في « تاج » وهنا تبايع فرسان الامير على الموت ودارت رحى المعركة عنيفة شديدة الى ان ارغم الكيخيا على طلب الصلح شريطة عودة كل فريق بالسلامة والعافية حقناً للدماء ، فقبل الامير سعود ذلك وتم الصلح بين الفريقين وارتحل كل منهم الى وطنه . وقصد الامير سعود بعدها الاحساء ورتب حصونه وثغوره واقام هناك مدة شهرين واستعمل عليه اميراً سليمان بن محمد ماجد ، ثم رحل عائداً الى عاصمة دياره .

وفي هذه السنة قام ركب من اهل نجد باداء فريضة الحج وفي الركب علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وذلك بعد ان سمح شريف مكة لأهل نجد باداء هذه الفريضة اثر انكساره في موقعة خرمة كما اسلفنا .

سعود يؤدي فريضة الحج :

وفي سنة ١٢١٤ قام الامير سعود بن عبد العزيز باداء فريضة الحج لاول مرة ورافقه عدد كبير من اهالي نجد والجنوب والاحساء والبوادي وغيرهم ، وكانت حجة حافلة بالشوكة والمهابة ، ورجع الجميع وهم موفورو العزة والكرامة .

وفي سنة ١٢١٥ حج الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود ورافقه عدد كبير جداً من اهل نجد والعشائر رجالاً ونساء واطفالا وولده الامير سعود ، ولكنه ما كاد يسير مسافة سبعة ايام حتى شعر بالملل والضجر ، واطلع ولده على ذلك فدعاه للرجوع ، ورجع عبد العزيز بعد وصوله الى مقربة من الدوادمي بعالية نجد ، الى الدرعية ، وحج ولده الامير سعود بالمسلمين واعتمروا على احسن حال واجتمع الامير سعود الى شريف مكة غالب ، وبذل في مكة من الصدقات والعطاء شيئاً كثيراً وكانت هذه الحجة حجته الثانية .

مداهمة كربلاء :

وفي سنة ١٢١٦ هـ ، سار الامير سعود على رأس قوات كبيرة جمعها من نجد والعشائر والجنوب والحجاز وتهامة وغيرها ، وقصد بها العراق ، وتمكن جماعة من هذه القوة ، من الوصول الى بلدة « كربلاء » في شهر ذي القعدة من هذه السنة ، وحاصروها ، وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة وقتلوا اكثر اهلها في الاسواق والبيوت ، وخرجوا منها قرب الظهر ومعهم اموال كثيرة .

وارتحل القوم بعدها الى الماء المعروف باسم « الابيض » فجمع سعود

الغنائم وعزل خمسها وقسم الباقي بين جنوده للراجل سهم وللفارس سهمان ثم عاد الى وطنه .

احتلال البحرين :

وفي هذه السنة سار سلطان بن احمد صاحب مسقط في كثير من المراكب ونازل اهل البحرين واستولى عليها من اصحابها آل خليفة . فسار هؤلاء الى الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود واستنصروه ، فأمدّهم بجيش كثيف من رجاله ، وساروا به الى البحرين وقاتلوا المحتلّ واخرجوه من ديارهم . وقد قتل من جماعة سلطان بن احمد حوالي الفي رجل !!

إمارة سعودية على الحجاز :

وفي سنة ١٢١٧ توفي سليمان باشا والي العراق فخلفه كيخيا علي باشا . وفي هذه الاثناء نقض الشريف غالب صاحب مكة الصلح مع الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وفارق عثمانُ بن عبد الرحمن المضايفي الشريف غالب وقد كان وزيره ، وخرج من مكة المكرمة ، ووفد الى الامير عبد العزيز وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، ونزل بلدة « العبيلا » بين تربة والطائف واجتمع اليه الجنود من اهل الحجاز وغيرهم .
ثم سار الشريف غالب بالجنود والجموع الى وزيره السابق المضايفي ونازله في « العبيلا » ووقع القتال بين الطرفين على غير طائل ، ورحل

الشريف بقواته الى الطائف ، وقد استنجد المضايفي بذوي الامير عبد العزيز ، فسار اليه سالمُ بن شكبان بأهل « بيشة » وقراها ، ومسلطُ بن قطنان باهل « رنية » وقراها ومن كان عنده من عشيرة سبيع ، واحمدُ ابن يحيى ومعه أهل تربة والبقوم ، وهادي بن قرملة ومعه جيش من قحطان وعتيبة ؛ وبعد ان توفرت هذه القوات لدى المضايفي توجه بها مهاجماً الطائف وقد تحصن الشريف فيها وتأهب واستعد للحرب ، فنازلته تلك الجموع ، ولم يلبث حتى انهزم عائداً الى مكة المكرمة وترك الطائف خالية ، فدخلها المضايفي ومن معه وقتلوا من أهلها من الخوارج العصاة حوالي ٢٠٠٠ شخص وغنموا مقداراً كبيراً من الاموال والقماش والسلع الثمينة ، وضبط المضايفي المدينة وجمع الاخماس من الغنم وارسلها الى الامير عبد العزيز فقرر تعيين عثمان المضايفي اميراً على الطائف والحجاز .

احتلال مكة :

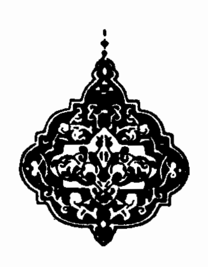
لقد حصلت هذه الوقعة والامير سعود بن عبد العزيز غائباً في جهاده ، وقد اصدر اوامره الى جميع عماله بوجوب الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله ، وارسل رجالا الى العشائر ليأتوا اليه بالاخماس ، ونزل هو في السبلة قرب الزلفى واجتمع اليه عدد كبير من الخلق ، وقصد الحجاز ونزل العتيق ، الوادي المعروف قرب الريعان وكان ذلك وقت الحج ، وفي مكة يوجد خليط من حجاج الشام ومصر والمغرب وامام مسقط وغيرهم وهم في قوة هائلة ، فهموا بالخروج الى الامير سعود والمسير الى قتاله ولكنهم تخاذلوا وفسد امرهم وانصرفوا الى اوطانهم . وخاف الشريف غالب مغبة الامر فانهزم الى جدة وتبعه جنوده ورجاله

وحمل معه خزائنه وذخائره وبعض متاعه .

ورحل الامير سعود من العقيق برجاله ونزل المغاسل فاحرموا بعمرة ، ثم دخل مكة المكرمة واستولى عليها واعطى اهلها الامان وبذل فيها من الصدقات شيئاً كثيراً ، ولما فرغ الامير سعود والمسلمون من الطواف والسعي ، ارسل اهل النواحي فراحوا يهدمون القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الاخرى . وقد كان في مكة المكرمة شيء كثير من هذا النوع .

وكان الشريف غالب في هذه المدة يراسل الامير سعود ويخادعه طالباً الصلح ، ويبذل المال في هذا السبيل ، وقد اراد من ذلك تحصين جدة وحمل ما فيها الى السفن .

وقد رحل الامير سعود من مكة بعد ان استعمل عليها اميراً الشريف عبد المعين بن مساعد ، ونازل الامير مدينة جدة وحاصرها اياماً فوجدها منيعة بسور حصين وخندق امامه ، فرحل الامير عنها الى وطنه بعد ان وضع عدداً من جنوده في قصور مكة المكرمة .





المملكة العربية السعودية
العراق
ايران
الخليج الفارسي
البحر الأحمر
مصر
السودان
قطر
الأردن
شبه جزيرة سيناء
الربع الخالي
النفود
نفود الدحي
الدهناء

الفصل الخامس

آغتِيال الإمام عَبْدِ ٱلْعَزِيز

لقد امتد ملك الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، بعد هذا الجهاد المتوالي الرائع في سبيل اعلاء كلمة الله وتثبيت دعائم الدين الحنيف وقواعد التوحيد ، فشمل الديار النجدية من حد الى حد ، وتطاول بعدها الى الحجاز فشمل مكة المكرمة والطائف والمدينة المنورة ، واقام اميراً على مكة المكرمة الشريف عبد المعين بن مساعد كما اسلفنا في الوقت الذي اقام عثمان المضايفي اميراً على الطائف .

وكان الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود قد ارسل جيشاً عرمرماً بقيادة ولده الامير سعود الى العراق ، فهاجم جماعة من هذا الجيش ، في شهر ذي القعدة سنة ١٢١٦ مدينة « كربلاء » في النجف من اعمال العراق كما مر ذكره ، وذكر المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر النجدي في كتابه : « عنوان المجد في تاريخ نجد » — الجزء الاول صفحة ١٣٠ — : « ان الغزاة قد هدموا القبة الموضوعة بزعم من

اعتقد فيها على قبر الحسين « عليه السلام » واخذوا ما في القبة وما حولها ، واخذوا النصيبة التي وضعوها على القبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر واخذوا جميع ما وجدوا في البلد من انواع الاموال والسلاح واللباس والفرش والذهب الخ ... » .

أما كتاب : « تاريخ نجد – روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام » فقد اقتصر بتدوين الوقائع حتى سنة ١٢١١ هجرية ، فلذا اتى تاريخه خالياً من ذكر حادثة كربلاء وكيفية اغتيال الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، فالوقعة الاولى حصلت في سنة ١٢١٦ هـ والثانية في سنة ١٢١٨ هـ . والشيخ ابن بشر هو من الذين ادركوا ، تقريباً ، عهد الامير عبد العزيز بن محمد وعاصروا عهد ولده سعود ، ودوّن الوقائع صحيحة مضبوطة ، فعليه المعول في تدوين هذا الفصل من هذا التاريخ ، وقد توفاه الله في سنة ١٢٨٨ هجرية ، وكان اخذ معلوماته لتدوين سيرة وجهاد آل سعود عن « اشارات لطيفة في تتابع السنين ورسم وقائع كل سنة من افواه رجال شاهدوها ونقلوا ما لم يشاهدوه عن اشخاص شاهدوها » وبذل جهده في تحري الصدق – كما يقول – ولم يكتب الا ما وقع في ظنه انه الحق .

لقد غزت جماعة الامير سعود بن عبد العزيز في سنة ١٢١٦ مدينة « كربلاء » في العراق كما اسلفنا ، ونهبت هذه المدينة وهي في نظر اهل الشيعة « بلد حرام » . وفي العشر الاواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨ قتل الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطريف بالدرعية ، بينما كان ساجداً يؤدي صلاة العصر ، فقد مضى اليه رجل قيل انه كردي من اهل « العمارية » المعروفة في لواء الموصل ، واسمه عثمان ، وكان اقبل من وطنه قصد اغتيال الامير سعود بن الامير عبد العزيز ، ولكنه اودى بحياة الامير عبد العزيز لعجزه عن ادراك ولده

سعود .

لقد وصل القاتل مدينة الدرعيـة وهو في شكل « درويش » وادعى انه مهاجر ، واظهر التنسك والطاعـة وتعلم شيئاً من القرآن الكريم ، فأكرمه الامير عبد العزيز واعطاه وكساه وطلب هـذا « الدرويش » فوق ذلك من يعلمه اركان الاسلام وشروطه الصلاة واركانها وواجباتها مما كانوا يعلمونه كل غريب مهاجر اليهم ، وكان قصده غـير ذلك ، وفي ذلك اليوم ، وبينما الامير عبـد العزيز في المسجد وثب القاتـل من الصف الثالث والناس في السجود وطعن الامير في اسفل بطنه من جهـة خاصرته ، بخنجر معه كان اخفاه وأعدّه لذلك ، فسقط الامير شهيداً ، واضطرب اهـل المسجد وماج بعضهم عـلى بعض ، وانهزم بعضهم الى الخارج ، ومنهم من لحق بالقاتل ، وكان لمـا طعن الامير عبد العزيز ، مال على اخيه الامير عبدالله بن محمد بن سعود ، وهو الى جانبـه ، وبرك عليه ليطعنه ، ولكن الامير عبـدالله كان معروفاً بشجاعته وقوة بأسه فلم يسقط بيده ونهض على قدميه ولزم القاتل بيديه ، فتصارعـا واصيب الامير عبدالله بجرح شديد ، الى أن تمكن من ضرب القاتـل بسيفه فصرعه ، وتكاثر الناس فأجهزوا على حياته ، وعندهـا تبين لهم وجه الامر . وحمـل الامير عبد العزيز الى قصره وقد غاب ذهنـه وقرب نزعـه ، ولم يلبث ان اسلم الروح تغمـدهُ الله برحمتـه واجزل ثوابـه .

لقد اشتد الامر بالمسلمين اثر استشهاد الامير المجاهد وصعقوا لهـذا الخطب ينزل في صفوفهم ولما تكتمل رسالته بعد ، وكان ولده وولي عهده الامير سعود غائباً في نخيله الشهير باسم « مشيرفة » بالدرعية ولما بلغه النبأ هرول مسرعاً الى قصر ابيه واجتمع المسلمون والزعماء عنده ، فعزاهم وواساهم والقى فيهم خطبة بليغة وعظهم بها ، فبايعه المسلمون كافة وعزوه بوفاة ابيه .

وقيل ان القاتل « الدرويش » المزيف ، هو من اهل مدينة « كربلاء » شيعي المذهب وقد خرج من وطنه قصد اغتيال الامير اثر غزو المدينة على الصورة التي ورد ذكرها ، وذلك اندفاعاً وراء الأخذ بالثأر ، وكان قصده قتل الامير سعود فلم يقدر عليه ، فقتل والده الامير عبد العزيز كما سبقت الاشارة !

ويختم المؤرخ ابن بشر في تاريخه « عنوان المجد » هذه الرواية بقوله : « هذا والله أعلم واحرى بالصواب » .

فنرى من هذا ان الشكوك تغمر هوية القاتل الحقيقية ، ولكننا نرجح ، وهذا الاقرب الى الصواب ، ان القاتل من مدينة كربلاء ، وربما فقد والده أو ذويه ، في تلك الوقعة المشهورة ، فقرّر الثأر ونفّذه بدقة وخبث ومكر ! ! !

لقد ولد الامام الامير الشهيد عبد العزيز في سنة ١١٣٢ هجرية وكان كثير الخوف من الله تعالى ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته ، ولا يعظم عظيماً اذا ظلم بل يقمعه عن الظلم وينفذ الحق فيه بلا هوادة ، ولا يتصاغر حقيراً لحق به الظلم فيأخذ له حقه ولو كان بعيد الوطن .

وكان رحمه الله لا يكترث بلباسه وسلاحه ، فترى سيوف بنيه وبني بنيه محلاة بالذهب والفضة وليس في سيفه شيء من ذلك إلا القليل جداً ، وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح الا حتى ترتفع الشمس ويصلي فيه صلاة الضحى ، وكان — عطر الله ثراه — كثير الرأفة والرحمة بالرعية وخصوصاً أهل البلدان فيعطيهم الاموال ويبث الصدقات لفقرائهم ويدعو لهم ويتفحص احوالهم .

وكانت البلاد في عهده آمنة مطمئنة في عيشة رضية ، اذ كان المسافر يجوب البلاد بالاموال الكثيرة أي وقت شاء ، شتاء وصيفاً ، يميناً

وشمالا ، غرباً وجنوباً ، في نجد والحجاز واليمن وتهامة ، فلا يخشى أحداً ، اذ ليس من سارق ولا سالب ولا معتد ولا مجرم .

وكانت جميع البلاد النجدية ترسل مواشيها ايام الربيع في البراري والبوادي بلا راعي ، وإذا عطشت تعود إلى مرابطها فترتوي ثم تسرح وتمرح وتتوالد ، وعندما يحتاجها أصحابها لسقي زروعهم ونخيلهم أو بيعها ، ينصرفون لضبطها عندما تأتي وحدها .

وكان رحمه الله ، مع رأفته بالرعية شديداً على من ارتكب جناية من الاعراب أو قطع سبيلاً أو سرق شيئاً من مسافر ، فيأخذ ماله نكالا أو بعض أمواله بقدر جنايته ويؤدبه تأديباً شديداً . وروي : ان حاجاً اتى من العجم « ايران » ونزل قرب وادي سبيع فسرق منه غرارة فيها حوائج بعشرة قروش ، فكتب صاحب الغرارة إلى الأمير عبد العزيز يخبره بذلك ، فأرسل الأمير الى رؤساء تلك القبيلة يدعوهم اليه ، فلما حضروا قال لهم : « ان لم تخبروني بالغرارة والا جعلت في ارجلكم الحديد وادخلتكم السجن واخذت نكالا من اموالكم » فقالوا : « نغرمها باضعاف ثمنها » ! فقال : « كلا والله حتى اعرف السارق !! » فقالوا : « ذرنا نصل إلى أهلنا ونسأل عنه ونخبرك » ولم يكن بد من اخباره ، فلما اخبروه به ، ارسل فاحتجز ماله وكان سبعين ناقة فباعها وادخل ثمنها بيت المال وجيء بالغرارة دون ان تتغير ، وكان صاحبها قد عاد ووصل إلى وطنه في بلاد العجم ، فأرسل الأمير عبد العزيز إلى أمير الزبير بأن يرسل الغرارة إلى صاحبها ؛ وهكذا كان !!

وذكر القاضي عثمان بن منصور : ان رجالا من لصوص الاعراب وجدوا عنزاً ضالة في رمان يقع في نفود السر المعروف في نجد ، وهم جياع ، وأقاموا يومين على جوعهم ، فقال احدهم لرفاقه : لينزل أحدكم على هذه العنز فيذبحها لنأكلها ، فكل منهم

قال لصاحبه : أنزل أنت اليها ، ولم يستطع أحد منهم النزول خوفاً من العاقبة على الفاعل ، فألحوا على رجل منهم فقال : « والله لا أنزل اليها ودعوها فان عبد العزيز يرعاها » !! فتركوها وهم في اشد الحاجة اليها .

وكان الحجاج والقوافل وجباة الغنائم والزكاة والاخماس وجميع المسافرين يأتون من البصرة وعُمان وبلاد العجم والعراق وغير ذلك إلى الدرعية ومنها يذهبون إلى الحج ويرجعون إلى أوطانهم دون ان يخشوا احداً ، وأبطل الأمير عبد العزيز – رحمه الله – « الخاوات » والقوانين التي فرضها رؤساء العشائر على الدروب سيراً على سنن الجاهلية ، فكان المسافر يخرج من اليمن وتهامة والحجاز والبصرة والبحرين وعمان والشام إلى الدرعية أو غيرها دون أن يحمل سلاحاً بل سلاحه عصاه يتوكأ عليها ، فلا يخشى كيد عدو ولا احد يريده بسوء !!

وكان في الدرعية مكان خاص لرعي الأبل الضالة في البراري والمغارات جمعاً أو فرادى فمن وجدها من باد أو حاضر في جميع جهات الجزيرة يأتي بها إلى الدرعية خوفاً ان تعرف عنده ، ثم تجعل مع تلك الأبل في المكان الخاص ، وجعل الأمير عبد العزيز عليها رجلا اسمه « عبيد بن يعيش » يحفظها ويجعل عليها رعاة ويتعهدها بالسقي فكانت تلك الأبل تتوالد وتتناسل وهي محفوظة ، فكل من ضاع له شيء من الأبل من جميع البادية والحاضرة اتى إلى تلك الأبل فاذا عرف ما له اتى بشاهدين أو شاهد ويمينه هو بذاته فيأخذ ماله وربما وجد الناقة ناقتين .

وكان الأمير عبد العزيز – رحمه الله – يوصي عماله بتقوى الله واخذ الزكاة على الوجه المشروع واعطاء الضعفاء والمساكين ويزجرهم عن الظلم واخذ فوائد الأموال .

وكان رحمه الله مع ذلك كثير العطاء والصدقات للرعية من الوفود

والأمراء والقضـــاة وأهل العـلم وطلبته ومعلمي القرآن المجيد والمؤذنين وأئمة المساجد ، وكان يرسل القهوة إلى أهل القيام في رمضان .

وكان الصبيان من أهل الدرعية إذا خرجوا من عنــد المعلم يذهبون اليه بالواحهم ويعرضون عليه خطوطهم فمن تحاسن خطه منهم اعطاه عطاء جزيلا واعطى الباقين دونه .

وكان عطاؤه للضعفاء والمساكين لا يبارى ، فـكان احدهم يكتب اليه ثم إلى امه وزوجته وابنه وابنته ، لكل واحد كتاباً على حدة ، وتعرض على الأمير فيوقع لكل كتاب منهم عطاءه ، فيصيب صاحب هذه الكتب عشرين ريالا أو أقل أو أكثر ، فمن كل كتاب عطاء .

وكان إذا توفي الرجل من جميــع نواحي نجد يأتي اولاده لى الأمير عبد العزيز وابنه يستخلفونه. فيعطيهم عطاء جزيلا ، وربما كتب لهم راتباً في الديوان .

ويقول مؤلف كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » المرحوم الشيخ عثمان بن بشر في كتابه هذا : « اخبرني كاتب الامير عبد العزيز : ان عبد العزيز اخذه يوماً صداع فدعاني وقال اكتب صدقة لأهل النواحي ، فأملى علي لأهل منفوحة ٥٠٠ ريال ولأهل العيينة مثل ذلك ، ولاهل حريملا ٧٠٠ ريال ، ولأهل المحمل ١١٠٠ ريال ولجميــع نواحي نجـــد على هـــذا المنوال . قـــال : وقيمتها ٩٠ الف ريال . واتـى اليـــه يومــاً خمس وعشرون حمـــلا من الريالات فمر عليهـــا وهـــي مطروحة ، فنخسها بسيفه وقال : « اللهم سلطني عليها ولا تسلطها علي ، ثم بدأ في تفريقها » .

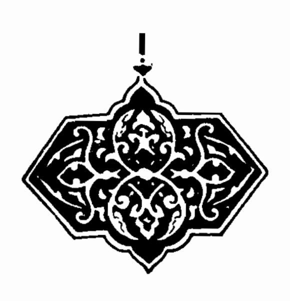
أمراء عبد العزيز على النواحي :

وكان الامير عبد العزيز قد عين الامراء على النواحي من فئة مختارة معروفة بتقوى الله أولا ثم باخلاصها له ، فكان أميره على تهامة وما يليها من اليمن عبد الوهاب ابو نقطة . وعلى الحجاز وما يليه من النواحي عثمان بن عبد الرحمن المضايفي . وعلى عُمان صقر بن راشد رئيس رأس الخيمة . وعلى الاحساء ونواحيه سليمان بن محمد بن ماجد ، وعلى القطيف ونواحيه احمد بن غانم . وعلى الزبارة والبحرين سليمان ابن خليفة . وعلى وادي الدواسر ربيع بن زيد الدواسري . وعلى ناحية الخرج ابراهيم بن سليمان بن عفيصان . وعلى المحمل ساري بن يحيى ابن سويلم . وعلى ناحية الوشم عبدالله بن حمد بن غيهب . وعلى ناحية سدير عبدالله بن جلاجل وعلى ناحية القصيم حجيلان بن حمد ، وعلى جبل شمر محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي .

قضاة عبد العزيز في النواحي :

وكان قاضي الأمير المرحوم عبدالعزيز بن محمد بن سعود بعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ابنه حسين بن محمد عبد الوهاب ، وشقيقه عبدالله ، وامام قصره عبد الرحمن بن خميس ، وعلى ناحية الوشم عبد العزيز ابن عبدالله الحصين ، وعلى ناحية سدير حمد بن راشد العريني . وعلى منيخ وما يليها محمد بن عثمان بن شبانة . وعلى ناحية القصيم عبد العزيز ابن سويلم من اهل الدرعية . وعلى ناحية الخرج محمد بن سويلم من اهل الدرعية . وعلى ناحية الجنوب سعيد بن حجي . وكان لكل ناحية في البلاد قاض .

ومن استعراض سيرة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل ، نرى انـه كان - رحمه الله - كثير الشبه بالمرحوم الأمـــير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وقد تتبـع خطاه في كثير من شؤونـه الخاصة وشؤون الدولة فكان الناجح الموفق في جميـع الحـالات رحمهما الله رحمة واسعة واجزل ثوابهما .



الفصل السادس

سُعُود الكبير بنْ عَبد ٱلْعَزِيزِ يَحتَلُّ ٱلْحِجَاز

لقد درج الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود على سيرة ابيه وكان بطلا مقداما صبوراً جلداً على المكاره ، حليماً كريماً .

وكان الامير سعود ، عندما سار من الدرعية في سنة ١٢١٨ نحو الشمال ، نزل في قرية « التنومة » في القصيم ، فقضى فيها عيد الاضحى ونحر بها ، ثم سمح لعربان الظفير بالرحيل قائلا لهم : انه يريد الرجوع إلى بلده . وكان قصده من ذلك : ان يعلم اهل البصرة والزبير ، في حال رجوع عربان الظفير اليهم : ان الأمير سعود رجع الى دياره ، فيؤويهم بغتة من حيث لا يعلمون ولا يشعرون ، إذ كان من عادته إذا أراد جهة الشمال قصد جهة الجنوب أو الشرق أو الغرب والعكس بالعكس ، ولما رحلت عنه عشائر وادي الشمال من التنومة ، رحل عنها وقصد الدرعية لمدة يوم أو يومين ، وكانت تلك العشائر اشاعت نبأ

عودة الأمير سعود الى دياره ، ولكن سعوداً رجع عادياً إلى البصرة ، وبوصوله قربها ، صادف مرور كتيبة خيل للمنتفق ، ورئيسها منصور ابن تامر ، فاغارت خيل الأمير عليها وقتلت بعض رجالها ، ووقع منصور اسيراً ، وأراد الأمير سعود أن يضرب عنقه ، ولكنه عاد ومنّ عليه وعفا عنه ، فأقام عنده في الدرعية نحو اربع سنين ثم اذن له بالرجوع إلى أهله .

وتابع الأمير سعود سيره في جهاده إلى أن نزل موقع الجامع المعروف قرب الزبير ، وهجمت جموعه على البصرة من جهة الجنوب واصطدمت بفئة من أهلها العصاة وحاصرت البقية منهم ، ثم رجعت هذه الجموع فحاصرت أهل الزبير وهدمت جميع القباب والمشاهد الموجودة خارج سور البلدة وكانت موضوعة على القبور ، كما هدمت قبة الحسن « عليه السلام » وقبة الصحابي طلحة رضي الله عنه ولم يبق لهما أي أثر ، وذلك نزولا عند الحديث الشريف « خير القبور الدوارس » ولكن هاتين القبتين اعيدتا بعد هدم الدرعية كما سيأتي ذكره .

ثم اصدر الأمير سعود أوامره إلى قواته بالحشد على قصر « الدريهمية » فهدمته وقتلت العصاة ، وعند غروب الشمس ، أمر الامير سعود بأن يطلق كل جندي من جنوده رصاصة واحده على ان يثور الرصاص من جميع الجنود دفعة واحدة ، فنفذوا الاوامر ، وشبت النار في الزروع اليابسة من البارود وأظلمت السماء ورجفت الارض بأهلها ، وانزعج أهل الزبير ، وصعد النساء إلى السطوح ووقع فيهم الضجيج والذعر ، واسقطت بعض الحوامل ، ودام الامير على حصارهم ١٢ يوماً حصد خلالها الزروع ورجع قافلا إلى وطنه .

عودة الشريف غالب لمكة :

وفي هذه السنة ، ولما علم شريف مكة غالب بوفاة الامير عبد العزيز ابن محمد بن سعود ، عاد بجنوده من جدة إلى مكة المكرمة وانزل الذين عينهم الأمير سعود من قصورهم ، وعين غيرهم دون ان يفتك بأحد منهم او يؤذي احداً .

ودخلت سنة ١٢١٩ وفيها قتل امام مسقط سلطان بن حمد بن سعيد على يدي رجال من القواسم اهل رأس الخيمة ، وذلك انهم صادفوه في البحر وقد نزل من مركبه المنيع إلى سفينة صغيرة فاعترضهم وهو فيها ، وحصلت مناوشة بين الفريقين رمياً بالرصاص فرماه احد القواسم برصاصة ومات وهم لا يعلمون انه امام مسقط الى ان سمعوا خادمه يدعوه باسمه ، وقد تسلم زمام الحكم بعده أخوه بدر بن أحمد ابن سعيد .

وفي هذه السنة عزل الأمير سعود بن عبد العزيز سليمان بن محمد بن ماجد عن امارة الاحساء واستعمل اميراً عليها ابراهيم بن سليمان بن عفيصان .

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة سار الامير سعود بن عبد العزيز بقوات كثيرة جمعها من شتى نواحي نجد والجنوب وعُمان والاحساء ، قاصداً الشمال ، اذ وقع من عربان الظفير حوادث اضاعوا بها بعض فرائض الدين الحنيف ، واتاهم غزو من بوادي الشمال فأغاروا على عشائر الامير سعود واجتازوا الظفير فاضافوهم ، وقبل ذلك كانت قد وقعت بين الظفير ومطير حوادث دامية فقتل من مطير رجل من رؤسائهم وقتل من الظفير مسلط بن الشابوش بن عفنان ، فأصلح الامير سعود بينهم وهو في الدرعية وتوعد من اعتدى منهم على الآخر ، ولما سار سعود في هذه الغزوة اجتاز بوادي الظفير وهم في الدهناء من

جهة « لينة » – الماء المعروف – وامرهم ان ينفروا معه للجهاد ، فنفر معه شرذمة رئيسها الشابوش بن عفنان واستقل سعود عددهم وانتهر الشابوش فقال : انهم عصوني ويريدون المسير لقتال مطير ، وكان الامير سعود شرب من « لينة » ورحل منها يريد العراق ، ولكنه انحرف بالجيوش نحوهم وشن عليهم غارات شديدة الوقع ، وامر بوجوب تأديبهم بشدة ، ثم اعتق اكثرهم من القتل ، ولكنه اخذ جميع أموالهم واغنامهم وسلاحهم وخيولهم ومتاعهم ، ولم ينج منهم سوى الشريد وتفرقوا ومنهم من هرب الى المنتفق وبعضهم الى العراق ، وبعضهم ضاع في نجد .

ورحل الأمير سعود من هذا الموقع الى بلدة « الزلفى » حيث قسم الغنائم ، وكان مع الظفير ابل كثيرة واغنام تخص اهل سدير وغيرهم ، فاتوا الأمير سعود وهو يقسم الغنائم واعلموه بذلك ، فكل من عرف حلاله اتى بشاهدين او شاهد واحد ثم اقسم فيتسلم حلاله .

بناء قلعة وادي فاطمة :

وفي هذه السنة ، وتحسباً لغزوات اشراف مكة المتوالية فقد أمر الأمير سعود ببناء قلعة في وادي فاطمة المعروف بالقرب من مكة المكرمة وقد تم بناؤها على طراز يتناسب مع ذلك العصر ، ووضع فيها قوة من الجند ، لكبح جماح شريف مكة ، وانتهى من بنائها في شهر محرم الحرام سنة ١٢٢٠ .

ولكن الأمير سعود بن عبد العزيز ، اوعز قبل انتهاء بناء هذه القلعة ، الى عبد الوهاب بن عامر ابو نقطة أمير « المع » و « عسير » ونواحي تهامة بأن يغزو جدة ويحارب أهلها ، وفي الوقت ذاته اوعز الأمير

سعود إلى جماعته ومريديه من أهل الخبت والحجاز بوجوب الانضمام الى قوات عبد الوهاب والسير معه الى جدة ، وخف عبد الوهاب برجاله اليها ونزل « السعدية » الماء المعروف قرب شاطىء البحر ، وبينه وبين مكة المكرمة مسيرة يوم ونصف اليوم ، وبلغ عدد الجنود والمحاربين الذين التحقوا بعبد الوهاب حوالي ستة آلاف مقاتل !

وقد أراد الشريف غالب أن يأخذ عبد الوهاب وقواته على حين غرة بينما هو في مكانه قبل ان يلتحق به انصار وجماعة الأمير سعود ، فجهز جنوده ، وقيل انها بلغت عشرة آلاف مقاتل وسار بها من مكة المكرمة قاصداً عبد الوهاب على مائه ، فمر بطريقه بفرزة مؤلفة من اربعين رجلا أتوا من عسير فقتلهم الشريف ، وتابع زحفه الى أن التقى الطرفان والتحما في قتال عنيف ، وحمل عبد الوهاب وقومه على الشريف وقواته حملة صدق واستبسل القوم في جهادهم المجيد ، فاذا بقوات الشريف غالب تولي الادبار منهزمة ، واندفع اهل عسير وراء ساقتهم يقتلون ويغنمون ، ويأخذون سلاحهم وما يملكون من مال ومتاع مما أرغم الشريف غالب على ترك أثقاله من مدافع وسلاح واجهزة وعتاد فاستولى عبد الوهاب عليها جميعها ، وقيل ان عدد البنادق وحدها كان ٢٥٠٠ بندقية ، وبلغ عدد القتلى من جماعة الشريف حوالي ٦٠٠ رجل جلهم من الاتراك ، وتبين ان الذخيرة والمدافع التي كانت لديه هي من الحكومة العثمانية . وقد جمع عمال الأمير سعود خمس الغنائم وارسلوها اليه ورجع الشريف غالب الى مكة المكرمة ، وعادت القوات السعودية الى أوطانها .

وفي سنة ١٢٢٠ اشتد الغلاء والقحط على الناس في ديار نجد وما يليها وفقد كثير من اهل اليمن وماتت اكثر ابلهم واغنامهم ، وقد كانت الحالة اعظم في مكة المكرمة بسبب الحرب والحصار وقطع المؤن ومنع السفر الى الحجاز ، وذلك لاقدام الشريف غالب على نقض العهد

مع الأمير سعود فسدت الطرق كلها عن مكة المكرمة من جهات اليمن وتهامة والحجاز ونجد ، لرضوخ هذه الاقاليم لحكم الأمير سعود . .

وأما في نجد فقد اشتد الجوع على الناس ولكن سبل الأمن كانت ميسورة للجميع فيسافر الرجل الى اقصى البلاد من اليمن وعُمان والشام والعراق فلا يخشى احداً سوى الله وأصبحت « الدرعية » عاصمة الأمير سعود بن عبد العزيز سياجاً حصيناً للشعب ، فمن أتاها بنفسه او بعياله وسع عليه وزالت كربته ، وطال امد هذا الغلاء والجوع في نجد ست سنوات !!!

شريف مكة يهادن ويخادع :

وعلى أثر حادثة الشريف غالب الاخيرة في جدة ، أصدر الامير سعود أوامره الى عبد الوهاب بن عامر وجميع قواته في تهامة ، والى سالم بن شكبان وجميع قواته في « بيشة » والى عثمان المضايفي وجميع اهل الحجاز معه ، بوجوب المسير الى مكة المكرمة والنزول حولها والتضييق على اهلها ، وأمرهم بانتظار الحج الشامي ووجوب منعه عن دخول مكة اذا كان محارباً .

وسرعان ما تجمعت الخلائق طبقاً لأوامر الأمير سعود واندفعت هذه الجموع الى مكة المكرمة ، فاشتد الأمر على الشريف غالب وطلب من قادة الحملة السعودية الصلح شريطة اجتماعه الى الامير سعود ومبايعته على دين الله ورسوله والسمع والطاعة فصالحوه وامهلوه ، وسارت القوات السعودية الى مكة فدخلتها وفي مقدمتها القادة المذكورونوحجوا واعتمروا واجتمع عبدالوهاب بن عامر بالشريف غالب وفاوضه وتبادلوا الهدايا واعرضت القوات السعودية عن الحج الشامي وكان برئاسة عبد الله باشا

العظم وانصرف عبد الوهاب ومن معه من الامراء والاتباع الى أوطانهم .

وقد مرض سالم بن شكبان في هذه الاثناء واسلم الروح في بلده « بيشة » فاستعمل الأمير سعود أميراً عليها فهاد بن سالم بن شكيبان .

وارسل الشريف غالب الى الأمير سعود وفداً طلب بواسطته اتمام الصلح والمبايعة ، فأجابه الأمير الى طلبه ومشت السابلة الى مكة المكرمة من جميع النواحي ورخصت الأسعار في الحرمين الشريفين وبقية أنحاء الحجاز .

وهنا وقع من الشريف غالب ما جعل الأمير سعود في شك وريبة من حسن نواياه ، واخلاصه ، ومن ذلك ان الشريف ابقى قوة من جنود الاتراك في مكة والى جانبهم فريق من المغاربة وغيرهم من فلول الحجاج الاغراب ، وادعى ان باشا الحج عبدالله العظم هو الذي رتب هذه القوة بامر الدولة ، ومنها انه حصن جدة بالبناء وأحاطها بخندق ، ومنع الغرباء والمسافرين من جهات نجد من دخولها ، واستوطنها في اغلب ايامه وبقيت الجنود لديه الى وقت الحج .

وفي أول هذه السنة ، وعندما شعر وجوه وأعيان المدينة المنورة بأن نية شريف مكة غالب تتجه نحو مبايعة الأمير سعود ، تقدموا الى الامير بمبايعة أهل المدينة له على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وقاموا من تلقاء أنفسهم بهدم جميع القباب والمشاهد الموضوعة على القبور عملا بالحديث النبوي المأثور .

وقد كان « بادي » و « بداي » أبنا بدوي بن مضيان رؤساء بني حرب ومن تبعهم وفدوا على الأمير عبد العزيز قبل استشهاده وبايعوه وارسل معهم عثمان بن عبد المحسن ليعلمهم فرائض الدين وقواعد التوحيد وأجمع روساء بني حرب على محاربة المدينة ونزلوا في مشارفها ، وهنا أمرهم المرحوم الأمير عبد العزيز ببناء قصر فيها فبنوه وأحكموا أمره

وسكنوه ، وتبعهم أهل قباء ومن حولهم من ضواحي المدينة المنورة ، في التضييق على سكانها وقطع المواصلات بينها وبين الخارج وأقاموا على ذلك عدة سنين

ثم أرسل الأمير سعود اليهم ، وهم في موضعهم العالم فرناس بن عبد الرحمن صاحب بلدة « الرس » من أعمال القصيم فأقام عندهم قاضياً ومعلماً يأتي اليهم في موضعهم ذاك ، فلما طال الحصار على المدينة ، وعلم أعيانها ووجوهها بعزم شريف مكة غالب على المصالحة والمهادنة كاتب كل من حسن قلعي واحمد الطيار وبقية الوجوه والاعيان والقضاة الامير سعود بالصلح والمبايعة فتمت على أكمل وجه كما أسلفنا .

غزو نجران واستسلام الحديدة :

وفي هذه السنة قتل اولاد سلطان مسقط ابن عمهم البدر واستقلوا بولايتهم وسلطانها سعيد بن سلطان .

وفي هذه الفترة أوعز الامير سعود بن عبد العزيز الى كل من : عبد الوهاب عامل عسير والمع ، وفهاد بن شكبان عامل بيشة وعبيدة ، وأهل سبخان ووادعة وقراها ، واهل وادي الدواسر ومن تبعهم بوجوب جمع جيوشهم والاستعداد للقتال ، فجمعوا حوالي ثلاثين الف مقاتل ، ثم أمرهم بالزحف على نجران لمقاتلة أهلها ، فاندفعت هذه الجموع ونازلت أهل بدر عدة ايام ، ودارت المعارك حامية الوطيس وقتل فيها عدد كبير من الطرفين ، وبينهم قوم من جماعة عبد الوهاب ، واستشهد في هذه المعركة أمير الوداعين من الدواسر ابراهيم بن مبارك بن عبدالهادي ، وادريس بن حويل وعدد من الدواسر ، ثم اوعز عبد الوهاب بوجوب

بناء قصر مقابل قصور بدر ، ليصبح مركزاً للقوات السعودية تراقب بواسطته جميع أهل بدر ونجران ، فتم بناؤه وحصنوه في شكل قلعة منيعة ، وجعلوا فيه قوة كافية من الجند مزودة بجميع السلاح والمؤونة ، ثم رجعت القوات وقادتها الى أوطانها ، وهنا بايع الشيخ صالح رئيس الحديدة وبيت الفقيه الامير سعود بن عبدالعزيز على دين الله ورسوله والسمع والطاعة . وحسنت عقيدة هذا البلد وسكانه .

وحيال هذه البادرة ، جهز امام صنعاء « اليمن » حملة عسكرية كبيرة هاجم فيها مدينة الحديدة واحتلها وجعل ابن صالح أميراً عليها ، فتجهز الشيخ صالح المذكور ورحل الى زبيد ومعه قوة من الجند وبعض المخلصين له ، وهاجم زبيداً واحتلها بالقوة ونهب اموالها ومتاعها اذ استطاع أن يجمع حوالي ثلاثة آلاف مقاتل ، ولم يمتنع عليه سوى القلعة الامامية وما تستطيع حمايته ، ثم خرج الشيخ صالح منها وارسل بخمس الكسب الى الامير سعود في الدرعية .

وفي هذه الاثناء توفي رئيس عشيرة حرب بداي بن بدوي بن مضيان بوباء الجدري وولى الامير سعود مكانه اخاه اميراً على بني حرب .

الأمير سعود يحج ثالث مرة :

وفي سنة ١٢٢١ قام الامير سعود باداء فريضة الحج للمرة الثالثة ، فقد خرج من الدرعية في ليلة الجمعة ١٢ ذي القعدة ١٢٢١ وكان الامير قبل خروجه ، أرسل ، في أول هذا الشهر ، عبد الوهاب بن عامر مع عدد كبير من رعاياه في عسير والمع ، وفهاد بن سالم بن شكبان ومعه أهل « بيشة » ونواحيها ، وعثمان المضايفي ومعه أهل الطائف ، وأهل

اليمن وتهامة وأهل الحجاز ، فوصلوا قبله إلى الحجاز ، ثم سير الأمير سعود أمامه ، من أهل نجد كلا من : حجيلان بن حمد وقوات من أهل القصيم ، ومحمد بن عبد المحسن بن علي وقوات من اهل الجبال ومن تبعه من بني شمر ، وقوات من أهل اقليم الوشم ، وعين لهم مكاناً للاجتماع المدينة المنورة ، وانضم سعود بن مضيان واتباعه من حرب ، وجابر بن جبارة وأتباعه الى تلك القوات الجرارة ونزلوا جميعهم قرب المدينة المنورة ، فلما خرج الامير سعود من الدرعية قاصداً مكة المكرمة أرسل فراج بن شرعان العتبي وعدداً من الرجال معه الى قادة تلك الجحافل السعودية طالباً اليهم أن يمنعوا مواكب الحجاج التي تأتي من جهة الشام واستانبول ونواحيها ، وعندما أقبل الحج الشامي ومن تبعه وأميره عبدالله باشا العظم أرسل اليه قادة القوات السعودية بأن يرجع الى وطنه ولا يصل اليهم أبداً ، والسبب يعود الى أن الامير سعود خشي من غالب شريف مكة أن ينتهز فرصة دخول الحج الشامي الى مكة المكرمة ويسعى لفتنة تقع بين المسلمين فلذا منع الحج الشامي والتركي من دخول الحجاز ، فرجع عبدالله باشا العظم ومن تبعه من المدينة المنورة الى دياره، ثم رحل قادة هذه الجيوش وأتباعهم وقواتهم من المدينة الى مكة المكرمة واجتمع القادة الى أميرهم سعود واعتمروا وحجوا على أحسن حال ، وبذل الامير سعود في مكة أموالا كثيرة في العطايا والصدقات ، وركب الشريف غالب اليه وبايعه ، وأخرج الامير سعود جميع الاتراك الموجودين في مكة والبس الكعبة المشرفة كسوة فاخرة من القز الاحمر ثم كساها بالقيلان الفاخر ، ثم داهم قلاع وقصور مكة وكانت غاصة بالجنود الترك فأخرجهم منها ، ثم رحل من مكة المكرمة في آخر ذي الحجة وقصد المدينة المنورة ودخلها وضبطه بجميع نواحيها ، ووضع قوات عسكرية في أبراجها وقلاعها ، وأبعد عنبر باشا والقاضي التركي وكل من اشتبه بأمره من المدينة ، واستعمل حمد بن سالم من أهل العيينة

أميراً على القوات التي وضعها فيها ، وجعل على الخراج محمد الغريبي من أهل الدرعية ، ورحل بعدهـا الى دياره وأوعز الى قواته بالرحيل كل الى وطنه .

خلاف بين السلاطين !

وفي سنة ١٢٢٢ عزل السلطان سليم بن احمد وتولى السلطنة ابن اخيه مصطفى بن عبد الحميد في ٢١ جماد الاول من هذه السنة ، وفي مطلع سنة ١٢٢٣ قرر فريق من رؤساء الدولة العثمانية بالاجماع وجوب اعادة السلطان سليم بن احمد الى العرش العثماني وعزل السلطان مصطفى ، وكان السلطان سليم اسيراً في احدى دور الاعتقال ، فأشار بعض وزراء السلطان مصطفى عليه بقتل عمه السلطان سليم فلا يقدم احد بعد ذلك على عزله ، فقتله السلطان مصطفى فعلاً ، وغضب يوسف باشا ومن معه من أتباع ومناصري السلطان سليم فعزلوا السلطان مصطفى واجلسوا شقيقه السلطان محمود بن عبد الحميد على صغر سنه مكانه واستمر على العرش حتى سنة ١٢٥١ . وقد كان السلطان سليم — قبل اغتياله — قد عزل عبد الله باشا العظم عن ولاية الشام وجعل مكانه يوسف الغنج .

وفي هـذه السنة أقدم خمسة رجال من بطانة علي كيخيا باشا والي بغداد على قتل سيدهم ، بعد ان استقر بالحكم ودانت له الرعية بالطاعة وقد تمكنوا من قتله بينما كان يؤدي فريضة الصلاة ، فقـام سليمـان باشا وقتلهم بأجمعهم واستقر الحكم له في بغداد واتاه الفرمان السلطاني بذلك .

سعود في الحج :

وفي هذه السنة أدى الأمير سعود فريضة الحج للمرة الرابعة ومعه قوات من العارض والجنوب والوشم وسدير والقصيم وجبل شمر والاحساء وبيشة ورنية وتهامة واليمن والحجاز وغيرها ، ودخل مكة المكرمة بهذه القوات واعتمروا جميعهم وحجوا ونزل الامير سعود في القصر الجنوبي بالبياضية وزاره الشريف كالأخ الشقيق ، وكان الامير سعود كثيراً ما يدخل الحرم ويطوف بالبيت العتيق ، وكثيراً ما كان يجلس فوق زمزم ومعه خواصه ، وقد انفق في مكة من الصدقات والعطاء إلى الفقراء والمساكين والضعفاء أموالا كثيرة جداً والبس الكعبة المشرفة كسوة فاخر من القيلان وجعل ازارها وكسوة بابها حريراً مطرزاً بالذهب والفضة وأقام فيها حوالي ثمانية عشر يوماً ثم رحل منها إلى المدينة المنورة وأقام فيها عدة أيام ورتب قواتها واخرج من في القلعة من أهلها ووضع مكانهم قوات من أهل نجد ، ثم جعل على القوات المرابطة فيها أميراً عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة وعلى الخراج حمد بن يحيى بن غيهب صاحب شقرا . ثم رحل الامير سعود إلى وطنه . ولم يحج في هذه السنة أحد من الاقطار الشامية أو غيرها .

سعود يهاجم العراق :

وفي شهر جماد الاول سنة ١٢٢٣ خرج الامير سعود بن عبد العزيز من الدرعية بقوات هائلة استنفرها من جميع نواحي نجد والاحساء والجنوب ووادي الدواسر وبيشة ورنية والطائف والحجاز وتهامة ، وقصد نواحي العراق وكانت « كربلاء » أول مدينة وصلها ، فوجدها محصنة

بسور ضخم ، اذ أن اهلها ، عندما توجه اليهم الحشد السعودي السابق قاموا بتحصين بلدتهم وجعلوها منيعة على اي حصار يضرب حولها ، وراحت القوات السعودية ترمي المدينة برصاصها على غير طائل ، وأهل « كربلاء » يدافعون من ابراج السور بما لديهم من قوات وذخائر أعدوها لمثل هذه المعركة ، فاحضر قادة القوات السعودية عدداً من السلالم امل استعمالها في الصعود إلى السور ، وكادت هذه القوات ان تتجاوز السور إلى الداخل ، ولكن دفاع أهل البلدة المستميت جعل القوات السعودية تنصرف عن بلدتهم ، وتوجه الامير سعود بها إلى بلدة « عثاثا » من أعمال العراق ، فهرب أهلها إلى رؤوس الجبال واستولى على البلدة ثم أرسل الى أهلها بالحضور بعد اعطائهم الامان وأعاد بلدتهم اليهم بما فيها من أموال ومتاع ولكنه أخذ جميع ما لديهم من الخيول وقيل انها مائة فرس ، ورحل عنها الى المجرة من أعمال العراق ، ونازل أهل المنتفق بقتال عنيف قتل فيه من زعماء المدينة سلطان بن حمود ابن تامر ، ثم توجه الامير سعود بقواته الى البصرة ونزل عندها ، وهاجمت هذه القوات جنوبي المدينة واستولت على بعض أموالها ، وتوجه الامير سعود بعدها بقواته الى جهة الزبير ثم رحل عنها عائداً الى وطنه !!

سعود يحج للمرة الخامسة :

وفي هذه السنة أدى الامير سعود فريضة الحج للمرة الخامسة يصحبه عدد ضخم من نواحي نجد والاحساء والقطيف وعُمان والبحرين ووادي الدواسر وتهامة والطور واليمن وبيشه ورنية وجميع نواحي الحجاز ، فدخل مكة المكرمة واعتمر وحج ونزل قصر « البياضية » الشمالي واقام

فيه والشريف غالب يزوره في كل وقت كأنه احد نوابه وامرائه ممن يدينون للامير بالسمع والطاعة ، وانتشر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة فلا يقدم أحد على شرب « التنباك » في اسواقها ، ثم أمر الامير سعود أن يكون في هذه الاسواق منادون ينادون بالصلاة اذا دخل وقتها ، وقدم الامير سعود الى الشريف غالب الهدايا والتحف ، وبادله الشريف غالب هذه الهدايا بمثلها ، وكان الامير سعود يدخل يومياً الحرم ويطوف حول البيت العتيق ويجلس مع خواصه فوق بئر زمزم ، كعادته ، وفي هذه الحجة بذل الامير سعود أموالا طائلة في الصدقات والمبرات ، وألبس الكعبة المشرفة القيلان الاسود وجعل إزارها وكسوة بابها من الحرير المطرز بالذهب والفضة ، وبعد ان اقام فيها نحو ١٨ يوماً رحل الى المدينة المنورة ، فغير قواته المرابطة فيها باخرى جديدة ، وكانت هذه عادته ، يبدل القوات المرابطة باخرى كل عام ، وبعد زيارة ضريح الرسول الاعظم قفل راجعاً الى وطنه .

ولم يحج ايضاً في هذه السنة احد من أهل الشام ومصر والعراق والمغرب الا شرذمة قليلة من أهل المغرب لا صفة رسمية لها ادت فريضة الحج وعادت الى بلادها بأمان .



الفصل السابع

إقليم عُمَان يَدخل فِي طَاعَةِ سعُود

وما أن استقر المقام بالامير سعود في الدرعية حتى بعث سرية قليلة العدد الى عُمان لتعليم سكان هذا الاقليم فرائض الدين والاطلاع على أحوالهم ، ولما وصلت هذه السرية الى هناك هب قيس بن احمد رئيس « محار » على رأس سكان اقليم عمان الداخلي ، وابن اخيه سعيد بن سلطان رئيس مسقط ، ومعهما حوالي عشرة آلاف مقاتل ، وقصدا بهذه القوة العشائر والقبائل والسكان النازلين على مقربة من رعايا الامير سعود ، وقد كان عامل عمان من قبل الامير سعود ، سلطان بن صقر ابن راشد صاحب رأس الخيمة ، فأرسل بطلب النجدة من جماعته في اقليم عمان . واجتمع عنده حوالي ثلاثة آلاف رجل ، والتقى الطرفان في موقـــع « خور » المعروف في اقليم عمان ويقع بين الباطنة ورأس الخيمة ، ودارت رحى المعركة عنيفة قاسية ، فانهزم قيس بن احمد ومن معه من المقاتلين هزيمة شنعاء ، وطاردته قوات صقر بن سلطان الى

ان فتكت بـه ، وقيل ان القتلى من جماعة قيس بلغوا حوالي اربعه آلاف رجل غرق منهم عدد كبير في البحر ، وبعد هذه الوقعة ارسل ابن قيس الى الامير سعود وعامله سلطان بن صقر طالباً المبايعة على دين الله ورسوله والسمع والطاعة فقبلا طلبه وارسل الى الامير سعود مبالغ كبيرة من المـال ، بذلك اصبح اقليم عمان تحت ولاية الامير سعود وجمـع سلطان بن صقر الغنائم وارسل خمسها الى الدرعية .

وفي هذه السنة كان الغلاء والقحط لا يزالان على حالهما من الشدة في انحاء نجد واليمن والتهائم والحجاز والاحساء ، فنتج عن ذلك وباء مات منه عدد كبير جداً من الاهلين ، لا سيما سواد الشعب .

وفاة مفتي البلاد السعودية :

ودخلت سنة ١٢٢٤ فاشتد الوباء والمرض عن ذي قبـل لا سيما في الدرعية « العاصمـة » فمات فيهـا خلق كثير من السكان والاغراب ، وبلغت نسبة الوفيات يومياً بين ثلاثين واربعين رجلا ، وبقيت هذه الحال حتى شهر جماد الاول من هذه السنة ، وقد كتب الامير سعود نصيحة بليغة الى أهل الدرعية وجميـع سكان الديار حضهم فيها على وجـوب التخلي عن الذنوب والتوبة النصوح الى الله تعالى ، ودعا الله في آخرها دعاء عظيماً بأن يكشف هذا الهم والغم عن الناس ، وقرئت هـذه النصيحة في جميـع المساجد الى أن اخذ الله بيد عباده ورفع عنهم هذا الوباء المخيف .

وقد توفي بهذا الوباء العلامة مفتي البلاد الشيخ حسين بن الشيخ محمد عبد الوهاب تغمده الله برحمته ، وقد كان له معرفة في الاصل والفرع والتفسير وله مجالس عديدة للتدريس في الفقه والتفسير وغـير ذلك ،

كان قد اخذ العلم عن ابيه واخذ عنه جماعة كثيرة من القضاة وغيرهم . وكان « رحمه الله » كفيف البصر ، وخطيباً من الدرجة الأولى وهو امام وخطيب مسجد الطريف الكبير الكائن تحت قصر آل سعود ، في ايام الجمعة من كل اسبوع . وكانت وفاته في شهر ربيع الثاني ، اجزل الله ثوابه .

وتوفي في هذا الوباء الامير سعد بن عبدالله بن عبد العزيز بن محمد ابن سعود واربعة رجال من آل معمر .

قتال دبره الأتراك :

وفي هذه السنة حشدت عشيرة شمر وغيرها من عشائر العراق ، وامدهم سليمان باشا والي العراق بقوات نظامية ، امل غزو الحدود السعودية ، وقصدت هذه الجموع عشيرة عنزة والظفير ورئيس عنزة يومذاك الدريعي بن شعلان ، ورئيس الظفير الشابوش بن عفنان ، فتنازل الفريقان في قتال مرير ، وأيقن زعماء عنزة والظفير ان الدائرة ستدور عليهم إذا لم يستبسلوا في المعركة ، وهكذا ندب بعضهم بعضاً وكروا كرة واحدة على جموع أهل العراق فهزموها هزيمة شنيعة وقتلوا من الجنود والاعراب عدداً كبيراً واخذوا منهم اموالا طائلة ومغانم من الخيل والابل وعادوا بها إلى داخل اراضي نجد .

سيول وأمطار :

وفي هذه السنة حدث برق ورعد ثم تغطت السماء بالسحاب ،

وانهمر المطر مدراراً فشمل بلداناً كثيرة من الديار السعودية ومنها « حكر العيينة » فامتلأ بالسيل وتدفقت الشعاب التي حوله بالمياه ، وجرت السيول في نخيل سدوس وحريملا وعم السيل نخيل بلد الصفرة وجرى وادي ثادق وسال « الحريق » و « الحوطة » في الجنوب ، كما سالت الوديان وامتلأت السهول في الخرج وخشي السكان على منازلهم من الغرق ، وكذلك كانت الحالة في الافلاج .

وقد وقعت هذه الامطار والسيول في مطلع شهر جماد الثاني من هذه السنة ، ويعرف هذا الوقت بجمرة القيظ وفيه تحل الشمس في برج السرطان ، مما لم يعهد له مثيل في هذه الديار منذ وقت طويل ، وقد ارخص الله الاسعار بسبب هذه السيول والامطار .

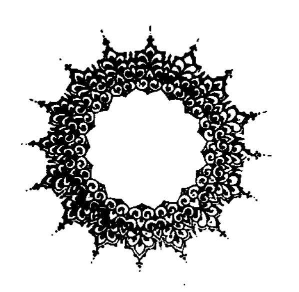
شريف باليمن ينقض العهد :

وفي شهر جماد الثاني من هذه السنة نقض حمود ابو مسمار صاحب « ابو عريش » احدى موانيء اليمن ، وهو من نسل الشريف احمد بن ابي نمي ، عهده مع الامير سعود ، وتفصيل ذلك : ان حموداً المذكور كان قد بايع الامير سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة وأخذ الامير من بلده عشر المال ، واوفد حمود ولده الى الامير سعود حيث أقام عنده عدة سنين ، فحدث بينه وبين عبد الوهاب أمير عسير عداوة ومنابذة ، وأقبل ابن حمود ومعه القاضي حسن بن خالد ، وأقبل عبد الوهاب ومعهَ محمد بن عبدالله بن حمد بن غيهب صاحب شقرا الى الامير سعود واحتكم الفريقان اليه فلم يتمكنا من الوصول الى اتفاق بينهما ، فكتب الامير سعود الى حمود ابي مسمار ، بأن يحارب اهل صنعاء بجنوده ، فلم يفعل ، وعندها امر الامير سعود

أهل الحجاز واليمن بالمسير الى قتاله ، وبعث من الدرعية قـوة من الفرسان على رأسهم غصاب العتيبي بعد ان جعله ناظراً على أمراء النواحي ونهاه عن مخالفة عبد الوهاب أمير عسير بداعي انه أمير الجميـع ، فسار عبد الوهاب بقواته من عسير والمع والطور وتهامة ، كما سار علي بـن عبد الرحمن المضايفي من الطائف وبوادي الحجاز ، وسار فهاد بن سالم بأهل بيشة ، ومشيط وابن دهمان برجالها من شهـران ، وابن حرملة بجميـع عبيده ورعاياه من « جنب » وغيرهم ، وتحرك بنو قحطـان وامراؤهم ، فاجتمع ما يزيد على خمسين الف مقاتل . ثم حشد ابو مسمار من معه من اهل اليمن وأهل نجران ويام وداهم وقبائل حاشد وبكيل ومن يليهم من قبائل همدان ، ووضع في الحصون التهامية قوة من رجاله ، ورافقه عدد من الجنود النظاميين ، والتقى الجمعان في وادي « بيشة » ونهض حمود لملاقاة خصومه قبل استعدادهم ، وداهم قوة عسير الـتي يقودها عبد الوهاب ، فاستعر القتال على اشده ودارت المعركة كأنها النار الموقدة ، فاستشهد فيها المرحوم عبد الوهاب أمير عسير بذاته ومعه عدد من رجاله ، وهنـا ازدحمت الجموع السعودية على ابي مسمار وكرت على قواته كأنها الاسود فهزمتها شر هزيمة ، واستمرت في مؤخرتهـا تقتل وتغنم الى ان احتلت خيامها ، واستمر قائدها ابو مسمار في انهزامه الى ان وصل الى حصنه « ابو عريش » وتوغلت القوات السعودية في ظاهر بلاد صبيا ونواحيها واستولت على حصنها صلحاً ، ووضع فيـه غصاب قوة من رجاله ، ثم بعث عدة سرايا من قواته الى تهامة فدمرت معاقلها واستولت على أموال كثيرة ، واسفرت هذه الوقعة عن سقوط عدد كبير من القتلى من كـلا الطرفين ، وغنم السعوديون من بنـدر جيزان كميـات كبيرة من البن وغيره واستعمل الامير سعود أميراً على تهامة بعد وفاة عبد الوهاب ابن عمه طامي بن شعيب .

وفي هذه السنة أدى الامير سعود حجته السادسة كالمعتاد وشريف مكة

يزوره ويكرمه على سابق عـادته ، وكانت الميزة في هـــذه الحجة أن جميع الذين رافقوا الأمير سعود في حجـــه لم يحملوا سلاحـــاً وهذا مـا دل على أن الطمـأنينة وسلامة الأمن قد شملت أنحاء الحجاز بأسرهـا .



الفصل الثامن

الاسْتِعْمَار البريطَاني يَغزُو مَسْقَط

لقد كان سعيد بن سلطان صاحب مسقط نقض عهده مع الامير سعود وأرسل مستنجداً بالقوات البحرية البريطانية ، فأقبلت ، في هذه السنة عدة سفن من الاسطول البريطاني ، ونزل الجنود الانكليز إلى اليابسة وقصدوا أهل بلدة « رأس الخيمة » المعروفة حتى الآن في اقليم عُمان ورئيسها يومئذ سلطان بن صقر بن راشد امير القواسم ، ونصبوا خيامهم فيها وحاربوا أهلها ، فلم يتمكنوا من قهرهم .

ونورد هنا نصاً ورد في كتاب « عنوان المجد في تاريخ نجد » – ج ١ ص ١٥٤ – حول هذه الغزوة الاستعمارية المنكرة قال المؤرخ :

« ولما لم يحصل الانكليز على طائل رفعوا على البلد بلوراً وجعلوه في عين الشمس وقابلوا به البلد فاشتعلت النار فيها وكان اكثر بيوتها صرايف من عسبان النخل ، فدخلوا البلد واستباحوا ونهبوا ما فيها واشعلوا

فيها النيران ودمروها . وهرب سلطان بن صقر وغادر اكثرية أهل البلد حتى فرغ العدو منها وانتقل عنها ، فرجعوا الى بلادهم فعمروها وحصنوها » .

إننا نرى من هذا الوصف لكيفية احتلال البلدة صورة صادقة عن الاحتلال البريطاني لكثير من الديار العربية في جنوب جزيرة العرب وغير ها ، واذا كان الانكليز احرقوا بلدة « رأس التنورة » بواسطة البلور الضخم مستخدمين حرارة الشمس ، فأنهم أحرقوا ودمروا ، في هذه الايام ، بعض المدن العربية في جهات عدن بالقنابل المدمرة والمحرقة التي أبادت الرجاء والنساء والاطفال ، وذلك باسم « الحماية » على هذا الاقليم العربي الصرف ، وبينما يرتكب الاستعمار البريطاني هذه الفظائع في هذا الاقليم العربي يدعي بأن « تدخل اليمن » في شؤون « المحمية !! » قد زاد في هذه الايام كثيراً ... كأن اليمن بلد ايطالي وعدن بلد بريطاني ، وهكذا يحاول الاستعمار البريطاني في منطقة الفج أن يبرر اجرامه في عدن في مثل هذه الادعاءات المجرمة ؟ ! !

وعندما علم الامير سعود – رحمه الله – بهذه الحوادث ارسل عبد الله بن مزروع صاحب منفوحة يصحبه عدد كبير من أهل نجد الى عمان وأمرهم بأن ينزلوا في قصره « البريمي » المعروف في واحة البريمي العربية السعودية ، كما ارسل الامير سعود مطلق المطيري بجيش من اهل نجد وأوعز إلى أهل عمان بالقتال معه ، فهاجم أهل صحار ورئيسهم يومئذ عزان بن قيس ، وقاتلوا الخارج على العروبة والاسلام سعيد بن سلطان صاحب مسقط لالتجائه الى الانكليز ودام القتال بينهم مدة طويلة ، وقتل من جماعة عزان حوالي ٥٠٠ رجل ، وهاجم مطلق المطيري وجماعته من أهل عمان أهل صحار ، ودخلت سنة ١٢٢٥ وهم في هذا القتال والمطيري والقوات السعودية تغنم وتقتل الاعداء

وقد احتلت عدة قرى من نواحي صحار . وبايع اكثر السكان على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ولم يبق في حالة حرب مع القوات السعودية سوى مسقط ونواحيها وصاحبها سعيد بن سلطان الذي استنجد بالانكليز ، وقد بعثت الاخماس من الغنائم الى الامير سعود .

وفي هذه السنة « ١٢٢٤ هـ » تحقق لدى الامير سعود ان آل خليفة في البحرين والزبارة يقومون بأعمال تنم عن العداوة والبغضاء له ، فأرسل اليهم جيشاً ، واستعمل عليهم أميراً محمد بن معيقيل ثم اتبعه بعبدالله بن عفيصان ونزلوا عند الزيارة وأقاموا هناك حوالي أربعة اشهر إلى أن رجع الامير سعود من الحج ، فبعث الى قادة جيشه في الزبارة بارسال آل خليفة إلى الدرعية فساقوهم اليها .

يستنجدون بصاحب مسقط والإنكليز :

لقد كانت الفتن والمفاسد الانكليزية تفعل أفاعيلها في نفوس سكان مسقط والبحرين وما جاورها من أقاليم عربية غشيها الجهل وركبها الضلال بأوسع معانيه ، وكان لا بد للأمير سعود من وضع حد لهذه الويلات الاستعمارية فلا تتعدى تلك المناطق الى دياره ، ففي سنة ١٢٢٥ وعندما عاد الامير سعود من الحج الى بلاده واوعز الى قادة جيشه في « الزبارة » بارسال آل خليفة إلى الدرعية ، قام هؤلاء القادة بارسالهم ، وهم سليمان بن احمد بن خليفة واخوه عبد الله بن خليفة وابناؤهم وخليفة بذاته ومعهم كليب البجادي وغيره من أعوانهم ورؤساء رعيتهم ، وقد قرأ الامير سعود عليهم ما حدث منهم ثم اعتقل رؤساءهم واعاد ابناءهم وبقية من معهم إلى بلادهم ، وصادر جميع خيولهم وابلهم وقواتهم العسكرية في البحرين والزبارة ، وامر فهد بن سليمان بن

عفيصان بأن يعبر إلى البحرين ويحتلها ويقيم فيها بيتاً للمال ، وكان ابناء خليفة نقلوا اكثر نسائهم وأموالهم في السفن وهربوا من الزبارة قاصدين صاحب مسقط سعيد بن سلطان الذي كان يرقب مع قائد القوات الانكليزية لديه هذه الحال في البحرين بعين الفتنة والغدر والمكر، فأجارهم ، وأرسل سعيد بن سلطان بعض السفن الانكليزية وفيها عدد من رجاله الى الزبارة في البحرين فوصلوها ليلاً وأخرجوا منها بقية جماعة آل خليفة وما فيها من المال والمتاع ودمروها بأجمعها ، ثم اتجهت هذه القوة ، بحماية القوات الانكليزية ، الى البحرين ونازلت فهد بن عفيصان عامل الامير سعود وقواته المرابطة في قصر « المنامة » وتتألف من ٣٠٠ رجل وحاصرتهم عدة أيام ثم أخرجتهم بالامان على دمائهم ، واعتقل قائد القوات المعادية فهد بن عفيصان ومعه ١٦ رجلا من رجاله كرهائن مقابل شيوخ آل خليفة الموجودين في الدرعية .

لقد عاد الامير سعود من الديار الحجازية الى الدرعية عاصمة ملكه الرحيب في شهر محرم من سنة ١٢٢٥ هجرية وقدموا اليه شيوخ آل خليفة وبعض أتباعهم كما أسلفنا ، فطلب آل خليفة من الامير سعود ان يفك اسرهم ووعدوه بالسمع والطاعة وان يعودوا إلى الزبارة في بلادهم وان يجتمعوا فيها إلى أبنائهم وذويهم ، فاذا أراد هؤلاء الامتناع عن مبايعة الامير سعود يعودون ثانية إلى الدرعية ، وقد عاهدوا الامير سعود على ذلك وأعطوه ميثاقاً قاطعاً وارتحلوا عن الدرعية وبعث الامير سعود معهم قوة من الجيش ، فلما وصلوا إلى الزبارة طلبوا من بنيهم الموافقة على ما بايعوا الامير سعود عليه فأبوا عليهم ذلك ، فرجع هؤلاء الزعماء إلى الدرعية وأقاموا فيها براً بوعدهم وعهدهم ، وكانت السفن الانكليزية دمرت الزبارة على الشكل الذي أوردناه !!

القوات السعودية تداهم سوريا وفلسطين واليمن :

وفي الثالث من شهر ربيع الثاني من هذه السنة سار الأمير سعود بجنوده وقواته ، بعد استنفارها من جميع النواحي فبلغت حوالي ثمانية آلاف مقاتل ، وقصد بها الديار الشامية ، فقد بلغه ان عشائر سوريا من عنزة وبني صخر وغيرها قد نزلوا في نقرة الشام ، فلما وصلها لم يجد فيها أحداً ، ذلك أن أنباء الحشد السعودي وسيره نحو الشام قد بلغت زعماء هذه العشائر والقبائل ، فاجتمعوا إلى دوخي بن سمير رئيس عشيرة ولد علي من عنزة ، وكان نازلاً وراء الجبل المعروف باسم « طويل الثلج » بالقرب من مدينة نابلس في مكان اسمه « عين القهوة » من جبال حوران . ولما علم ابن سمير ومن معه بنبأ وصول الامير سعود على رأس قواته لمحاربتهم ، انهزموا من ذلك المكان ونزلوا في الغور ، فتوجه الأمير سعود بقواته إلى حوران وهاجم القرى والدساكر التي حول المزيريب وبصرى واستولى على ما عثر عليه من مال ومتاع وطعام ، وكان أهلها هربوا إلى مختلف النواحي عندما سمعوا بقدوم الامير سعود إلى ديارهم !!

ثم نزل الامير سعود وقواته على عين لبجه فشرب الجنود والخيول ، ثم هاجم الامير قصر المزيريب وهو عبارة عن قلعة ضخمة منيعة ، فصمدت حامية القصر أمامه ونازلته بفرسانها ثم انهزمت إلى داخل القصر ، ولم يرغب الامير سعود باراقة دماء المسلمين فترك القصر وحاميته ، وارتحل الى بصرى وبات ليلته فيها ، ومنها قفل عائداً إلى وطنه ومعه غنائم كثيرة . وقد أحدثت هذه الوقعة هزة عنيفة في نفوس سكان سوريا لا سيما في دمشق ، فلذا ما كاد الامير سعود يصل إلى الدرعية حتى عُزل يوسف باشا والي الشام فسار اليه سليمان صاحب عكا وأجلاه وصادر جميع أمواله وتولى ولاية الشام !!

وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة توفي المؤرخ العلامة حسين بن غنام صاحب « تاريخ نجد » الشهير باسم « روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوي الاسلام » وكان شاعراً اديباً وله عدة مؤلفات منها : « العقد الثمين في شرح احاديث اصول الدين » .

وفي آخر شهر شعبان من هذه السنة سار عثمان بن عبد الرحمن المضايفي بأهل الحجاز قاصداً ارض تهامة واليمن اذ كان حمود ابو مسمار جمع قوات كبيرة لمحاربة الامير سعود . فالتقى الجمعان واقتتلا في الموقع المعروف باسم « الوحلة » ، فدارت الدائرة على ابي مسمار وقتل من قومه حوالى ٢٥٠ رجلاً . ثم سار بعده طامي بن شعيب أمير عسير والمع بجيش من قومه والحجاز وقحطان نحو « اللحية » فحاصرها ثم احتلها بالقوة وغنمت قواته اكثر ما فيها من الاموال والذهب والفضة والقماش واللؤلؤ والحرير . وذكر في هذا الصدد : ان بعض الغزاة من قوات طامي قد طحنوا اللؤلؤ لاعتقادهم أنه ذرة .... ، وقد قتل من أهل هذه البلدة حوالي الف رجل واشتعلت فيها النيران ، ثم سار طامي المذكور بقوات اكثر عدداً إلى « تهامة » ومنها الى ميناء « الحديدة » ونازل اهلها ، بعد ان نقلوا أموالهم الخفيفة الى السفن ، وركب فيها اكثر الرجال ، فغنم طامي كل ما في المدينة من مال ومتاع وارسلت أخماس الغنائم إلى الامير سعود !!

فتنة في العراق :

وفي هذه السنة وقعت فتنة في العراق اريقت فيها الدماء . وايضاح ذلك : ان السلطان محمود بن عبد الحميد الاول بعث مندوباً من قبله

يدعى « الغابكي » إلى بغداد ، وكان واليها يومئذ سليمان باشا ، ليستوفي منه خراج العراق إذ أنه لم يرسله منذ عدة سنين ، فأقام الغابكي لدى سليمان باشا مدة دون ان يسلمه شيئاً من هذا الخراج ، ثم قدّم الباشا اليه مبلغاً من المال كرشوة لقاء خروجه من بغداد والعودة من حيث اتى ، وما ان خرج من بغداد حتى استصرخ العشائر الكردية وعشائر بادية العراق على سليمان باشا ذاكراً لهم انه قد عصى أمر السلطان وخرج عليه . فسار عبد الرحمن باشا الكردي مع قوة من رجاله إلى ضواحي بغداد ، واشتبك الطرفان بقتال انهزم سليمان باشا وجنوده على اثره إلى جهات مختلفة من العراق ، وهام سليمان باشا على وجهه إلى ان صادفه سبعة رجال من عرب الدفافعة فقطعوا رأسه وأتوا بها الى عبد الرحمن باشا الكردي ، ولما عرف الباشا هويتهم أمر بقتلهم بداعي انهم من « رعاع » القوم يبيعون الفحم .... والاشياء الخسيسة ، وصاح الباشا فيهم قبل قتلهم : « مثلكم لا يجوز لهم ان يقتلوا الباشاوات ولستم اهلا لذلك ، فهلا اتيتم به حياً ؟ ! ! » ثم قتلهم ! ! ولما دخل عبد الرحمن باشا بغداد ، كان فريق من عقيل قد دخلوا السرايا وتحصنوا فيها وحاربوا قوات الباشا ، إلى أن أنزلهم من السرايا بالامان واستولى على بغداد بأسرها وأقام عبدالله باشا ، وهو من أحد أتباع علي باشا ، والياً عليها ، وراح عبد الرحمن الكردي يعبث بمقدرات بغداد ويأخذ الاموال من سكانها بالقوة ويصادر الرجال ، وقد ظن موفد السلطان « الغابكي » ان عبدالرحمن الكردي سيقدم اليه ما طلبه السلطان من الخراج ولكنه لم يفلح في بغيته ورحل من بغداد في غضب شديد ، وشعر عبد الرحمن الكردي بذلك فأرسل الى الطريق التي سيسلكها « الغابكي » عدداً من أتباعه ليغتالوه أثناء مروره بها ولكنه نجا من هذه المحاولة ووصل الى السلطان وأخبره بوقائع الاحوال في العراق ، فاستنجد السلطان بشاه العجم وأرسل اليه « الغابكي » بذاته مع قوة قليلة من الجند ، لمحاربة

عبد الرحمن الكردي ، فسار الشاه مع قوة من جنده إلى بلاد الأكراد فانهزم عبد الرحمن منها واستولى عليها الشاه وحصل من هذه البلاد على مبالغ كبيرة من الاموال لقاء نفقات قواته وعاد إلى بلاده . .

سعود في حجته السابعة :

وفي هذه السنة أدى الامير سعود فريضة الحج لسابع مرة ، فرافقه من بلاده جمع كبير ، ودخل مكة المكرمة بمهرجان عظيم لم يسبق له مثيل . واعتمر مع رجاله وحجوا جميعهم على أكمل وجه ونزل الامير سعود في قصر البياضية كعادته ، وبذل من الصدقات والحسنات قدراً كبيراً ، وقد القى الامير سعود في حجاج بيت الله الحرام هذه السنة خطبة بليغة علّمهم فيها المناسك وذكرهم بما أنعم الله عليهم من الاعتصام بكلمة التوحيد « لا اله الا الله » وما اعطى الله في ضمنها من الاجتماع بعد التفرق وامان السابلة وكثرة الاموال وانقياد العصاة الرجال ، وقال : « إنّ أضعف ضعيف يأخذ حقه كاملا من أكبر كبير من مشايخ البوادي وأعظم عظيم من رؤساء البلدان » .

ونادى الامير سعود في خطبه وهو على ظهر مطية : لا يُحمل في مكة سلاح ، ولا تبرج امرأة بزينة . وتوعد من فعل ذلك من جميع رعيته بالعقاب الشديد . وفي هذه الاثناء أقبل شريف مكة غالب من فوق حصانه ومعه رجل واحد من أتباعه ، فنزل الامير سعود عن ظهر مطيته وسلم عليه وتعانق الاثنان طويلا ، واقيمت صلاة الظهر ، وقصد الجميع بعدها عرفة ، ثم البس الكعبة المشرفة كسوةً من القيلان والديباج الفاخر وجعل ازارها وكسوة الباب من الحرير الاحمر المنسوج بالذهب

والفضة ، وأقام الامير سعود على هذه الحال في مكة المكرمة حتى العشر الاواخر من شهر ذي الحجة من هـــذه السنة ثم قصد مدينـة الرسول الاعظم فزار ووهب وتصدق وغيّر الحامية ورجع الى وطنه .

فتنة لم تكن مرتقبة :

وبينما كان الامير سعود في إداء فريضة الحج بمكة المكرمة ، خرج انجاله الثلاثة تركي وناصر وسعد من الدرعية ، في اليوم الاول من شهر ذي الحجة من هذه السنة ، يرافقهم عدد من انصارهم وأتباعهم ، وقصدوا نواحي عمان على خليج العرب .

وايضاح ذلك : ان جفوة كانت وقعت بينهم وبـين والدهم الامير سعود بسبب امتناعه عن زيادة مخصصاتهم من النفقات مع انها كـانت كبيرة ، كما كانوا طلبوا اليه الموافقة على غزوهم اقليم عمـان فرفض ذلك ، فما ان توجّه إلى الحجاز ، حتى حشدوا الجموع وتوجهوا بذلك الوقت إلى عمان كما أسلفنا ، وما ان وصلوا اليها حتى علم الاهلـون بأمرهم ، وتركوهم حتى هبط الليل ، واستسلم جماعة تركي واخوته للنوم ، فهجم أهل المدينة عليهم ، ودارت المعركة عنيفة بين الفريقين وقتل فيهـــا منهما خلق كثير . ولمـا انقضت الموقعة ، أرسل أبنـاء الامير سعود الى مطلق المطيري امير الجيوش السعودية في عمان بالحضور . وبوصوله واطلاعه على جليّة الخبر استنفر قواته ، وجعل الامير تركي ابن الامير سعود قائداً عاماً عليها ، وتوجهت هذه القوات الى عمان ونازلت أهل بلدة « مطرح » على الساحل واحتلتها بالقوة وقتلت من أهلها عدداً كبيراً وغنمت أموالا عظيمة ، ثم سارت قوات الامير تركي مع الساحل فاحتلت بلدة « خلفان » ومنها ارتحلت الى جعلان وســور

وصحار فاحتلت هذه المدن الثلاث واوغلت في داخلية اقليم عمان غانمة أموالا كثيرة .

ولما علم الامير سعود ، وهو في مكة المكرمة ، يؤدي مناسك الحج ، بهذه الحوادث ، اضطرب لها وغضب غضباً شديداً وعاد الى الدرعية ، فطلب رؤساء أهلها أن يعفو عن أولاده الثلاثة ويستدعيهم ويؤمنهم على أنفسهم فأبى ذلك بعناد ، وبعث اربعين رجلا من عاصمته الدرعية الى جهات عمان وأمرهم بالنزول في قصره البريمي واخراج القوات المرابطة فيه واحتلاله ، وعدم السماح لاحد من أبنائه أو اتباعهم بدخوله ، وكان عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة ومعه بعض رجاله من نجد يسكنون هذا القصر ، وكان الامراء الثلاثة أبناء الامير سعود يأوون اليهم ، فدخله الفرسان الاربعون وطردوا جميع الذين بداخله ومنعوا أبناء الامير من دخوله . وأرسل الامير سعود ايضاً الى مطلق المطيري ومن معه من رؤساء القوات النجدية وأتباعهم بوجوب الخروج من عمان وعدم ابقاء رجل واحد فيها من جماعتهم ، وهنا ضاق الامر بابناء الامير : تركي وناصر وسعد ، وشفع فيهم رؤساء الدرعية لدى الامير سعود والدهم ، فأصر ايضاً على عدم التأمين على حياتهم وقال : « يجب ان يحضروا على الحسنة والسيئة » فأقبل مطلق المطيري والامراء الثلاثة الى الاحساء وابوا الوصول الى الدرعية خوفاً من والدهم ، فأرسل مطلق المطيري الى الامير سعود وأبلغه الخبر ، فأعطاهم الامان وضمن مطلق لهم السلامة في حال وصولهم الى الدرعية . واصيب الامير ناصر بمرض عضال لزم الفراش بسببه شهرين دون ان يعوده والده ، فأسلم الروح ووالده ناقم عليه بسبب مخالفته مع اخويه لاوامر والدهم !!

وما ان خرج الامراء الثلاثة وقواتهم من اقليم عمان كما ذكرنا حتى وقع فيه بعض الخلل ، ونقض اكثر بني يأس العهد الذي بذمتهم للأمير سعود ، فكتب الامير الى عبد العزيز بن غردقة صاحب الاحساء يأمره

بالذهاب الى عمان وان يتولى امارة الجيوش فيها ، على ان تصحبه قوة من المجاهدين ، فلما وصل عمان وقـع بينه وبين بني يأس وغيرهم قتال عنيف انهزم فيه عبد العزيز وقواته ثم استشهد عبد العزيز بذاته في هذه المعركة ومعه حوالي ٢٠٠ رجل من جماعته ، وكان ذلك في شهر جماد الاول سنة ١٢٢٦ .

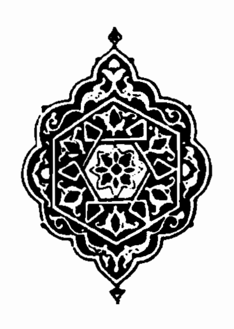
وفي آخر شهر ذي الحجـة من هـذه السنة جمـع صاحب مسقـط سعيد بن سلطان قوات كثيرة ، واستنصر الاعاجم في ايران ، فأتاه منهم نحو ثلاثة آلاف مقاتل ، وساروا جميعهم الى عمان وأعملوا باهلهـا قتلا ونهباً واحتلوا بلاد الجبري « سمايل » وهرب الجبري منها مـع فريق من جماعته .

ولما علم مطلق المطيري بذلك توجه من مركزه في عمان مع قوات من أهلها ومن نجد وغيرها ، والتقت هذه القوات بقوات صـاحب « مسكة » وتنازل الطرفان في معركة اسفرت عن انهزام جنود صاحب مسكة ، وركبت قوات المطيري اكتافهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً واخذت منهم اكثرية متاعهم وخيامهم واكثر من عشرة مدافع ، ورجع بقيـة الجنود الى مسكة وسمايل ، وبعث المطيري بخمس الغنـائم الى الامير سعود .

معركة رهيبة في البحر :

لقد وصل الامير سعود الى عاصمته الدرعية من الحجاز في شهر محرم من سنة ١٢٢٦ ، واطلق سراح الزعماء من آل خليفة واذن لهم بالرجوع الى بلدهم ووعدوه بالسمع والطاعة وعدم المخالفة ، وصادف حـين وصولهم الى بلدهم ، ان وقعت بين عشائرهم وابنائهم وبين عشائر رحمة

ابن جابر بن عذبي امير خوير حسان ، وبين ابي حسين أمير « الحويلة » – البلدة المعروفة في قطر – ، وبين ابراهيم بن عفيصان أمير القوات السعودية المرابطة هناك ؛ وقعت بين هؤلاء معركة عنيفة على ظهور السفن قرب البحرين ، وذلك في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، وقد كثر عدد القتلى من الطرفين ، واستعرت النيران في السفن والبارود الذي فيها ، فمات عدد كثير من الجنود الذين يقاتلون عليها بين حريق وغريق ، واحترق لابن جابر وابي حسين ومن معهم من جماعة الأمير سعود سبعة مراكب ، واحترق لآل خليفة مثل هذا العدد ، وقتل من أهل البحرين وأتباعهم أكثر من الف رجل منهم دعيج من الكويت إذ كان من اعوان آل خليفة ، وقتل راشد بن عبدالله ابن خليفة وغيره من الاعيان ، واستشهد من جماعة الامير سعود ابو حسين أمير الحويلة .



الفصل التاسع

الحمَلات آلتركيَّة ـ المصريَّة المتَتابعَة

لقد اختلف الرواة في تفاصيل هذه الحملة التركيـة — المصرية التي اعدها سلطان الترك لغزو البلاد المقدسة والديار النجدية ، بعد ان توحدت وسادها الأمن والسلام وعمها الرخاء وغمرها الخير على يدي الأمــير سعود بن عبد العزيز وجنوده وأهل ديرته الأتقياء الاوفياء ، فلذا اعتمدنا في سرد وقائع هذا الفصل على مؤرخ معاصر هو العلامة المرحوم الشيــخ عثمان بن بشر النجدي الحنبلي في كتابه « عنوان المجد في تاريخ نجد » .

وقد كان دأبُ هـذا البيت العربي النبيل « بيت آل سعود » منذ نشأته ، ان يجمع بين أطراف جزيرة العرب ، ويوحِّد بين أهلهــا وسكانها في امبراطورية عربية واسعة الاطراف ، وقــدَّم آل سعود قوافل الشهداء تباعاً ، من انفسهم وأبنائهم واحفادهم ، قرابين مثابة على محراب هذا الهدف الاسمى ، وهذا ما كان يخيف آل عثمان في القسطنطينية ومن حالفهم من الاعاجم ، فعملوا جهدهم وبذلوا قوتهم ، للبطش

بامراء البيت السعودي ومن يلوذ بهم ، وبأهل بلادهم إلا من سايرهم في ضلالهم والتحق بهم ، فكانت معارك دامية رهيبة أعاقت الركب السعودي عن اداء مهمته ، وحالت دون اداء هذا البيت العربي الكريم رسالته ، الى أن أذن الله ، ودالت دولة الظلم والطغيان من آل عثمان ، وأصبحت تلك الامبراطورية الضخمة المترامية الاطراف منكمشة في حدود صغيرة عرفت باسم « الجمهورية التركية » وعدد نفوسها لا يتجاوز الثمانية عشر مليون نسمة !!

الوقعة الاولى

لقد دخلت سنة ١٢٢٦ ، والسلطان العثماني في وجل من النتائج الباهرة التي حصل عليها الامير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ابن محمد بن مقرن ، فقد جمع بين نجد والحجاز واليمن وعمان في مملكة عربية شاسعة واسعة ، شعارها الاعتراف بوحدانية الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد أعد السلطان منذ فجر هذه السنة العدة لغزو البلاد الحجازية والنجدية وتمزيق شمل هذه الوحدة الرائعة المتجلية في حكم الامير سعود وجهاده السخي في هذا السبيل الكريم القويم .

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة أتمّ الاتراك حملتهم فجمعوا اكبر كمية من آلات وادوات الحرب وبينها المدافع والقنابل والذخائر والاموال والطعام والخيام ، وشحنت مع عدد كبير من الجنود الى الديار المصرية .

وكان والي مصر محمد علي باشا الشهير بلقب « الكبير » قد ثار على محمد باشا والي مصر وقتله في سنة ١٢١٩ ونصب نفسه والياً مكانه ،

وراح يكاتب السلطان وكبار رجال حكومته ويغريهم بقبوله لاشغال منصب الولاية على مصر ، واتهم الوزيرَ محمد باشا بانه كان يعمل خلافاً لاوامر السلطان وانه كان يعمل قصد الاستيلاء على مصر وفصلها عن السلطنة العثمانية ، فأقرّه الباب العالي على ولايته ، واستحكم امره في مصر ، وأخذ يتقرب من السلطان بمختلف الاساليب ، ويرسل الهدايا من أموال الشعب المصري ، غالية ثمينة ، إلى السلطان ورجال الباب العالي واركان الدولة ، إلى أن وضع السلطان العثماني خطته واحكم أمره لغزو الديار الحجازية والنجدية ، فجهز تلك الحملة الكبيرة وارسلها بطريق البحر إلى مصر ، وعين محمد علي باشا قائداً عاماً لهذه الحملة وأمره بأن يجهز حملة مصرية ترافق الحملة التركية ، فنفذ الأمر بتجهيز حملة عسكرية من أهل مصر والمغرب ، وقدرت هذه الحملة بحوالي ١٤ الف مقاتل يرافقهم عدد كبير من الخيل الجيدة ، واستقلت هذه الحملة التركية - المصرية - المغربية السفن ، بقيادة احمد طوسون احد انجال محمد علي باشا الكبير ، وحطت على بلدة « الينبع » في ساحل البحر الأحمر ، فانهزم عاملها السعودي جابر بن جبارة منها ومعه عدد كبير من انصاره ، واحتلت تلك القوات البلدة بسرعة وسهولة !!!

حملة سعودية بقيادة عبدالله :

وصلت أنباء هذه الحملة العاتية إلى مسامع الأمير سعود ، فأصدر أوامره المستعجلة إلى جميع سكان بلاده من الحضر والبدو بوجوب الاسراع في التجمّع والزحف نحو المدينة المنورة ، وإن هي إلا مدة وجيزة جداً حتى تجمعت قوة قوامها ١٨ الف مقاتل ، واسند الامير سعود قيادتها إلى ولده البطل الامير عبدالله ، وزحف هذا القائد الشجاع

بهذا الجيش العرمرم فنزل موقع « الحيف » المعروف في وادي صفرا فوق المدينة المنورة بقليل ، ثم أردفت هذه القوة بثمانمائة فارس ، وأوعز الأمير سعود الى سعود بن مضيان ومن معه من عشائر حرب وأهل الوشم بأن ينزلوا في الوادي الذي يجانب مكان الامير عبدالله مخافة ان يزحف الترك من هذا المكان على القوات السعودية خلسة ، فنفذ ابن مضيــــان الامر بحذافيره . وقد حملت القوات التركية والمصرية على القوات السعودية فأرسل الامير عبدالله بن سعود اليها طليعة من الهجانة والفرسان فهزمتها القوات التركية – المصرية واستشهد من أفراد هذه الطليعة ثلاثون رجلا ، ورابطت القوات الغازية أمام القوات السعودية ، فالتقى الفريقان ، وجعل الامير عبدالله اخاه الامير فيصل بن سعود قائداً على الخيل يساعــــده حباب بن قحيطان المطيري . ودارت رحى المعركة مستعرة كنار جهنم وصبر الفريقان ، وكثر عدد القتلى بينهما ، فكلما حمل الترك على القوات السعودية انهزم فريق وثبت فريق ، ودامت هذه الحــال ثلاثة ايام ، فأرسل عبدالله إلى سعود بن مضيان وإلى من معه من حرب واهل الوشم بأن يحملوا على الترك وأعوانهم ، فشنوها حملة شعواء لم تبق ولم تذر ، واندفعت قوات الامير عبدالله بن سعود في المعركة الفاصلة ، يحدوهــا الايمان بالله والغلبة والظفر ، فاذا بالقوات المصرية – التركية تولي الادبار غير لاوية على شيء ، وقد انكشفت خيامها واثقالها ، وتركت سبعــة مدافع في أماكنها ، فعملت سيوف القوات السعودية في رقاب وظهور تلك الفلول المنهزمة ، ولم يسلم منها سوى اولئك الذين شاء الله لهــــم السلامة على ظهور الجياد ، واستولت القوات السعودية على تلك الغنائم والمدافع والاسلحة والذخيرة ، ووصلت الفلول المنهزمة الى « البريكة » حيث ترسوا المراكب المصرية فركبها المنهزمون الى « الينبع » ومعهــــم أحمد طوسون قائدهم واستقروا فيها .

وقد ذكر العلامة ابن بشر في تاريخه : ان عدد القتلى من الترك

وأعوانهم قد زاد على اربعة آلاف رجل ، وقتل من القوات السعودية نحو ستماية رجل ، وكان في مقدمة هؤلاء الشهداء الامير مقرن بن حسن ابن مشاري بن سعود « من الاسرة السعودية » وبرغش بن بدر بن راشد الشبيبي ، وسعد بن ابراهيم بن دغيثر ، وهادي بن قرملة رئيس قحطان ، ومانع ابن كرم رئيس عبيدة ، وراشد بن شعبان أمير بني هاجر ، ومانع بن وصير العجمي الفارس المشهور وغيرهم .

اجتماع في مكة وغزو العراق:

لقد فرق الامير عبد الله بن سعود الغنائم الوفيرة على المجاهدين بعد حجز الخمس لبيت المال ، ورحل إلى مكة المشرفة حاجاً بجميع من معه من الجنود السعوديين ، واجتمع الى والده الامير سعود اذ كان قدم مكة لاداء فريضة الحج للمرة الثامنة ومعه عدد كبير من مختلف انحاء البلاد ، وبعد أن حجوا واعتمروا نزل الامير سعود في قصر البياضية ، ثم قدم اليه شريف مكة غالب حاملا اليه الهدايا النفيسة ، فقابله الامير سعود بالشكر وأهداه أضعاف اضعافها ، وكسا الامير سعود الكعبة المشرفة على جري عادته بالديباج الاسود وجعل ازارها وكسوة بابها من الحرير المطرز بالذهب والفضة ، وامر المسلمين فيها بالمعروف ونهاهم عن المنكر ، وبذل أموالا كثيرة في الصدقات والهبات ثم رحل مع ابنه عبد الله ومن معه عن مكة المكرمة في العشر الاواخر من ذي الحجة بعد ان رتب فيها العساكر ، وأرسل إلى المدينة المنورة جموعاً غفيرة من أهل نجد واليمن والحجاز لضبط القلعة ونواحي البلدة المطهرة ، وحفظها ورجع الى وطنه واذن لاهل النواحي بالرجوع الى ديارهم

ولم يحج في هذه السنة احد من أستانبول ولا مصر ولا الشام الا شرذمة من أهل المغرب .

وفي هذه الفرصة توجه الامير عبدالله بن سعود بقوة من جميع نواحي نجد قاصداً العراق فأغار على عربان آل قشم ورئيسهم يومئذ ناصر بن قشعم ، واخذ أموالهم وحلالهم وكان يوجد بين هؤلاء العربان جيش من الاتراك فقتل منهم عدد كبير ، وذلك بالقرب من مدينة الحلة ، وعاد الامير عبد الله بعدها مع قواته الى الدرعية .

حملة مصرية ثانية واحتلال المدينة

لم تقف السلطنة العثمانية ، بعد انهزام قواتها وقوات محمد علي باشا الكبير في معركة « الخيف » مكتوفة اليدين ، بل راحت تستعد لحملة أوسع ، وتفاوض والي مصر محمد علي باشا لاتخاذ مثل هذا الاستعداد في توجيه حملة اكبر من الاولى .

وما ان دخلت سنة ١٢٢٧ حتى كانت الحملة جاهزة في مصر ، وزحفت بقيادة احمد بن نابرت على ثغر ينبع البحر حيث انضمت الى القوات المصرية والتركية التي بقيت في هذا الثغر مع احمد طوسون باشا ، وانضمت اليها عشائر جهينة ، ثم استولت هذه القوات على ينبع النخل ووادي الصفرا وعدة قرى لعشائر حرب . وقصدت هذه القوات بعدها المدينة المنورة ترافقها عشائر حرب ، فوصلت ضواحيها في منتصف شهر شوال من هذه السنة وحاصرت بلدة الرسول « صلى الله عليه وسلم » ونصبت حولها المدافع وأمطرتها بوابل من القنابل ، فهدم جانب من القلعة ، ثم حفر الجند السراديب وملؤوها بالبارود واشعلوه ،

فكان لانفجاره دوي عظيم هز اركان المدينة وقد كان فيها حوالي سبعة آلاف رجل فاصيبوا بامراض مؤلمة بسبب فقد الماء اذ ان الجنود المصريين سدوا على المدينة مجاري المياه ، وحفروا سرداباً تحت سور القلعة وملؤوه بالبارود واشعلوه فانهدم السور ، ودخل الجنود المصريون المدينة واشتبكوا مع البقية الباقية من حاميتها بمعركة رهيبة بعد ان فتح سكانها لهم الابواب ، وكان ذلك في التاسع من شهر ذي القعدة ، فانحازت بقية الحامية السعودية الى القلعة وحوصرت بداخلها ، وكانت ضيقة فلم تتسع لتلك الجموع والخلائق ، ونصب الترك عليهم مدافعهم ورموهم بقنابلها فكانت القنبلة اذا وقعت في وسط القلعة تهلك عدداً كبيراً من الرجال ، ودامت هذه الحال اياماً الى أن كثرُ عدد القتلى والجرحى والمرضى فيها ، فطلب قائد القلعة المصالحة ، فقبل قائد القوات المصرية بذلك ، وانزل البقية الباقية من القوات السعودية من القلعة ، واستشهد في هذه المعركة من القوات السعودية حوالي اربعة آلاف رجل وهم من عسير وأهل بيشة والحجاز والجنوب ونجد .

وقد اعتقل الاتراك بعض قادة القوات السعودية وساموهم أنواع العذاب وبعثوا بهم الى مصر .

شريف مكة غالب، ينقض العهد :

ولما علم الامير سعود بالحملة التركية — المصرية الجديدة وغزوها الينبع واحتلالها المدينة المنورة ، جمع قوة كبيرة من جميع أنحاء البلاد وزحفت بقيادة ولده عبدالله نحو الحجاز ونزل بها في وادي فاطمة وأقام فيها أياماً .

وتحرك بعده والده الامير سعود ومعه قوات كبيرة من الاحساء

وعمان ونجد والحجاز وتهامة وغيرهـا فوصل إلى مكة المكرمة واجتمع اليه ولده عبدالله وحجُّوا واعتمروا على جري العادة ، واجتمع الشريف غالب اليـه مراراً وتكراراً فكان يلقى الترحـاب والهدايا الجزيلة ، ولمـا أراد الامير سعود الخروج من مكة المكرمـة اقـام فيها قوات كبيرة ، وبايعـه الشريف غالب على عدم الخيانة والغدر . فخـرج الامير سعود من مكة ، وابقى ابنه عبد الله مع قواته في وادي مر « هو المعروف باسم مر الظهران » بالقرب من مكة ورجع الامير سعود الى الدرعية .

وبعد أيام يسيرة زحفت القوات المصريـة ومن معهـا على مكـة المكرمة ، وهنا عاد الشريف غالب الى سابق عـادته من نقض العهود والمواثيـق ، وأوعز الى جنوده بالانضمام الى القـوات التركيـة — المصرية ، فرحـل الامير عبد الله من مـكانه الى « الريعان » ومنها الى « العبيلا » ونزل مـع قواته فيهـا ، ثم أوعـز الى عثمـان المضايفي ، وكان معـه ، بأن يزحف الى بلدة الطائف ويضبطهـا ، فنفذ عثمان الامر ، وما ان دخل الطائف حتى استوحش وخاف على نفسه وحرمه فخرج منهـا منهزمـاً بنسائه وأولاده حـاملا مـا خف من أمواله ومتاعـه ولحق بالامير عبد الله ، وكـان ذلك في يـوم الثـلاثاء ٣١ محرم من سنة ١٢٢٨ الجـديـدة ، وبعـد خروجـه بستة أيـام كسفت الشمس في يوم الاثنـين آخر شهـر محـرم المذكور ! !

احتلال مكة المكرمة :

لقد دخلت سنة ١٢٢٨ ، وارتحل عثمان بن عبد الرحمن المضايفـي

الى بلدة « رينة » وزحف أحمد طوسون بقواته نحو مكة المكرمةفاحتلها بدون قتال ، ونزل في قصر القرارة ، وقد كان الشريف غالب هو الذي دعاهم لدخول المدينة ناقضاً بذلك العهد الذي قطعه على نفسه للامير سعود بعدم الخيانة والغدر .... ولما استقر الترك في مكة سار الشريف راجح وابن الشريف غالب ومصطفى ، احد القادة ، الى الطائف واحتلوها بقواتهم ، وكاتبهم جميع أتباع عثمان المضايفي في الطائف ونواحيه ولحق بهم أهالي زهران وغامد ، وثبت اهل رينة وبيشة وجميع الحجاز اليماني على عهدهم للأمير سعود .

لم يسقط بيد الامير سعود ، عندما بلغته انباء هذه الوقائع والاحداث ، فقد راح يجمع الجموع ويعد العدة لمنازلة الغازين الدخلاء ، وفي آخر شهر ربيع الاول من هذه السنة سار بقواته الى المدينة المنورة فنزل على ماء « الحناكية » وكانت قوات من الترك والمصريين تقيم فيها ومعهم عثمان كاشف ، وعلى الماء المذكور اعراب من حرب وغيرها ، فلما أقبلت قوات الامير سعود عليها هرب هؤلاء الاعراب والتجؤوا الى الحرة ، فداهم جنود الامير سعود منازلهم وغنموا ما فيها من أموال ومتاع وطعام ، ثم هاجموا حامية مصرية مؤلفة من حوالي ٣٠٠ جندي كانت في قصر المدينة ، وحاصروهم بقوة الى أن طلبوا الامان فانزلوهم من القصر شريطة مغادرتهم البلاد الى العراق فنفذوا هذا الشرط بحراسة محمد بن علي صاحب الجبل .

ورحل الامير سعود وقواته من الحناكية الى جهة المدينة فغنم في طريقه من عشائر حرب اموالاً واغناماً كثيرة ، ولما اقتربت هذه القوات من جبل أحد شاهدت خيلاً من الاتراك مقبلة ترافقها قوة من عشيرة حرب ، فأغارت القوات السعودية عليها ، فانهزمت القوات الهجانة أولا ثم تبعها الفرسان بعد ان قتل منهم حوالي ٣٠ رجلا ، وتابع الامير سعود سيره فنزل على « ابو الرشيد » قرب البلد ، وهرب اهل البرك

عنها ، ثم رحل ونزل الحساء ، وسلك بعدها وادي الصفرا وسار في الحرة ونزل على اهل بلدة « السوارقة » وحصرهم ، فعاهدوه على نصف أموالهم ، وبعد ان اقام عدة أيام جمع الغنائم وباعها وقسمها على جنوده .

محمد علي باشا يدخل مكة
والشريف غالب يموت بالطاعون

وفي شهر شعبان من سنة ١٢٢٨ تجمعت القوات المصرية من مكة والطائف وسار القائد مصطفى ومعه الشريف راجح يرافقه فريق من العشائر التي نقضت عهدها مع الأمير سعود وشايعت الاتراك وتحرسهم قوة من المدفعية ، نحو « تربة » وفيها حامية نجدية فحاصرها الاتراك والمصريون مدة ثلاثة أيام وهنا أقبل العون من أهل بيشة لشد ازر أهل تربة ، وكمن في الطريق ، ولما أقبلت القوات التركية – المصرية صمد أهل تربة امامهم ، فاذا بالكمين يخرج بغتة ويشنها حملة صادقة على القوات المعادية فانهزمت شر هزيمة واستولت القوات السعودية على خيامها ومتاعها .

وفي الوقت ذاته اجتمع عدد من اهل الحجاز وانضموا إلى عثمان ابن عبد الرحمن المضايفي وقصد بهم مدينة الطائف واحتل قصرين من قصورها « والقصر هنا هو عبارة عن قلعة » . ثم نزل قصر بسل المعروف ، إلى أن علم الشريف غالب بذلك فتحرك مع قوات كبيرة من الاتراك والمصريين نحوه ، وحاصروه في ذلك القصر ، كما حاصروا بقية القصور التي حوله واقام على ذلك عدة أيام تمكن بعدها الشريف غالب

من احتلال هذه القصور وقتل عدداً كبيراً من رجال المضايفي ، وهرب عثمان المضايفي بذاته ، ولما وصل قرب الحزم ظفر به اناس من العصمة من عتيبة وساروا به الى الشريف غالب ، فأسره ثم قتله ، وقتل في هذه الموقعة من أهل عثمان حوالي ٥٠ رجلا وكان ذلك في العاشر من شهر رمضان من هذه السنة .

محمد علي يخون الشريف :

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة قدم محمد علي باشا والي مصر إلى مكة المكرمة تصحبه قوة كبيرة من الجند ، ورافقه الحج المصري ، ولما دخل مكة واستقر به المقام قدم اليه الشريف غالب للتحية والسلام فأكرمه محمد علي باشا وعظمه واعطاه عطاء جزيلا ، وفعل معه ، في الظاهر ، فعلا جميلا ، وكان قصده غير ذلك . وقد قام الشريف غالب كعادته بزيارته فأمسكه وقيده وحبسه وصادر كل ما يملكه من اموال وأثاث ومتاع ، حتى مماليكه صادرها ، وأخذ جميع ما في خزائنه من الذهب والفضة ، واخرج حرمه وعياله من قصر « اجياد » المعروف في مكة واستولى عليه ، وامسك كبار بنيه وقيدهم وحبسهم معه واستعمل على مكة شريفاً سرور بن يحي بن سرور شقيق الشريف غالب ، ونادى بالأمان لأهل البلدة ، وادعى ان هذه الاجراءات جميعها بأمر من السلطان العثماني ، وحيال ذلك هرب اكثر الاشراف واتباع غالب واعتصموا في رؤوس الجبال ، ثم ارسل محمد علي باشا كلا من الشريف غالب وولديه عبدالله وحسين الى مصر ، ووضعهم في السجن ، وقد استطاع الشريف غالب وهو في سجنه ان يكتب إلى السلطان شاكيا من تصرفات محمد علي باشا ، فجاء

أمر السلطان العثماني إلى محمد علي باشا بأن يرسل الشريف وابنيه إلى « سلانيك » – وكانت ولاية عثمانية وهي اليوم تابعة لليونان » – ، ويقدم اليه شيئاً من اموأله : ونُقل الشريف وابنيه فعلا إلى سلانيك وبقي فيها حتى أماته الله في وباء الطاعون سنة ١٢٣١ هجرية .

الأشراف يهربون خشية الغدر :

وهنا أراد محمد علي باشا ان ينصب الشريف راجح شريفاً على مكة ويصبح مرجعاً للعرب ، فلم يأمن الشريف راجح جانبه واستطاع أن يهرب ومعه شرذمة من الخيالة ويلتجىء بهم إلى قوة من جنود الأمير سعود في تربة . ثم خرج الشريف يحيى بن سرور من مكة واظهر انه يريد غزو الاعراب ومعه شرذمة من الترك والعرب ، فلما قرب من الخبت هرب بمن معه من العرب إلى ناحية تهامة وعسير خوفاً على نفسه ورجع الاتراك الذين كانوا معه !!

ولما علم محمد علي باشا بهذه الحوادث ارسل ولده طوسون بقوة كبيرة إلى جهة الحجاز واليمن ، وكانت أقرب بلدة اليهم تربة ، وكان الأمير سعود حصنها بالبناء وأعد فيها العدة للحصار ، واستنفر أهل الحجاز واليمن وأمرهم بالنزول عندها والمرابطة حولها ، ولما وصل احمد طوسون وقواته طوق البلدة وحاصرها اربعة أيام ، ورماها بالقنابل ولكن على غير جدوى ، فارتحل بقواته عنها ، وكانت قوات من بني سعد وهذيل وناصرة ترافق طوسون في غزوه !!!

فتن ودماء في العراق :

وفي هذه السنة وبينما القتال يستعر في الحجاز واطرافه ، وقع في بغداد بعض الفتن واريقت الدماء ، وذلك ان اختلافاً وقع بين اسعد بن سليمان باشا وعبدالله باشا والي بغداد ، فخاف الأول من الثاني وهرب إلى المنتفق والتجأ إلى حمود بن تامر — وكان هرب أحد القادة واسمه قاسم بك — فأرسل عبد الله باشا إلى حمود بن تامر طالباً اليه الاسراع بارسال الذين التجأوا اليه فأبى ذلك وعصمهم ، فجمع عبد الله باشا قوة من الاتراك وعشائر شمر وغيرهم من أهل العراق ورئيس البوادي نبيه بن قرينيس الجربا ، وجمع حمود بن تامر جميع أهل المنتفق وأتباعه والتقت الجموع واقتتلت قتالا عنيفاً ، وهنا خان فريق من الاكراد وبعض رؤساء الجند وعشائر شمر عبد الله باشا فانهزمت قواته ووقع عبد الله باشا وكيخياه طاهر وناصر الشبلي ورئيس عشيرة عقيل في قبضة حمود وكان دعاهم بالامان ، فأقاموا عنده بالاسر أياماً ، وكان ابن غشن بن حمود قد جرح في تلك المعركة ثم توفي متأثراً بجراحه ، فاشترط أسعد بن سليمان باشا المذكور على راشد شقيق حمود بن تامر ان يقتل عبد الله باشا وكيخياه المذكورين ، ففعل ذلك ولما علم حمود ابن تامر بالخبر غضب غضباً شديداً وسقط عن سريره لانه كان اقطعهم الأمان ، فنكث اخوه به ، ثم ان حموداً سار باسعد إلى بغداد وملكه عليها ورجع إلى ديرته !!

مهاجمة عمان ومقتل مطلق المطيري:

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة وقعت بعض المعارك في عمان

وذلك : ان مطلق المطيري البطل المشهور لما قدم الدرعية مع ابناء الأمير سعود من الاحساء ، اقام فيها عدة اشهر ووقع خلالها في اقليم عمان بعض الخلل ، فامره الامير سعود بالذهاب إلى هناك على رأس قوة من رجاله على ان يكون رئيساً للجيوش السعودية في هذا الاقليم ، وتوجه مطلق بقوته إلى « جعلان » من أعمال عمان وحاصر أهلها بشدة واخذ منهم غنائم كثيرة وارتحل عنهم ، فقرر زعماء البلدة الانتقام منه ، وجمعوا جموعهم ونسّقوا صفوفهم ولحقوا بمطلق ومن معه ، واشتبك الطرفان في معركة حامية قتل فيها عدد من القوات السعودية وسقط مطلق نفسه شهيداً رحمه الله !

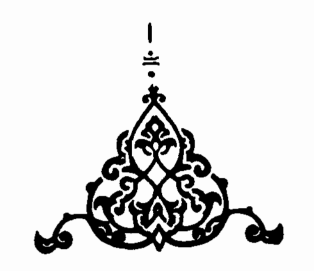
ودخلت سنة ١٢٢٩ ومحمد علي باشا والي مصر في مكة المكرمة على حاله السالفة الذكر ، وقد رجع جنوده الذين حاصروا تربة اليه ، فوزع بعضهم على مكة وبعضهم على الطائف ، وكان محمد علي يزور جدة بعض الأحيان وولده طوسون يقيم في الطائف ، هذا والشريف راجح ومن تبعه وغصاب العتيبي ومن معه من أهل الحجاز واليمن نازلين بين الطائف وتربة .

وفي هذه الاثناء وصلت من مصر قوات هائلة جداً كنجدة للقوات التركية والمصرية الموجودة في الحجاز ، فنزلت في القنفدة بعد احتلالها ، فتجهز طامي بن شعيب برعاياه من عسير ونازل هذه القوة الجديدة فقهرها وهزمها وغنم سلاحها ومدافعها وامتعتها ، وارتد المنهزمون إلى سفنهم وهربوا بها إلى جدة .

وفي شهر محرم من هذه السنة توجه حجيلان بن حمد أمير القصيم بأهل ديرته ومحمد بن علي بأهل الجبل ، واغاروا على عياد الذويبي ومن معه من بوادي حرب وهم قرب ماء « الحناكية » ووقع بين الفريقين قتال شديد ، واستنجد الذويبي وجماعته بجيرانهم فحشدوا جمعاً كبيراً

هاجم حجيلان ومن معه وهزمهم شر هزيمة : :

وفي هذه السنة ظهر في نجد جراد كثير وتوالد فأتـى على الزرع والنخيل كافة مما كان له افدح الاثر في البلاد والعباد .



الفصل العاشر

وَفاة سُعُود ٱلكبير بنْ عَبْد ٱلعَزِيز

لقد حم القضاء فاختار الله تعالى الامير سعود بن عبد العزيز إلى جواره ، فقد اصيب بمرض « التهاب المثاني » على الأرجح ، إذ حصر بوله ، فتوفاه الله في ليلة الاثنين الحادي عشر من شهر جماد الأول سنة ١٢٢٩ ، فكانت ولايته عشر سنين وتسعة اشهر وبضعة أيام ، اسكنه الله فسيح جنانه .

لقد بويع في الدرعية ، في اليوم الذي استشهد فيه والده المرحوم عبد العزيز بن محمد بن سعود ، فامنت البلاد ، وطابت قلوب العباد ، وانتظمت مصالح الأمة بحسن مساعيه ، وانضبطت الحوادث بين مراعيه ، وبلغ من الشرف منتهاه ، وكان – رحمه الله – أميراً يقظاً بعيد الهمة ، يسر الله له من الهيبة عند الاعداء والحشمة في قلوب رعاياه ما لم يره احد من قبله !!

وكانت له معرفة تامة في تفسير القرآن ، فقد اخذ العلم عن الشيخ

محمد بن عبد الوهاب مدة سنتين وكان يقرأ عليه ، ثم كان يلازم علماء مجالس الدرس عنده ، وله معرفة في الحديث والفقه وغير ذلك ، بحيث انه إذا كتب نصيحة لجميع رعاياه من المسلمين اتى فيها بالمعجب العجاب .
وكان يصدر النصيحة بالتوصية بتقوى الله تعالى ومعرفة نعمة الاسلام ومعرفة التوحيد والاجتماع بعد الفرقة ، ثم الحض على الجهاد في سبيل الله ، والزجر عن جميع المحظورات : كالزنا والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات الربوية وغير ذلك ، وكل نوع من ذلك يأتي عليه بالأدلة من الكتاب والسنّة وكلام العلماء . فمن وقف على شيء من مراسلاته ونصائحه عرف بلاغته ووفرة علمه ، واذا تكلم في المحافل بنصيحة أو مذاكرة بهر عقل من لم يكن قد سمعه ، وعليه من الهيبة العظيمة ما لم يكن سمع بها أحد في الملوك السابقين ، ذلك ان اولئك الملوك ما كان احد يجسر على مراجعتهم في امر او التحدث اليهم في موضوع والنظر اليهم بالابصار اجلالا لهم واعظاماً ، اما الأمير سعود – تغمده الله برحمته – فقد كان متواضعاً للمساكين وذوي الحاجة يسمع شكوى المظلوم وينصفه من الظالم ، كثير المداعبة والانبساط مع خواصه واصحابه ، وكان ذا رأي باهر وعقل وافر ، ومع هذا إذا اعترضه أمر واراد انفاذ رأي فيه ، ارسل إلى خواصه من رؤساء البوادي واستشارهم فاذا خرجوا من عنده بعد اخذ رأيهم ، ارسل إلى خواصه واهل الرأي من اهل الدرعية واخذ رأيهم ايضاً . وكان ثبتاً شجاعاً في الحروب محبباً اليه الجهاد في صغره وكبره ، بحيث انه لم يتخلف قط عن الجهاد واداء فريضة الحج وكان يرافقه في جهاده عدد من العلماء من اهل الدرعية واهل النواحي ويستخلف في الدرعية أحد بنيه ، وكثيراً ما يستخلف ولده عبدالله ويرافقه ايضاً اخوته وبنوه وبنو عمه ، وكل واحد من هؤلاء يحيش لجب من الخيل والهجن والمشاة والخيام ومعدات الحرب والقتال ، وعلى هذا قام – عطر الله ثراه – بأمر الجهاد حق قيام

وبذل الاجتهاد وفتح اكثر البلاد في ايام ابيه وبعد وفاته ، ولم يُعلم بأن رأياً له قد هزم ، بل نصر بالقاء الرعب في نفوس أعدائه . وإذا كان يريد السفر الى جهة الشمال اظهر انه يريد الجنوب أو الشرق أو الغرب ، ثم يركب من الدرعية إما يوم الخميس أو يوم الاثنين ، فيخرج الناس قبله ببومين أو ثلاثة وبعده بمثل هذا الوقت ، وتخرج رحائل طعامه وشرابه وضيوفه وعليق الخيل قبله بخمسة عشر يوماً ، فاذا أراد الخروج من عاصمته الدرعية توجه من قصره إلى المسجد الجامع الذي عند هذا القصر فيصلي فيه ويطيل الصلاة وبعد فراغه منها يركب جواده ، ولا ينفث باية كلمة إلا السلام حتى يأتي الموضع الذي يريد نزوله بين الدرعية والعيينة ويسير معه ذلك اليوم كثير من الضعفاء والمساكين والمعوزين وأهل الحاجة ، فيقضي حاجاتهم تلك الليلة ، ثم يرحل فاذا سار وجد جميع المسلمين مجتمعين بحسب مواعيدهم ، فيسير بهم وينزل في الموقع الذي يرغب فيه قبل غروب الشمس ويرحل قبل شروقها ، ولكنه لا يرحل حتى يصلي صلاتي الجمع بين الظهر والعصر ، ويجتمع الناس للدرس عنده بين العشائين كل يوم إلا قليلا ، وإذا ما قرب من العدو نحو ثلاثة أيام بعث عيونه أمامه ، ثم عدا فلا يلبث حتى يفاجىء العدو بالنزول قربه ، ولا يوقد ناراً ولا يأتي بحركة ، ثم ينادي المنادي بالجموع بأن يحضروا بعد صلاة المغرب إلى مجلس الأمير ، فيحضر قادتهم وخواصهم وأهل الرأي فيهم ، ويذكرهم – اجزل الله ثوابه – بما انعم الله عليهم من الاجتماع على كلمه الاسلام ، ووجوب العمل بطاعة الله ، والصبر في مواطن اللقاء ، وإن النصر لا ينال إلا بالصبر ، ثم يذكرهم ايضاً بما وعد الله الصابرين وتوعد الفارين المدبرين ، ويزجرهم عن الظلم والغل لانهما من اسباب الخذلان ، كما يزجرهم عن العجب بالكثرة والزيادة في النفوس فالعجب بذلك من اسباب الفشل والانهزام

ويذكرهم كذلك بما قاله الرجل في وقعة حنين « لن تغلب اليوم عن قلة » فولى جماعته مدبرون وانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين .

فاذا ما فرغ من درسه ومواعظه وارشاداته انصرف القوم إلى مواضعهم حتى يتبين أول الصبح ، ويكون قد أمر – عطر الله ثراه – بعض الاعراب من رجاله ان يبكروا بالصلاة ثم يشن الغارة الشعواء وجموعه تضج بالتكبير والتهليل ، فيسودُ الأفق من نقع القبار ، ويغيب الذهن في تلك الساعة ويوقن قادته وجنوده بالنصر المبين ، فيوقع الله بأسه في اولئك الذين ارادتهم تلك الجموع السعودية ، ولا يرفع السيف الا عن من لم يبلغ الحلم أو امرأة أو شيخ كبير ، وتؤخذ جميع الاموال ثم يرحل الأمير بقواته عن ذلك المكان إلى بعض اماكن المياه للراحة ويعزل الاخماس ويبيع الغنائم ثم يوزع اثمانها على المجاهدين ، ويرحل بعدها إلى وطنه وكل جندي إلى بلده .

سيرته في مجالسه :

وأما سيرته في عاصمته « الدرعية » أثناء مجالسه في الدرس ، فتلخص في : ان الشمس لا تكاد تشرق على الوجود حتى يجلس الناس من أهل الدرعية وغيرها في شكل حلقات ، كل حلقة فوق اختها ، ويخلىٌ صدر المجلس للامير سعود وبنيه فيصل وتركي وناصر وسعد ومشاري وابراهيم وفهد وعمر وحسن وعبدالله ، وعمه عبد الله « بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن » واخوانه : عبدالله وعمر وعبد الرحمن « ابناء عبد العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن » وابناء الشيخ ، وبعد أن يستقر بهؤلاء المقام يخرج الأمير سعود من القصر ومعه خدمه وعبيده ،

وتسمع جلبتهم من مكان بعيد بسبب قرع السيوف، بعضها من شدة الازدحام ، وأما عبيد الأمير فهم يحملون السيوف المحلاة بالذهب والموشاة بالفضة ، ويجلس الأمير إلى جانب الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب وهو الذي عليه القراءة في ذلك الدرس ثم يلتفت الأمير سعود إلى العلماء والرؤساء عن يمينه ويساره فيرد التحية والسلام عليهم ، ثم يشرع القارىء في التفسير ويكون أحياناً في تفسير محمد بن جرير الطبري وابن كثير ، وعندما يفرغ من الدرس ، ينهض الامير سعود ويدخل القصر ، ويجلس في منزل من منازله القريبة للناس حيث يرفعون اليه أمرهم ويبثونه حالهم . فاذا ما تعالى النهار غادر مكانه ذاك بعد قضاء حوائج الناس الى حرمه ، وبعد صلاة الظهر يقبل الناس كالمعتاد إلى الدرس عنده في موضع بناه في القصر بين الباب الخارجي والباب الداخلي ، وجعل مجلسه على ثلاثة أدوار كل دور فوق الآخر ، وهنا يقوم إمام مسجد الطريف الشيخ عبد الله بن حماد وبعض الأحيان القاضي عبد الرحمن بن خميس إمام مسجد الطريف في القصر فيقرأ التفسير ، وبعد الانتهاء ينهض الامير سعود ويتولى بذاته التعليق على هذا التفسير بمنطق فياض رائع وفصاحة لا تبارى .

وكان - رحمه الله - من أحسن الناس كلاماً وأعذبهم لساناً وأجودهم بياناً ، فاذا سكت قام اليه أهل الحوائج والشكايات ، وكاتبه جالس إلى يساره ، فيقضي حاجات الناس ويبت في الشكاوى ، أو يؤجل بعضها لدراستها ، ثم ينهض بعد ساعتين الى مقصورته ويوافيه كاتبه اليها حيث يكتب جوابات الكتب التي رفعت اليه في ذلك المجلس ، ويبقى كذلك حتى وقت العصر ، فينهض بعدها للصلاة ، وبعد صلاة المغرب يجتمع الناس للدرس عند مدخل القصر على جري العادة السالفة الذكر .

سعود في كرمه وسلامة الأمن :

لقد ذكر عن كرم واريحية المرحوم الامير سعود بن عبد العزيز وقائع ومعلومات تشبه الاساطير ، ومما ذكر : ان خازنه يخرج لضيفه كل يوم خمسماية صاع من الدقيق والأرز ، والمضايفي يدعو الضيوف للعشاء من الظهر الى بعد العشاء ، وعطاء الأمير الرعية وبث الصدقة فيهم كان يسير على طريقة خيرة كريمة ذلك انه كان يرسل الى أهل كل بلدة وقرية وناحية صدقة مقدارها الف ريال أو أقل أو أكثر بالنسبة لفقرائهم ، كما كان يرسل هبات الى أئمة المساجد والمؤذنين وطلبة العلم ومعلمي القرآن المجيد وذلك بصورة دائمة ، كما كانت هذه القاعدة متبعة في عهد والده المرحوم الأمير عبد العزيز ، وكان الأمير سعود يبر كفيفي البصر ، وفي رمضان يحضرون اليه وهو في الدرعية فيدخلهم بيده إلى الافطار والعشاء ويعطي كل ضرير فاقد البصر خمس ريالات ، واذا دخلت العشر الاواخر من شهر رمضان أدخلهم أفواجاً الى مجلسه وأعطى كل واحد عباءة وكوفية ثم يكرمهم بالعطاء المالي .

وذكر رجل كان يعلم القرآن في قصر الأمير سعود : ان الأمير سعود كان في آخر أيام ولايته يجمع المساكين في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك ويدخلهم في قاعة الشريعة المعروفة في قصره ويوزع عليهم كسوتهم ، وكان عدد هؤلاء ثلاثة آلاف مسكين .

وقد ملك الأمير سعود من الخيل المضمرة الأصيلة الفاً واربعماية فرس ، يشد منها معه إلى الجهاد ستماية فرس فيركبها رجال انتقاهم من أشجع فرسان بلاده ، وكان لديه اكثر من خمسماية مملوك ، وفي آخر رمضان يظهر من القصر باسم الفطرة الف وثلاثماية فطرة عن خدمه وعبيده وما في القصر من الأيتام .

وكان لديه ستون مدفعاً نصفها كبير والنصف الثاني متوسط الحجم ، وقد درج شعبه على طاعة الامير وما يصدر عنه من أوامر وتعليمات فتنفذ بحذافيرها لا سيما ما يختص منها بالجهاد ، وكان الأمان مخيماً على جميع أنحاء بلاده بشكل لم يسبق له مثيل ، اذ كان الرجل او الرجلان او الثلاثة يسيرون بالاموال العظيمة من الدرعية والوشم وغيرهما من النواحي إلى أقصى اليمن وينبع وعمان وغيرها فلا يخشون أحداً إلا الله وحده !

وأما عماله الذين يبعثهم لقبض الزكاة عن الأبل والغنم من عشائر وقبائل وعربان جزيرة العرب مما وراء الحرمين الشريفين وعُمان واليمن والعراق والشام وما بين ذلك من بوادي نجد ، فقد ذكر أحد خواص الأمير سعود ثم اصبح كاتباً عنده : ان الأمير سعود كان يبعث الى تلك العشائر والقبائل والعربان والسكان اكثر من سبعين مفرزة وكل مفرزة مؤلفة من سبعة رجال قوامهم : أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم التي تباع بها ابل الزكاة والغنم ، وثلاثة رجال لخدمتهم وتنفيذ الاوامر في جمع الابل والاغنام المقبوضة من الزكاة وغير ذلك ، وهذا باستثناء عمال النواحي من الحضر .

وقد ثبت بصورة لا تقبل الشك ان الأمير سعود بعث بعماله الى بوادي « يام » في نجران وإلى بوادي « الغز » الشهيرة في الديار المصرية وإلى اليمن والبحرين وعمان والحجاز ، فجمعوا من سكان هذه الديار الزكاة عن أموالها ، وعادوا بالاموال والابل والاغنام الكثيرة إلى الدرعية وهذا دليل قاطع على مدى انتشار نفوذ الأمير سعود بن عبد العزيز حتى شمل جزيرة العرب ، وقد مدحه أحد شعراء عمان بقصيدة طويلة جاء فيها :

إذا جزت بالسيف تلقاه فارساً
وان جزت باب العلم تلقاه عالماً
وان جزت باب الخوف تلقى مخافة
وان جزت باب السلم تلقى مسالما
وان جزت باب الدين تلقى ديانة
وان جزت باب الحكم تلقاه حاكما

ولو تتبع المرء فضائل الأمير سعود بن عبد العزيز وهيبته في القلوب وكرمه وجهاده وفتوحاته لتعزيز دين الله وما مُدح به من الاشعار في حياته وما رثاه به الشعراء بعد وفاته لما وسع تدوينه عدة مجلدات ولكن ما ذكرناه غيض من فيض اجزل الله ثوابه .

عمال الأمير سعود وقضاته بالأقاليم :

لقد انتقى الأمير سعود – رحمه الله – عدداً من أهل النجابة والرجولة والتقى والورع والصلاح والوفاء والاخلاص ، فجعلهم امراء « عمالا » وقضاة له في العاصمة والاقاليم ، وذلك على النحو التالي :

١	–	ابراهيم بن سليمان بن عفيصان	أمير الاحساء
٢	–	احمد بن غانم	« القطيف
٣	–	سلمان بن خليفة	« البحرين
٤	–	سلطان بن صقر بن راشد ثم عزله وولى مكانه ابن اخيه حسن بن رحمة	« عمان
٥	–	مطلق المطيري	« الجيوش في عمان
٦	–	ربيع بن زيد الدواسري	« وادي الدواسر

٧	— عبد الله بن سليمان بن عفيصان	« ناحية الخرج
٨	— عبدالوهاب ابو نقطة ولما قتل اصبح مكانه طامي بن شعيب من عشيرة عبد الوهاب .	« الطور وتهامة
٩	— سالم بن شكبان وبعده عين ولده فهاد	امير بيشة
١٠	— مسلط بن قطنان	« رينة
١١	— عثمان بن عبد الرحمن المضايفي	« الطائف والحجاز
١٢	— الشريف غالب بن مساعد	« مكة المشرفة
١٣	— حسن قلعـي	« المدينة المنورة
١٤	— الشريف جابر بن جبارة	« ينبع
١٥	— محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي	« أمير جبل شمر والجوف
١٦	— محمد بن سالم « من أهل العيينة » ثم عزله وعين مكانه عبد الكريم بن معيقيل من أهل قرائن الوشم	« ناحية سدير
١٧	— حجيلان بن حمد	أمير ناحية القصيم
١٨	— محمد بن ابراهيم بن غيهب الشهير بلقب الجميح	أمير ناحية الوشم
١٩	— ساري بن يحي بن سويلم	أمير المحمل

وأما قضاته في البلاد فهم :

١	— الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب	قضاة العاصمة الدرعية
٢	— علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب	
٣	— سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب	
٤	— احمد بن ناصر بن عثمان بن معمر	

٥ —	عبد الرحمن بن خميس	امام القصر وقاضيه
	محمد بن سلطان العوسجي	قاضي الاحساء
٦	ولما توفي أصبح مكانه عبد الرحمن ابن نامي	
٧ —	محمود الفارسي « مهاجر من فارس »	قاضي القطيف
٨ —	احمد الخفطي	« تهامة
٩ —	الشريف حسن بن خالد	« اليمن
١٠ —	عبدالله بن عبد الرحمن ابو بطين	« الطائف والحجاز
١١ —	عبدالله بن سليمان بن عبيد	قاضي جبل شمر
١٢ —	عبد العزيز بن سويلم	« بريدة وما حولها
١٣ —	غنيم بن سيف ثم اخوه عبدالله	« عنيزة وما حولها من القصيم
١٤ —	عبد العزيز بن عبدالله الحصين	« ناحية الوشم
١٥ —	علي بن مساعد	« ناحية سدير
١٦ —	عثمان بن عبد الجبار بن شبانة	« « منيخ
١٧ —	عبد الرحمن ابو الحسن	« حريملا والمحمل
١٨ —	علي بن حمد بن راشد العريني	« ناحية الخرج
١٩ —	احمد الياس الاستانبولي الحنفي واحمد بن رشيد الحنبلي	« المدينة المنورة

وأما مكة المكرمة فقد أقر الأمير سعود بقاء قضاتها ثم ارسل اليها سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأقام فيها بعض الوقت قاضياً ثم عاد الى الدرعية . واما غير ذلك من القضاة فكان الأمير سعود يبعث اليها القاضي لمدة سنة ثم يستبدله بقاض آخر .

الفصل الحادي عشر

حَملَات تُركيَّة ـ مصريَّة جَديدَة

بايـع أهل البلاد عقيب وفاة الأمير سعود ولده الأمير عبدالله ، فقد وفدوا اليه من كل ناحية وصوب وبايعوه على دين الله ورسولـه والسمع والطاعة ، فانتظمت الأمور واستقامت الحال في الديار النجدية ، ولكن دسائس الاتراك انّى لها ان تنقطع والدولة العربية السعودية الفتية في عهد الاميرين عبد العزيز وولده سعود كانت تشق طريقها في دنيـا العرب لاعادة بعث أمجاد العروبة والاسلام في انشاء الامبراطورية العربية العتيدة ، فبعد ان استقرت القوات المصرية – التركية في مكة المكرمـة وجدة على الوجه الذي اسلفناه ، جهز محمد علي باشا والي مصر حمـلة عسكرية جديدة كبيرة وارسلها إلى اليمن ، وفي شهر جماد الأول من هذه السنة « ١٢٢٩ » وصلت فئة من هذه القوات على اربعين سفينة الى ميناء القنفدة ، بينما وصلتهـا الفئات الاخرى في طريق البر . وكان يوجد في هذا الميناء حامية مؤلفة من خمساية مقاتل فحصرتهم القوات

الغازية وهي مزيج من المصريين والاتراك ورمتهم بالقنابل ، ثم اخرجتهم بالامان على انفسهم واستولت عليها ، وكان امير عسير وتهامة طامي بن شعيب قد سار بقواته ورجاله ورعيته إلى الحجاز ، فلما بلغه نبأ سقوط القنفدة بيدي القوات المصرية – التركية توجه بقواته اليها ، وهي تتألف من حوالي ثمانية آلاف مقاتل ، فنازل الغزاة فيها وجرت بين الفريقين معارك دامية تمكن طامي بن شعيب فيها من دحر القوات الغازية وهزمها شر هزيمة واستولى على خيامها وذخيرتها وطعامها وقتل من رجالها حوالي ٥٠٠ رجل ، وركب المنهزمون السفن ، ولكن بعض قادة القوات السعودية عندما دخلوا خيام المنهزمين عثروا على قائد الحملة فقتلوه واستولوا على الخيام .

لقد كان الأمير عبد الله بن سعود خرج في أول هذه السنة « ١٢٢٩ » من الدرعية على رأس قوات كبيرة قاصداً جهات الحجاز ، وكان ذلك قبل وفاة والده الأمير سعود بفترة وجيزة ، فأغار بهذه القوات على عشائر حرب ، وهي في الحرة قرب « صفينة » وأخذ منها غنائم كثيرة ، وعاد إلى ماء « الخانوقة » في عالية نجد ، وهنا بلغه وفاة الأمير سعود – رحمه الله – ولم يشعر أحد من رجاله بذلك حتى قرأ بهم علي بن الشيخ في صلاة الفجر شيئاً من سورة « الجمعة » وسورة « المنافقين » إلى أن قرأ : « قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم » ففهم الرجال أن الأمير سعود قد انتقل إلى رحمة ربه لانهم كانوا يعلمون أنه مريض . ولما فرغوا من الصلاة وعظهم الأمير عبد الله وواساهم ، فعزوه بالمصاب الجلل وبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وأوعز الأمير إلى غصاب العتيبي بأن يسير إلى تربة في الحجاز ويكون أميراً للجيوش فيها ، فتوجه يصحبه عشرون فارساً وأقام فيها حوالي سنة كاملة يقاتل الترك ومن معهم ، وقفل الأمير عبد الله بن سعود عائداً إلى الدرعية حيث بايعته الأمة كما أسلفنا



الامير عبدالله بن سعود طيب الله ثراه

موقعة وادي زهران وانهزام الأتراك :

في شهر شوال من هذه السنة توجه طامي بن شعيب بقوة جهزها من رعايا عسير والمع بأمر من الأمير عبدالله بن سعود ، وبلغ عدد رجالها نحو عشرة آلاف مقاتل ، إلى جهات وادي زهران ، إذ كانت قوات مصرية - تركية تقدر بحوالي عشرين الف مقاتل قد توجهت من مكة والطائف يرافقها عدد من المغاربة إلى « بخروش علاس » في وادي زهران وطوقتها ، فاشتبك الطرفان بمعركة كبيرة ثبت فيها قادة الجيش السعودي بعناد ، وكان إلى جانبهم بعض الابطال مثل شملان ومحمد بن دهمان وابن جايش وغيرهم ، وزاد أوار الحرب بالقرب من حصن « بخروش » فانهزمت القوات التركية هزيمة شنعاء وتبعتها القوات المصرية والمغربية ، وتركت جميعها خيامها خالية من الرجال ، فدهمها المجاهدون السعوديون وغنموها مع عدد كبير من البغال والذخيرة والمؤن وغيرها ، وقدر عدد القتلى من الاتراك بحوالي الف رجل ، ولولا وفرة الخيول لدى القوات المعتدية لما سلم من رجالها أحد !

عبد الله يؤدب عشائر مطير وحرب :

وفي آخر شهر رمضان سار الامير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز بجمع من أهل نجد نحو القصيم فأقام مدة قرب الرس ثم جهز قوة من الهجانة وأغار على عربان « برية » و « الجبلان » من مطير فأخذ مواشيهم ، إذ كانوا اتبعوا سبيل الضلال فأحسن تأديبهم

وفي شهر ذي القعدة « ١٢٢٩ » رحل الأمير عبدالله بقواته إلى الحجاز وأغار على عياد الذويبي ومن معه من عشائر حرب من بني

عمر وبني علي وهم عند الحرة قرب جبل غراب ، فغنم سلاحهم وابلهم ، وهرب رجالهم مشياً على الاقدام في تلك الحرة السوداء مما أدى لفقد عدد كبير منهم ، وكانت هذه العشائر اتبعت ايضاً سبيل الضلال .

ثم رجع الأمير عبدالله إلى القصيم وأقام فيه خمسة أشهر عاد بعدها في العشرين من شهر ربيع الاول من سنة ١٢٣٠ إلى الدرعية وكان جهز خلال هذه المدة وهو في القصيم حملة عسكرية كبيرة بقيادة أخيه الأمير فيصل بن سعود وأمره بالمسير إلى « تربة » على ان يتولى القيادة العامة فيها . فوصلها واجتمع المجاهدون من الحجاز وتهامة وغيرها اليه واقام في هذا الموقع يستعد لخوض المعركة .

وكان في شهر ذي الحجة ١٢٢٩ وصل إلى مكة المكرمة الحج الشامي والمصري ترافقه قوات كبيرة ، وبعد اداء فريضة الحج انصرف الموكبان وبقي لدى محمد علي باشا ذخائر وأموال كبيرة اتى بها باشا الحج من الحكومة العثمانية .

معركة « بسل » الشهيرة :

لقد دخلت سنة ١٢٣٠ ، والأمير فيصل بن سعود في « تربة » يستجمع رجاله وانصاره من الحجاز وتهامة ، فضمهم إلى قواته النجدية ، وقدم اليه طامي بن شعيب برجاله من عسير والمع وزهران وغامد وغيرها فقدرت هذه الجموع بحوالي عشرين الف مقاتل ، وكان مع الأمير فيصل حوالي عشرين الفاً ، فاجتمعت هذه القوات كلها في موقع « غزيل » بئر الماء الكبير المشهور قرب تربة ، وتوجهت من هناك نحو القوات التركية — المصرية النازلة على « سبل » القصر المعروف

قرب الطائف ، والتقى الجمعان ، ودارت المعركة بينهما سحابة ذلك اليوم وقتل فيه عدد كبير من القوات التركية – المصرية !!

وفي اليوم الثاني أقبل محمد علي باشا والي مصر تصحبه قوات كبيرة جداً ، فكانت مدداً للقوات الأولى ، ووقع القتال على أشده ، وثبت الأمير فيصل ومن معه من الفرسان والابطال ، وكان ضغط القوات المصرية قد تزايد على جموع الحجازيين من جهت زهران وغامد ، فارتدت منكسرة ، ثم كثر الضغط على جموع طامي بن شعيب من عسير ، فانكسرت ايضاً في اعقاب الحجازيين ، وهنا اختل توازن القوات السعودية فاندحرت متراجعة في رجولة وبسالة مما جعل عدد الشهداء من رجالها قليل جداً ، وتوجه الأمير فيصل ورؤساء قواته طامي بن شعيب وفهاد بن سالم بن شكبان ومسلط بن قطنان وغيرهم إلى تربة ظناً منهم بأن فلولهم ستجتمع فيها بعد الهزيمة ، ولكنهم لم يجدوا فيها أحداً إذ كانوا تفرقوا في نواح مختلفة .

ورحل محمد علي باشا ومن معه من القوات العسكرية إلى تربة فخرج الأمير فيصل ومن معه منها متوجهاً إلى « رينة » وذهب من معه من امراء النواحي والقادة الى ديارهم ، ورحل الأمير فيصل ومن معه الى نجد ، واحتل محمد علي « تربة » واخرجت قواته من كان في حصونها وابراجها من القوات السعودية ، وتابع محمد علي زحفه إلى « بيشة » فأطاعه أهلها ، ومنها زحف إلى « تبالة » « وهي البلد الذي هدم فيه الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود صنم « ذو الخلصة » وهو الصنم الذي بعث اليه النبي محمد « صلى الله عليه وسلم » جرير ابن عبد الله البجلي فهدمه ، وبعد زمن طويل أعادوه فعبدوه ، وفي تبالة نهض شعلان أمير الفزع وشمران لرد الغارة الشعواء ، فحاصروه في ١٣ صفر من هذه السنة بقصره ، وقذفوه بقنابل المدافع فاحدثوا فيه ثغرة كبيرة وقتل شعلان واكثر من كان معه وهم حوالي

مائة رجل !

ثم راحت قوات محمد علي والترك تزحف إلى بقية القرى والارياف والضواحي فاحتلوها تبــاعاً وانهزم آل شكبان تاركـين قصورهم ، واستسلمت بقايا أكلب والمحلف بن مهدي وسلول وغيرهم ولم يبــق في ديار بيشة للقوات المصرية – التركية اي مزاحم !!

وبعث محمد علي باشا الشريف راجح إلى « رنية » على رأس قوة عسكرية فهرب ابن فطنان منها ، ودمر الشريف راجح مراكزها الدفاعية وبيوتها واضرم النيران فيها .

وسار محمد علي وقواته في وادي شهران ، وكل من صادفه استسلم له واطــاع كقبيل ورزحان ورعاياهما ثم مرت هذه القوات بديار محمد ابن واكد من شبران فاستسلمت ايضاً لها وكذلك حصل في ديار مشيط صاحب الخميس ورعاياه !!

استشهاد طامي شنقاً بمصر :

وزحف محمد علي باشا – ومعــلوم انــه ارنؤوطي الأصل والجنس – بهذه القوات الزاخرة نحو عسير والمع ورفيدة ، واستعد طامي بن شعيب لمواجهة الطغاة بما يملك من رجال ومال وسلاح وهي لا توازي عشر ما يملكه المعتدون ، وسرعان ما أعلن أهل رفيدة طاعتهم وولائهم لمحمد علي ، وثبت البطل طامي ومن معه من عسير والمع وبني الاحمــر والاسمر على عقائدهم ومبادئهم ، وعروبتهم واستعدوا للقتال والحرب ، ورتب طامي جموعه فجعل قوة عند الطلحــة بقيادة صوان ووضع خمسماية زجل بقيادة محمد بن احمد في الحصون ، وتوجه هو بنفسه إلى بني مفيد فزحف محمد علي وقواته إلى جهة الطلحة فنازله صوان ومن

معه بإيمان متين وعزم مكين ، ودارت بين الفريقين بمعركة رهيبة اسفرت عن انهزام القوات المصرية ، ولحق صوان وجماعته بمؤخرة المنهزمين حتى الخيام يعملون فيهم السيف ، وهنا رجع المصريون والترك عن الخيام وارتدوا الى قوات صوان يعملون فيهم قتلاً إذ أن أحد قادتها قد خان العهد والأمانة برشوة سريعة من أحد قادة القوات المصرية ، فنكست القوات السعودية على اعقابها ، وزحفت القوات التركية والمصرية نحو حصون طامي بن شعيب ورموها بالمدافع فخرج محمد بن احمد واستأمن على نفسه وعلى سكان الحصون على ان يترك محمد علي ما فيها من مال وسلاح ، ومتاع فكان ذلك . وما ان استولى محمد علي عليها حتى هدمها وحصل من محمد بن احمد على عهد بالطاعة !

وحيال هذا الواقع المرير شرد طامي بن شعيب وشرذمة من رجاله الى الجبال واعتصم في رأس الجبل الشهير باسم « بهلل » وانصرف محمد علي باشا ومن معه الى تهامة ، وارسل عدة مفارز من قواته في اثر البطل طامي بن شعيب فادركته متوجهاً إلى حصن له في تهامة يسمى « مسلية » وفيه مال وسلاح وذخائر ، ولما وصل إلى هذا الحصن ، ارسل اليه حسن بن خالد يستقدمه إلى بلدة « صبيا » فقدمها ، وهنا تجلت الخيانة بحسن المذكور إذ اعتقل طامي وبعث به إلى محمد علي ، فأرسله هذا إلى مصر واعدمه فيها شنقاً رحمه الله تعالى واجزل ثوابه .

احتلال القصيم وعقد الصلح :

لقد زحف محمد علي باشا بقواته إلى تهامة ، وكان ابنه احمد طوسون في المدينة المنورة يجهز القوات ليغزو بها الديار النجدية ، وفي هذه الاثناء تلقى محمد علي باشا من مصر ما يفيد ان خلافاً وقع بين

رجال الحكومة المصرية فعاد مسرعاً إلى مصر ، واتم طوسون تجهيز قواته فزحف بها إلى نجد ، وأرسل إلى سكان بلدتي « الرس » و « الخبرا » في القصيم طالباً اليهم الطاعة والاستسلام ، فكان ذلك . وأتت القوات المعادية فاحتلت البلدتين ، واستولت على عدة مزارع حر كضرية ومسكة والبصيري ونجخ وغيرها ، ولكن بقية انحاء القصيم ثابرت على عقيدتها وحاربت القوات المعادية بحزم وعزم .

ولما علم الأمير عبد الله بن سعود بهذه الوقائع استنفر قواته من اهل الجبل والقصيم ووادي الدواسر والاحساء وعمان وما بين ذلك من بوادي نجد .

وفي أول شهر جماد الاول من هذه السنة خرج الأمير عبدالله من الدرعية ونزل بلدة « المذنب » في القصيم ورحل منها إلى « الرويضة » فوق « الرس » وقطع نخيلها ودمرها واهلك غالب زرعها ، واقام عليها يومين ، فخرج اليه قائد الحملة المصرية في الرس بقواته ، وترامى الطرفان بالمدافع دون الاقتراب من بعضها ، وهنا علم الامير عبدالله ان عدة عشائر من بوادي حرب ومطير نازلة على البصيري — الماء المعروف في عالية نجد — فرحل من الرويضة نحوها ، وفي طريقه علم الامير عبدالله بأن احمد طوسون وقواته قد اقبلوا نحو « الداث » — الماء المعروف قرب بلدة الرس — فانحرف الأمير بقواته معتزماً مباغتتهم على ذلك الماء ، فاذا هم قد رحلوا من الداث إلى الرس ، فاوعز الأمير إلى القوات التي ترافقه من أهل القصيم بوجوب الرجوع إلى ديارهم لحمايتها من المعتدين ، واغار هو بمن معه على أهل البصيري وغنم حلالهم وكانوا قد هربوا بها . ثم ذكر له ان قوة من الترك قد نزلت على ماء « البعجاء » قرب البصيري قاصدة الرس فقصدها الامير عبد الله ، فدخلت قصر البعجاء وتحصنت فيه ، وحشد الأمير عبد الله حول القصر واحدث فيه ثغرة واسعة دخلت قوات الامير منها الى الحصن وفيه مائة

وعشرة رجـــال فقتلوا ، وكانوا كلهم من رؤساء الترك والاغوات .
ثم رجـع الأمير عبد الله من « البعجاء » ونزل قضر المذنب ، وكان
احمد طوسون قـــد استوطن « الخبرا » وارسل قـوة من جنـــوده
نزلت « الشبيبية » بين عنيزة والخبرا ترافقها قوة من عشائر حرب ،
وأراد طوسون النزول في عنيزة ، فلما علم الأمير عبد الله بذلك رحل
من المذنب ونزل عنيزة واميرها يومئذ عبد الله ابراهيم بن حسن بن
مشاري بن سعود ، واقـام فيها اياماً يبعث السرايا من رجاله المؤمنين
فيشنون الغارات المتتابعة على قوات طوسون . وضيقوا عليها كثيراً ، وندم
كثير من أهل الرس على طاعتهـــم لطوسون وانحاز منهم فريق إلى
« الشنانة » – النخيل المعروف فوق الرس – واعتصموا في قلعتها ، فسار
الترك اليهم ورموهم بالمدافـع ، فثبتوا امام هـذا العدوان واهلكـوا
قسماً كبيراً منهم فرحـل الترك عنهم ، وانسحبت القوات الموجودة في
الشبيبية إلى الرس . ورحل الأمير عبدالله بن سعود من عنيزة ونزل
الحجناوي – ماء بين عنيزة والرس – وحاصر قوات طوسون في الخبرا
والرس ، وبقي الأمير عبد الله ورجاله في موقعهم هـذا يصابرون القوات
التركية والمصرية ويهاجمونها في فترات متقطعة ، إلى ان ضاق الأمر باحمد
طوسون وخشي مغبـــة هذه الحـــال ، لمـا شاهد من يقين المجاهدين
السعوديين واعتزامهم الجهاد حتى النهاية ، فارسل إلى الامير عبد الله بانه
يريد الجنوح إلى السلم وارفق ثلاثة رجال احدهم من كبـار الترك
واثنان من حرب ، برسالة منــه بذلك ، ولمـا وصل الثلاثـة إلى مخيم
الامير عبد الله حسبهم الحرس انهم الاعداء وقتلوا العربيين ، فـــاظهر
التركي رسالة احمد طوسون ، وقدموا به إلى الأمير عبد الله فاكرمـه
غاية الاكرام وارسله إلى اصحابه ، وبعد البحث قرروا قبول الصلح .
وعقد بين الأمير عبد الله واحمد طوسون عهداً بذلك ، شريطة ان يرفع
الغازون يدهم عن نجد وتوابعهـا ، وان تسير السابلة آمنة بين الفريقين

وكل فريق من الترك والشام ومصر وغيرها يحج آمناً ، وفي أول شعبان من هذه السنة رحل احمد طوسون وقواته من الرس نحو المدينة المنورة وبعث الامير عبدالله كتاباً مع عبدالله بن محمد بن بنيان صاحب الدرعية والقاضي عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم إلى محمد علي باشا والي مصر عارضاً عليه ذلك الاتفاق على الصلح فأقره محمد علي بدوره واعاده مع عبد الله وعبد العزيز ، وعلى هـذه الشروط تم الصلح بين الفريقين ، ولكن القوات المصرية – التركية بقيت محتلة الديار الحجازية واليمانية !!!

الأمير عبد الله يؤدِّب الخوارج :

دخلت سنة ١٢٣١ وقد استتبت الحال مع الأمير عبد الله بن سعود فجمع رعيته من الاحساء وعمان ووادي الدواسر والجبل والجوف وما بين ذلك من البادية والحاضرة وقصد ناحية القصيم واحتل بلدة « الخبرا » وهدم سورها وسور البكيرية عقوبة لاهلها على استسلامهم لاحمد طوسون في خطة ظاهرة على نحو ما تقدم ذكره . وخوفاً من العودة إلى مثل هذه الخطة ، وبعد ان اقام الأمير وقواته عدة أيام في الخبرا ، وكان قتل شاعرها المشهور عميان على يدي عبد الله بن حجيلان ، رحل منها سائراً في وادي الرمة مستنداً إلى جهة الحجاز . وقد ذُكر له ان عرباناً من حرب ومطير نزلوا على منازل من المياه في الحجاز ، فعلموا بقدومه وانهزموا ، ووصل الأمير عبد الله « العلم » – الماء المعروف قرب الحناكية – وسار منه إلى العمق « ماء معروف » وانحرف عنه يسرة نحو ماء « مرات » ، ومن هناك بعث قوةً اغارت على عربان في الحرة وغنمت حلالها ، ورحل الامير عبدالله

بقواته إلى مـاء الدخينة ، ومنه عاد إلى وطنه . وكان امسك ثلاثة رجال من رؤساء الرس وسار بهم الى الدرعية احدهم رئيس الرس شارخ ، وعرفت هذه الغزوة باسم « غزوة محيط ومحرش » !!

فتنة جديدة في العراق :

وفي هذه السنة وقعت في العراق فتنة جديدة بسبب المفاسد التي يحدثها الباب العالي . وذلك ان قتالا نشب بين جنود العراق ، وبنيةُ الجربا وعمه فارس ومـن معهما من قبائـل شمر ، وكان باشا العراق العثماني اجلاهم عن ديارهم ، فخرج الخزاعـل عليه وعصوا أمره واجتمعوا إلى شمر وعربان بعيج والزقاريط ، وجمع باشا بغداد عليهم كل من كان تحت يده في بادية العراق وآل جلاس من عنزة ورئيسهم الدريعي بن شعلان ، وأهل المنتفق ورئيسهم حمود بن تامر ، وعربان الظفير وغيرهم واستعمل عليهم أحد القادة واسمه « قاسم بك » . والتقى الفريقان في بلدة الخزاعل وتنازلوا في قتال استمر شهرين واسفرت النتيجة عن انهزام شمر والخزاعل ومن معهم وقتل رئيس عشيرة شمر وفارسها المشهور بنية بن قرينيس الجربا ، وذلك ان فارسين من اعدائه لحقا به فلما احس بهما جذب عنان جواده بقوة فرفع حصانه رأسه ويديه وسقط على ظهـره إلى الأرض فاصبـح بنية تحت السرج ، فادركه الفارسان وقتله احدهما وهو تحت الحصان .

الفصل الثاني عشر

محمَّد علي يَنقضُ ٱلعَهدَ وَيحتَل ٱلقَصِيم

لقد كان ما ذكرناه من تأديب الأمير عبدالله بن سعود لأهل الرس جزاء لهم على استسلامهم لأحمد طوسون . فركب فريق من أهل القصيم والعشائر إلى مصر واجتمعوا إلى محمد علي باشا وراحوا يدسون ويفترون كذباً وباطلا على الأمير عبد الله بن سعود . وكان محمد علي باشا بالاتفاق مع الباب العالي يريد القضاء المبرم على استقلال البلاد السعودية العربية لأنها تعمل جاهدة لبعث الامبراطورية العربية الكبرى في دنيا العرب ، فاستغل محمد علي باشا هذه الوشايات الكاذبة واتخذ منها سبباً لنقض عهد الصلح مع الأمير عبد الله بن سعود ، بعد ابرامه وقبول الامير عبد الله به لحقن دماء المسلمين .

اجل : لقد قرر محمد علي باشا والي مصر وعامل الباب العالي عليها نقض العهد مع الامير عبد الله بن سعود ، والأمير

لا يدري بذلك ، فقد أرسل اليه هدايا ثمينة ، ورسالة تنطوي على معاني الود وتشير إلى تعزيز وتقرير معاهدة الصلح ، وحملها رسول الامير عبد الله الشيخ حسن بن مزروع وعبد الله بن عون ، فما ان وصلا القاهرة وقدما إلى محمد علي حتى وجداه قد نقض العهد وجهز حملة عسكرية كبيرة من المصريين والاتراك ومن ديار المغرب والشام والعراق وجعل ابراهيم باشا قائداً عاماً لها ، إذ كان ولده احمد طوسون قد توفي في آخر شهر شوال من هذه السنة « ١٢٣١ » . وكانت الانباء وصلت ايضاً من استانبول تقول بوفاة الشريف غالب ابن مساعد في سلانيك ، وكان محمد علي باشا خان العهد معه واعتقله في مكة وارسله إلى استانبول ومنها ارسله الاتراك الى سلانيك مع انجاله وعائلته كما سبق ذكره ، وكانت وفاته في آخر رمضان من هذه السنة .

حملة إبراهيم باشا على نجد :

سار ابراهيم باشا بحملته العسكرية المختلطة الجرارة من الديار المصرية فوصل بها المدينة المنورة واحتلتها مع ضواحيها ، ثم تحرك نحو ماء « الحناكية » وخيم حوله وراح يشن بقواته الغارات المتوالية على العشائر والقبائل والبطون العربية البدوية النازلة حولها ويقتل الرجال وينهب البيوت ، فاوقع الرعب في قلوب الاهلين واجتمعت اليه العشائر من حرب ومطير وعتيبة وعنزة « الدهامشة » لمساعدته في غزواته حفاظاً منها على اموالها وحلالها من النهب والسلب !!

ودخلت سنة ١٢٣٢ والقوات المصرية الغازية مقيمة في « الحناكية » ، ثم أغار ابراهيم باشا بها على « الرحلة » من حرب

بالقرب من « ابانات » الجبلان المعروفان في نجد فاسرهم وقتل عدداً من الرجال .

وما ان علم الأمير عبد الله بن سعود بهذه الحملة حتى اصدر أوامره إلى عماله في الوشم وسدير بان يتوجهوا على رأس قواتهم إلى القصيم ، ففعلوا ، وأوعز إلى أهل القصيم بالانضمام اليهم فكان ذلك ، وأصبحت قوات الطرفين حزمة واحدة بقيادة حجيلان بن حمد ونزلت في موقع « الغميل » بين الخبرا وبريدة واقامت هناك اربعة أشهر .

وفي هذه الفترة من الوقت كان الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز تمكن من تجهيز حملة كبيرة استنفر اليها أهل الحضر والبادية ، وخرج بها من الدرعية في اليوم العاشر من شهر جماد الأول من هذه السنة ، قاصداً الحجاز ونزل قرب الرس ، لاحقاً بقواته التي بقيادة حجيلان ابن حمد ، ونزل « العلم » الماء المعروف إذ كان يريد الغارة على العشائر والعربان التي ساندت ابراهيم باشا ، فعلم رؤساؤها بأمره ورحلوا من ديارهم هذه إلى الحناكية ونزلوا في جوار الباشا !!

ولما علم الأمير عبد الله بذلك ارتحل نحو « نجخ » القصر المعروف في عالية نجد واقام هناك أياماً ، فبلغه أن احد ضباط الحملة المصرية « علي اوزون » ومعه قوة من حملة ابراهيم باشا وبعض العربان اخذوا طريقهم إلى ماء « ماوية » قرب الحناكية ، وهم عنها مسافة يومين ، فاحتل الأمير عبد الله هذا الموقع ، بعد ان تجهز من خبرا ونجخ وذلك في يوم الاربعاء الثالث عشر من شهر جمادي الثانية من هذه السنة . وفي صباح يوم الجمعة ١٥ منه ، داهم الامير عبدالله وقواته ، تلك القوات المصرية المختلطة ، بغتة ، وتقدم الأمير نحو خيام اعدائه ، فاذا بهم على استعداد للمعركة ، وامطروا قوات الأمير عبد الله بوابل من قنابل

مدافعهم ، مما أرغمها على النزوح يتقدمها الامير إلى قرب جبل ماوية ، امام معسكر الاعداء ، فثبت هؤلاء في مركزهم ، وصوبوا مدافعهم نحو القوات السعودية وراحوا بقذفونها بالحمم ، وضاقت الحال على هذه القوات ، فامر الامير عبدالله بعضها بالرحيل إلى جهة الماء ، ولما هموا بذلك ، تتابعت الهزيمة واختلط الحابل بالنابل وتبعهم الترك والمصريون ومن معهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً وغنموا كميات من السلاح ، مما ارغم الامير عبد الله بذاته على حماية مؤخرة قواته خوفاً عليها من الابادة والفناء ، وركب الامير في كتيبة من الخيل ، وخاضها معركة رهيبة يدفع الضر عن جنوده بما حباه الله من فروسية ورجولة إلى ان تمكنت قواته من الانسحاب ، وحمل الأمير عبد الله معداته وسار إلى القصيم ونزل الخبرا ثم رحل عنها إلى عنيزة . وقد بلغ عدد الذين استشهدوا من قوات الامير عبد الله نحو مائتي رجل رحمهم الله .

سقوط «الرس» بيد إبراهيم باشا :

وما ان انهزمت القوات السعودية في هذه المعركة ، حتى أسرع ابراهيم باشا بالسفر من الحناكية إلى ماوية ، ومنها رحل بقواته نحو « الرس » وكان معه من القوات اضعاف القوات السعودية ، كما كان معه عدد من المدافع وقنابلها تنفجر مرتين : الأولى عندما تثور من المدفع والثانية عندما تقع في جدار أو هدف فتهدمه ، فوصل « الرس » في الخامس والعشرين من شهر شعبان من هذه السنة ، وثبت أهل البلدة أمامه وحاربوا قواته بصلابة وغيرة وشهامة ، وارسل الأمير عبدالله اليهم مدداً بقيادة حسن بن مزروع والهزاني صاحب « حريق نعام » فحاصرت القوات المصرية سور البلدة بشدة وضيقت على سكانها بالحرب والقتال

ليلا ونهاراً . وكان ابراهيم باشا يرسل إلى سور المدينة عدداً من صناديد رجاله ، بعد ان يمهد لهم بهدم ما أمكن من السور بالقنابل ، ومع هذا فقد كان أهل البلدة يقاتلون قتال المستميت في الذود عن الشرف والعرض والدين ، وصبروا على هذا البلاء صبر الشجاع المؤمن ، وكانوا كلما هدمت القنابل جانباً من السور في النهار عادوا وبنوه في الليل ، كلما حفر العدو حفرة للبارود « لغماً » حفر الاهلون حفرة اخرى لابطال مفعول اللغم ، وكان هذا اللغم يثور احياناً فيودي بعدد من الانفس البريئة قبل ان تتدارك امرها !!

لقد طال امر الحصار على هذه البلدة حتى اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة من هذه السنة ، وذكر ان العدو كان يرمي هذه البلدة بقنابله بشكل لم تعهده البلاد من قبل ، فقد قذفوا سورها في ليلة واحدة بخمسة آلاف قنبلة ، مما اتلف جميع النخيل الكائن خلف قلعة البلدة !!!

هذا والامير عبد الله بن سعود وقواته في عنيزة ، فارسل أهل الرس اليه يطلبون النجدة واما السماح لهم بمصالحة ابراهيم باشا ، وفي هذه الاثناء كان ابراهيم باشا تلقى امداداً هائلاً من الترك وفيه كميات من المدافع ، الأمر الذي عزز معنويات قواته وأضعف معنويات أهل البلدة مما ارغمهم على الاتصال بابراهيم باشا طالبين منه الصلح على اساس صيانة دمائهم وأموالهم وسلاحهم وبلادهم وخروج مَن لديهم من القوات بسلاحها . فكان ذلك وخرج المقاتلون من الرس قاصدين الأمير عبد الله في عنزة . وقد قتل من أهل الرس في هذه المعارك سبعون رجلا وقتل من عسكر الترك حوالي ستماية رجل .

احتلال خبرا وعنيزة :

ولما حصل الصلح بين أهل الرس وابراهيم باشا ، توجه هذا بقواته نحو بلدة « الخبرا » فاحتلها ووقع الذعر في قلوب سكان اقليم القصيم وتفرقت العشائر الراحلة في أماكن مختلفة ، وكان الأمير عبدالله بن سعود قد أمضى عيد الأضحى في بلدة « عنيزة » ووضع في حضن الصفا حامية من أهل نجد واستعمل لقيادتها محمد بن حسن بن مشاري بن سعود وزوده بالطعام الكثير والبارود والحطب وجميع ما تحتاج اليه الحامية ، واستعمل في عنيزة ابراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود « شقيق محمد » وجعل مقرّه الحصنَ الكائن في داخل البلدة ، ورحل الامير عبدالله بن سعود إلى بريدة .

أما ابراهيم باشا فقد ارتحل مع قواته من الخبرا إلى عنيزة ونازلها في قتال عنيف إلى أن استسلمت له وأطاعه سكانها ، وامتنع أهل قصر « الصفا » فصوّب نحوه المدافع وامطره بوابل من القنابل سحابة يوم وليلة ثم امر ابراهيم باشا بصنع زحافات استطاع بواسطتها ان يقترب بمدفعيته من الحصن بحيث تطال القنابل صميم الحصن دون أن تصاب قواته برصاص المدافعين عنه واستمر على قصف القصر بالقنابل إلى ان ثلم جداره ووقعت قنبلة في داخل القصر فأصابت مستودعاً للذخيرة والبارود كان عبارة عن حفرة مغطاة بالخشب والتراب فثارت الذخيرة واشتعل البارود وقتل بسبب ذلك بعض الجنود ، فلما رأى اهل الحصن هذه الحال وعلموا باستسلام البلدة طلبوا الصلح من ابراهيم باشا ، فصالحهم على سلامة دمائهم وأموالهم وسلاحهم ، وخرج افراد الحامية من القصر ودخلته قوات ابراهيم باشا ورحل هؤلاء الافراد إلى اوطانهم . ولما علم الأمير عبد الله وهو في بلدة بريدة بهذه الحوادث رحل منها قاصداً عاصمته الدرعية ، واذن لأهل النواحي بالرجوع إلى

أوطانهم !!

وفي آخر شهر ذي الحجـة من هذه السنة أوعز حمـد بن يحي بن غيهب أمير مدينة « شقرا » وناحية الوشم إلى أهل المدينة بان يحفروا خندقاً حول بلدهم ، وكانوا قد باشروا بحفره ابان غزوة احمد طوسون الأولى وبعد المصالحة تركوه ، ثم عادوا وباشروا في حفره مجدداً واستعانوا بالنساء والاولاد في حمل الماء والطعام ، إلى ان اصبح خندقاً عميقـاً واسعاً وبنوا على شفيره جداراً من جهة السور ، ثم أوعز حمد أمير الشقرا إلى أثرياء المدينة بوجوب شراء كميات كبيرة من الحنطة لاستعمالها للطعام في حالة اشتداد الحصار ، ففعلوا ذلك ، ثم أوعز إلى الاهلـين بشذب عسبان النخيل والبقاء على خوافيها ، ففعلوا ذلك وهم كارهون . وأما أسباب هذه الاجراءات فتعود إلى أن أهل هذه المدينة مشهورون بالاخلاص والوفاء وتقديم المساعدة إلى الأمير عبد العزيز وإلى الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ومن أتى بعدهمـا من أولادهما واحفادهما ، وكثيراً ما يلهـج ابراهيم باشا بهم في مجالسه الخاصة والعامة . وخاف حمـد أمير المدينة على سكانها فاتت هذه الاجراءات خير واق لهم ولمدينتهم ، وكان ذلك اذ أن ابراهيم باشا لم يستطع قهر هذه المدينة بفضل هـذا الخندق وصالح أهلها كما يحبون ويشتهون !!

دخلت سنة ١٢٣٣ هجرية وابراهيم باشا وجنوده في بلدة عنيزة ، وبعد احتلال حصنها ارتحل عنها إلى بريدة واميرها يومئذ مع ناحيـة القصيم حجيلان بن حمد ، فنازل أهلها فأطاعوه ، ثم ارتحل عنهـا ومعه أميرها حجيلان المذكور وبعض رؤساء أهل القصيم ، وكانت عادة ابراهيم باشا انه بعد ان يحتل البلدة يأخذ من رؤسائها رجلين أو ثلاثـة تحسباً للعواقب . فوصل بلدة « المذنب » وأطاعه أهلها ، ومنها قصد الوشم ونزل بلدة « أشيقر » و « الفرعة » فاستأمنه سكانهما ودخلوا في طـاعته .

وفي يوم الخميس السادس عشر من شهر ربيع الأول ركب ابراهيم باشا من « اشيقر » بقواته الفارسة وترك مخيمه ، وصحب معه مدفعاً صغيراً ، وقصد مدينة « شقرا » واستدار فيها وقاسها وعرف منازلها والمسافات بينها وبين قواته ، وذلك لانه يعرف بان أهل هذه المدينة صادقون في حروبهم واخلاصهم للبيت السعودي ، ورجع بعد ذلك إلى مخيمه ، وفي صباح يوم الجمعة ١٧ منه رحل من اشيقر بمخيمه ومدافعه وجميع قواته ، وكان قد وصلته امدادات كثيرة جداً من مصر فأضافها إلى قواته ، وزحف على « شقرا » ونزل أسفل البلدة وشمالها ، فخرج اليه أهلها ، فساق عليهم الترك والمصريين ودارت المعركة قاسية عنيفة رهيبة ، بين شجر النخيل وخارجه وسقط من الطرفين عدد كبير من القتلى والجرحى ، وتوافدت المساعدات العسكرية على القوات المصرية – التركية ، فداهمت قوات المدينة المجاهدة بشدة واصيب حمد بن يحي أميرها بجرحٍ كبير من رصاصة أثناء خوض غمار المعركة ، مما ارغمه مع قواته على الإلتجاء إلى المدينة وحاصروا فيها ، ووضع ابراهيم باشا عدداً من مدافعه فوق المرقب الجبل الشمالي ، وقذف المدينة بالقنابل بشدة هائلة فالقى الذعر في قلوب سكان القرى المجاورة وأهل سدير ومنيخ والمحمل ، وكان سكان العرمة ومجزل سمعوا اصوات انفجار القنابل !!!

احتلال شقرا :

ولما حاصرت القوات السعودية في المدينة انزل ابراهيم باشا مدافعه من رأس الجبل وقرّبها من سور المدينة وواصل قذفه بالقنابل . فهدم جانباً منه وقطع القسم الأكبر من النخيل ، كل ذلك وأهل المدينة في

ثبات عجيب ، واقترب ابراهيم باشا بمدافعه إلى مسافة قصيرة عن السور ، وأخذ يقذفه بالقنابل فهدم جانباً منه وهدم بعض قصور البلدة ، ولما عجز ابراهيم باشا عن اقتحام المدينة بسبب خندقها وقوة شكيمة سكانها وبطولتهم الخالدة ، أخذ يناديهم للصلح ، فرفضوا نداءه وثبتوا في مواطن الشرف ومنابت المجد ، وفي يوم الخميس وقع الصلح بين الطرفين وذلك أن أهل المدينة ارسلوا عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى وغيهب بن زيد وهما من رؤسائهم ، إلى الباشا وفاوضوه بالصلح فقبل بطيبة خاطر على اساس سلامة أرواحهم ودمائهم وأموالهم وما احتوت عليه بلدتهم ، وكان جميع أهل الوشم قد قدموا الطاعة لما نزل شقرا ولما استقر الصلح بعث ابراهيم باشا قوة من الترك برئاسة رشوان آغا إلى جهات سدير ومنيخ ، فاحتل بلدة جلاجل ووزع جنوده في جهاتها فأخذت كل ما فيها من الخيل والحنطة والشعير إلى أن اعتزم ابراهيم باشا الرحيل من شقرا فرحل الأغا ومن معه من سدير إلى الوشم !!!

وبعد مضي بضعة أيام من مصالحة أهل شقرا ، وشى بهم فريق من أهل نجد لدى ابراهيم باشا ، وكان الباشا ، اعتمد اساليب المستعمرين في افساد الضمائر والاخلاق والتربية الوطنية وذلك بتقديم الرشاوى لقاء التجسس على أهل البلاد .... وقد زعم اولئك الجواسيس الوشاة : ان عدداً من رجال شقرا وزعمائها قد ارتحلوا إلى الدرعية وانهم يريدون نقض عهد المصالحة عند ارتحال الباشا عن مدينتهم ثم قطع السبيل امامه ، فاضطرب ابراهيم باشا من هذه الانباء ودخل البلدة بعدد من جنوده وهو في غضب شديد ، واقتحم المدينة والوقت شتاء واوقد جنوده النار فيها .... ثم دخل بيت ابراهيم بن سرحان ويقع جنوب المسجد وارسل إلى أمير البلدة احمد بن يحي وهو جريح ، فجيء به بين رجلين ، وراح ابراهيم باشا يغلظ عليه القول ثم احضر الشيخ العالم عبد العزيز

الحصين الناصري وكان قد كبر في السن ، فأكرمه واعظمه ، وذكر للأثنين ما وصل اليه من انباء عن سكان البلدة بانهم سينقضون العهد ، فانكر الجميع ما نقله الوشاة اليه ، بدليل ان فلاناً الذي قيل انه ذهب إلى الدرعية موجود في بيته إلى غير ذلك من البيانات والايضاحات التي دحضت أقوال الوشاة ، وكان ابراهيم يريد هدم المدينة بأجمعها ولكنه عاد من البلدة بجنوده بعد ان أمرهم باخلاء عدة بيوت لاسكان الجرحى ثم اكتفى بهدم السور ودفن خندقها في الركام من التراب !!

موقعة ضرمى الرهيبة :

لقد ارتحل ابراهيم باشا عن شقرا واخذ معه من رؤوسائها عشر رجال ، وتوجه إلى بلدة « ضرمى » وفيها وصلته مراسلات سكان المحمل وحريملا بتقديم طاعتهم اليه .

وكان الأمير عبدالله بن سعود ، عندما وصلته أنباء سقوط شقر وسدير والمحمل وارغام أهل الوشم على الطاعة أوعز إلى سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود « هو ابن عم والده المرحوم سعود بن عبد العزيز » بأن يجهز حملة من أهل الدرعية وغيرهم ، وإلى متعب بن ابراهيم بن عفيصان صاحب الخرج بتجهيز حملة اخرى وإلى علي العميري بتجهيز حملة من أهل ثادق والمحمل ، فاتم هؤلاء ما امر به الأمير عبدالله فارسلهم إلى بلدة « ضرمى » لمساعدة أهلها على قوات ابراهيم باشا ، فدخلوها ، ولما وصل ابراهيم باشا وقواته إلى اطراف البلدة قام فريق من جنوده بضبط مقياسها وعرفوا منازل خصومهم ثم رجعوا الى معسكرهم وفي صباح اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من هذه السنة ، نزل ابراهيم باشا بقواته شرقي البلدة بالقرب من

حصون المزاحميات ، ثم توجهت قوات اخرى ونزلت شمالها قرب السور ، ودارت المعركـة رهيبة بين أهل البلدة وهذه القوات المصرية — التركية ، وراحت مدفعية ابراهيم باشا تمطر أهل البلدة بالقنابل ، فثبت المؤمنون امام هذا الاعتداء الغاشم ، مما أرغم ابراهيم باشا على مطالبة أهلها بالصلح فرفضوا ذلك . وكان أهل ضرمى من أشد سكان نجـد قوة وأوفرهم مالا وسلاحاً وأكثرهم عدداً باستثناء العاصمة الدرعية ، وبينما المعركة تسير لصالح أهل البلدة ، تلقى ابراهيم باشا قوات اضافيـة اخرى ، وسلط مدافعه على السور وهدم الجانب الامامي منه ، وروى الثقاة ان ابراهيم باشا قذف السور في فترة ما بين المغرب والعشاء — أي بمدة ساعتين ونصف الساعة — بخمسة آلاف وسبعماية رمية ما بـين قبوس (القبوس جمع قبس وهو نوع من المدافع الرشاشة المعروفة في هذه الايام) وقنبلة مدفع ، وحشد جميع قواته حيال اهل هذه البلدة المغاوير ، فصمدوا امامها واصلوها ناراً حامية فقتل من القوات المصرية — التركية نحو ستماية رجل ثم ردوها مدحورة لا تلوي على شيء ، وسرعان ما قام الاهلون رجالا ونساء واولاداً باعادة بناء جانب كبير من السور الذي هدم بالقنابل ، وحيال هذا الموقف الباهر من الاهلين ، اوعز ابراهيم إلى قادة مدفعيته بالذهاب الى جنوبي البلدة — ويرابط فيـه متعب بن عفيصان ومن معه من أهل الخرج — فقذفتهم المدفعية بقنابلها ، ووقع القتال بين الفريقين على أشده ، في الوقت الذي استمرت فيه مدفعيـة ابراهيم باشـــا تقذف البلدة من المواقع الأولى المذكورة ، وبينما الامر كذلك إذا بالصيحة تدوي وراء الابطال المقاتلين في الجهة الجنوبية بأن جنود ابراهيم باشا قد تمكنوا من دخول البلدة ، وعاد الابطال الكماة الى داخل البلدة لدفع الضيم عن النساء والاطفال ، وذلك بعد صلاة الصبح من اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني من هـذه السنة ، وصبت السماء من مدرارها ما لم تعرفه تلك البلاد باسرها ووقع مـــع

المطر برد شديد جداً ، وتدفقت قوات ابراهيم بايشا الى داخل البلدة من كل ناحية واحتلوها عنوة وقتلوا أهلها في الاسواق والطرقات والبيوت وكان الاهلون صابروا وناضلوا القوات الدخيلة حتى ارتفاع شمس ذلك النهار وقتلوا بدورهم من الترك والمصريين عدداً كبيراً ، فاعلن بعض قادة القوات المصرية الأمان ، واستأمن السكان له ، الى ان تمكنت القوات من البلدة ؛ فراحت تعبث بها وبأهلها قتلا ونهباً وتدميراً ، وقد قال المؤرخون في وصف هذه المعركة الغادرة : ان الاتراك كانوا يدخلون الى البيت في هذه البلدة ويصيحون بسكانه : « الامان — الامان » فيلقي الرجال اليهم السلاح ، وعندها يفتك الاتراك بهم بقسوة ووحشية .... وقد نهبت القوات الغازية جميع ما احتوت عليه البلدة من أموال ومتاع وسلاح ولباس وطعام ، أما محمد العميري وهو على رأس شرذمة من هل ثادق والمحمل فقد خرج بهم من البلدة ، وصادفته قوة من الترك فضاربها ورجاله بالرماح والسيوف الى ان تمكن ورجاله من الافلات منها . وأما الامير سعود بن عبد الله فقد حاصر في حصن من حصون البلدة ومعه اكثر من مائة رجل من أهل الدرعية ، وخشي ابراهيم باشا بأسّهم ، فأرسل اليهم الامان الحقيقي وخرجوا بسلاحهم وساروا الى الدرعية . وأما من سلم من السكان فقد هام اكثرهم في البراري والقفار ، واصبحت البلدة خالية من أهلها ، وجمع ابراهيم باشا ما فيها من النساء والاطفال وارسلهم الى الدرعية ويقدر عددهم بثلاثة آلاف نفس بريئة . فاكرمهم عبد الله وأهل الدرعية وانزلوهم في المنازل الرحبة ، ويقدر عدد الذين استشهدوا في هذه المعركة من أهل ضرمى بثمانماية رجل ومن القوة المرابطة في مداخلها بخمسين رجلا .

الفصل الثالث عشر

إبراهِيم بَاشَا يُهَاجم ٱلْعَاصِمَة ٱلدرعيَّة

لقد استباح ابراهيم باشا مدينة « ضرمى » .... وراح جنـــوده يعبثون بحرماتهــا ، يقتلون وينهبون ، ولا يعفون عن ضعيف أو فقير إلى أن أخلاهـــا من أهلها وارتحلوا إلى العاصمة « الدرعية » كمـــا أسلفنا ، فهب مـــع قواتـــه الوافرة في عددهـــا وعديدهـــا مسرعاً نحو الدرعيــة ، فسلك طريق « الحيسية » ثم ســـار الى وادي حنيقـة من جهـــات « العيينة » و « الجبيلة » وسلك طريق الوادي إلى أن وصل موقع « الملقى » وهو النخل الخاص بالامير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وبين هذا الموقع والعاصمة مسافة ساعة واحدة ويقع في أعلى الدرعية ، وبعد ان استقر ابراهيم باشا وقواته في هذا الموقع ، ركب بخيله وبعض خاصته وقد تسلحوا بعدد من القبوس — المدافـع الرشاشة — وسلك بطن الوادي ليقرِّر المكان الذي يجب النزول عنده لمهاجمة الدرعية ، إلى أن وصلوا موقع « العلب » النخل الخاص بالامير فيصل

ابن سعود ، وحطت القوات رحالها ، وراحت تمطر الدرعية برصاص « القبوس » وبعد معركة حامية مع أهل الدرعية رجع ابراهيم باشا ومن معه إلى معسكرهم في موقع « الملقى » وبقي فيه ثلاثة أيام .

وفي يوم الثلاثاء الثالث من شهر جماد الأول من هذه السنة رحل ابراهيم باشا بقواته من الملقى ، سالكاً طريق الوادي الى الدرعية ونزل بهذه القوات موقع « العلب » ووضع عدة مفارز من قواته في بطن الوادي ، ووزع عدداً آخر من الفرق في يمين الوادي ويساره وعلى مناطق تلك الجبال تجاه جموع أهل الدرعية .

وقد كان الامير عبد الله بن سعود قد رتب جموع أهل الدرعية وغيرهم من أهل البلاد ، وذلك ان أهل نجد عندما أعلنوا طاعتهم لابراهيم باشا ، تمكن فريق كبير منهم من الهرب والالتجاء الى الدرعية ، فوزعهم الامير عبد الله في بطن الوادي وفي يمينه ويساره خارج النخيل والسور ، فكان الامراء فيصل وابراهيم وفهد ابناء الأمير سعود ومعهم عدد كبير من الرجال في بطن الوادي تجاه ابراهيم باشا وقواته بما فيها المدافع او القبوس . وكان لدى الامراء الثلاثة ثلاثة مدافع فقط ، وعلى ميمنتهم في الجانب الشمالي فوق تلك الجبال الأمير سعد بن سعود ، بينما رابط أخوه الأمير تركي بن سعود في جانب الشعيب المعروف باسم « المغيصبي » ويليه عبد الله بن مزروع صاحب منفوحة ومعه عدد من رجال هذه المدينة البواسل ، وتقدم تركي بن عبد الله الهزاني صاحب « حريق نعام » ومعه عدد من رجال بلدته بحيث أصبح بين القوات السعودية والقوات المصرية — التركية ، كما وقف على ذلك الجانب ايضاً عدد من أبطال رؤساء العشائر والقبائل وفي مقدمتهم آل دغيثر الاشاوس الأبرار ، وكل بطل من هؤلاء الأبطال يصحبه رجاله وقد وقفوا في موضع معين معروف ، ونزل الأمير عبد الله بن سعود ومعه آل الشيخ العلماء الاعلام

وغدد من وجوه البلاد واعيانها عند باب « سمحان » داخل سور العاصمة ، ومعه عدد من المدافع الكبيرة ، ووقف الامير فهد ابن عبد الله عبد العزيز بن محمد بن سعود ومعه عدد من الرجال الكماة من أهل الدرعية وأهل سديز ورئيسهم عبد الله بن القاضي واحمد بن راشد العريني ومعهم عدد من المدافع ، وكان امام كل فريق من القوات السعودية فريق مماثل من القوات المصرية — التركية ، وأقام الأمير عبد الله بن سعود وراء هذه المواضع ، وفي أسفل الدرعية ، حاميات ، وكل حامية وضعها في برج ولديها مدفع واحد ، وذلك للحفاظ على الأماكن التي هي فيها فقط ، وفي أسفل الدرعية ، في بطن الوادي قرب الجبل المعروف باسم « القرين » رابط الأمير سعود بن عبد الله بن عبد العزيز ومعه عدد من الرجال ، دون ان يكون في موقعهم هذا جبهة من الجيش المصري ، ولكن احتفظ بهذه القوة السعودية في هذا الموقع لقطع خط الرجعة على القوات العدوة فيما إذا أرادت الالتفاف على القوات السعودية الواقفة عند باب سمحان داخل السور فلا تقتحمها القوات الغازية من بطن الوادي .

الأمراء السعوديون يقودون المعارك بأنفسهم :

لقد تولى الأمراء السعوديون زمام القيادة بأنفسهم ، فتسابقوا الى الاستشهاد في ميدان الشرف والعزة والكرامة ومثلهم الأعلى سعياً وراء اعادة مجد العروبة والاسلام في اعادة تأسيس الامبراطورية العربية العتيدة ولقد استبسل أهل العاصمة « الدرعية » إلى جانب امرائهم في الذود عن الحمى المستباح ، فحشدوا انفسهم شباناً وشيباً في الجهة الجنوبية من الوادي إلى جانب الأمير فيصل بن سعود واخوانه الامراء الذين رابطوا

في بطن الوادي : ورابط الأمير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في البرج الذي يعلو الجبل على كتف الوادي عند النخيل المعروف باسم « سمحة » ومعه عدد من أهل الدرعية واهل النواحي والوشم وغيرهم ، ويليه الامير عمر بن سعود بن عبد العزيز ومعه عدد من اهل الدرعية وغيرهم وقد رابطوا على كتف شعيب الحريقة ، وإلى جانبه أخوه الأمير حسن بن سعود يصحبه عدد من أهل الدرعية وغيرهم ورابط بعده في تلك الناحية الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود واخوه الأمير زيد ومعهما جمع من أهل الدرعية ، وإلى جانبهم مملوك للأمير سعود اسمه فرج الحربي ومعه جمع من المماليك وغيرهم . ورابط في فرع شعيب غبيراء الأمير فهد بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والأمير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود ومعهما جمع من أهل الدرعية وغيرها ، ومقابل كل فريق من هؤلاء جمع من الاعداء الغزاة ! !

ورابط وراء هؤلاء الأمراء السعوديين أيضاً الأمير مشاري بن سعود ابن عبد العزيز ومعه جمهرة من ابطال الدرعية ، فقد اتخذ من مسجد العيد المعروف في رأس الجبل قرب منازل المدينة الجنوبية مركزاً له ولقواته ، ورابط الأمير سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود في شعيب صفا بقوات من أهل الدرعية ومهمة هؤلاء الحفاظ على هذه الاماكن التي هم فيها ! ! !

معركة ضارية واستشهاد أميرين :

لقد نزل ابراهيم باشا بقواته في موقع « العلب » تجاه جموع أهل الدرعية كما أسلفنا ، ودارت معارك الحرب بين الفريقين شديدة عاتية ،

وتصادمت الابطال ، فكانت حرباً سجالا بين الطرفين ، وطال قذف المدافع والقبوس بينهما تسعة ايام ، وفي اليوم العاشر وقعت معركة « المغيصيبي » الشعيب المعروف خارج البلدة وشمال الوادي ، وحمل أهل الدرعية على الأعداء والتحمت المعركة بينهما على أشدها فقتل من الطرفين عدد كبير ، ثم وقعت معركة في شعيب الحريقة خارج البلدة وجنوب الوادي سقط فيها عدد من القتلى ، ووقعت بعدها معارك صغيرة ليس لها أهمية تذكر ! !

ثم وقعت معركة « غبيراء » وهو الشعيب المعروف في أقصى المتاريس السعودية الجنوبية وذلك أن ابراهيم باشا أرسل قوة من الفرسان ، ليلا ، إلى جانب « غبيراء » ، ووضعها في وسط شعيب بحيث لا يكشفها السعوديون . وعند طلوع الفجر أرسل ابراهيم باشا مدداً من قواته إلى القوات المصرية المرابطة أمام القوات السعودية في غبيراء ، والتحم الفريقان في معركة ضارية ، أوشك النصر فيها أن يكون للقوات السعودية ، وهنا ظهرت القوات المصرية من راكبي الخيول « الفرسان » الكامنة في الشعيب المذكور ، ودهمت القوات السعودية من الخلف ، فانهزمت هذه القوات ولحق بها المصريون والاتراك فاستشهد نحو مائة رجل بينهم الأمير فهد بن تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود والأمير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود وحسين الهزاني وعدة رجال من أهل الوشم وسدير وغيرهم . وما ان شعرت القوات السعودية الأخرى بهذه الموقعة حتى تنادت على الثبات في وجه الغزاة الدخلاء ، وشنتها غارة شعواء بيعت النفوس فيها بسماح وقتل من القوات المعادية عدد كبير ، وحافظ السعوديون على مواقعهم العسكرية السالفة الذكر بقوة وحزم وعناد

معركة «سمحة» ثبات أهل الدرعية :

لقد كانت معركة « سمحة » في النخل المعروف باعلى الدرعية من جهة الوادي ، من أعنف وأشد المعارك التي وقعت في هذه الحرب ، ذلك ان ابراهيم باشا ، بعد وقعة « غبيراء » السالفة الذكر ، أخذ يستعمل الأساليب التي درج عليها الأتراك في افساد النفوس وشراء الضمائر ، فبعث عدداً ممن كانوا معه من أهل نجد إلى فريق من النازحين إلى الدرعية من مختلف أنحاء البلاد السعودية واغراهم بالمال ، فدلفوا اليه أفراداً وجماعات وأطلعوه على اسرار المسالك والدروب التي تصل الى الدرعية كما أطلعوه على جميع الأماكن والمتاريس التي اتخذها السعوديون للدفاع عن عاصمة ملكهم ، وعلى ضوء هذه المعلومات أعذ ابراهيم باشا عدته لضرب الدرعية الضربة القاصمة ! !

ونود ان نقرر في موضوع خيانة بعض مدخولي الضمير حقيقة ، ذلك : ان ابراهيم باشا ما كان ليستطيع شراء هذه الانفس بقوة المال والمغريات الاخرى لوحدها ، لان الرجل السعودي شموخ بانفه عزيز منيع بنفسه ، لا تغريه المادة ولكنه يؤخذ باسباب الوجل عندما تتعرض دياره للسلب والنهب لا سيا ما اختص منها بالنساء والاطفال فيكون بين أمرين أما الموت أو الاستسلام للخصم بحسب قاعدة « الامان » على الارواح والاموال . فعندما تمكن ابراهيم باشا بقواته العظيمة من احتلال البلاد وتطويق الدرعية العاصمة ، تسرب الذعر والوجل إلى قلوب كثير من الذين التجأوا إلى الدرعية ، وعرضت المغريات على بعضهم بواسطة جواسيس ابراهيم باشا ، فساعدت هذه العوامل جميعها على الخيانة واطلاع ابراهيم باشا على دخائل واسرار الجبهة السعودية ! ! !

وقعت معركة « غبيراء » فساعدت ابراهيم باشا على سبر اغوار

كثير من قواعد التعبئة السعودية في الجبهـــة ، وعلى ضوء ذلك ، قام ابراهيم باشا بتعبئة قواته لمهاجمة موقع « سمحة » فقد جمـــع عدة رجال وقوة خاصة من مختلف انحاء جبهته وضمها الى قوة الفرسان التي لديه وارسل القوتين الموحدتين إلى علي اوزون رئيس القوات المختلطة في جنوب البلدة ، ثم أوعز الى قائد قواته المرابطة في الجهة الشمالية– وتتألف من المغاربة وأهل الدلتا المصرية – بالهجوم على القوات السعودية من هذه الجهة والضغط عليهـــا أمل أن تستنجد بمن يليها من القـــوات السعودية فتنجدهـا القوات المرابطة في الجهة الجنوبية بحيث تفرغ هـذه الجهة من القوات المدافعة ، فيهاجمها علي اوزون بمن معه من القوات ويفتح ثغرة في صفوف القوات السعودية تؤدي الى انهزامها واحتـلال العاصمة ، وقد صادفت هذه الخطة نجاحاً جزئياً في باديء الامر ، ولكنها نجحت نجاحاً كاملا فيما بعد ! ! !

تنفيذ الخطة :

نفذ قائد الجبهة الشمالية ما اوعز به ابراهيم باشا فشن هجومـــه صاعقاً على القوات السعودية في هذه الجبهة ، وزحف ابراهيم باشـا بذاته على رأس قوة كبيرة من المشاة تعززها المدفعية والقبوس « المدافع الرشاشة » سالكـاً طريق الوادي هادفاً الابراج الكبيرة الواقعة على يمين الوادي ويساره ، وركز قنـابل مدفعيته على البرج الذي يحميه الامير عبد الله بن عبد العزيز واخوانه وجنودهم ، ودارت المعركة رهيبة عاتية بين الفريقين ، والقنابل تنصب على الابراج من كل حدب وصوب فهدم بعضها وانثلم البعض الآخر ، وانسحب الامير عبد الله بشجاعة واقدام من برجه واعتصم في متاريس اضافية امامية واحتلت القوات المصريـة

ذلك البرج المهدم ، وهنا حملت القوات المصرية في الجهة الجنوبية على موقع الامير عمر بن سعود فثبت مع قواته امام القوات العدوة المتدفقة كالسيل وخاضها السعوديون معركـة حمراء بالسيوف والخناجر والبنادق دفاعاً عن العرض والوطن ، واستعمل علي اوزون ما لديه من المدافـع والقبوس وراح يرمي بالقنابل والرصاص قوات الامير عمر على التوالي وفي هـذه الفترة الرهيبة خرج الكمين الذي أعده علي اوزون من الخلف وداهم الامير عمر وجنوده فاصبحوا بين نارين ، وحمل الاعداء عليهم دفعة واحدة ، فاضطر الامير عمر الى الانكفاء إلى الخلف بخطة عسكرية بارعة ، ثم حمل ابراهيم باشا من بطن الوادي على الامير فيصل ومن معه ودارت المعركة بين الفريقين ، وكان علي اوزون ارسل قبيـل انبثاق الفجر القوات الخاصة التي ارسلها ابراهيم باشا اليه الى موقـع الفياضي « نخـل لـلأمير ناصر بن سعود بن عبد العزيز » وكمن فريق منها في داخل مقصورة النخل وفريق آخر في خارجها ، ولمـا اشتد القتال وانسحب الامير عمر بن سعود ، خرجت هذه القوات مـن مكانها ، وحمل ابراهيم باشا على قوات الامير فيصل واخوانه في سمحة كما أسلفنا وتضافرت القوتان في وجه قوات الامير فيصل ، وفي الوقت ذاته حمل المغاربة والمصريون من أهل الدلتا على الجبهة السعوديـة في المتاريس الشمالية . وأخذت مدفعية ابراهيم باشا تقذف هذه المتاريس بوابل من قنابلها ، فاضطر أهل الدرعية للانسحاب من مواقعهم واتصلت الهزيمة بالمواقع الشمالية والجنوبية وترك السعوديون مدافعهم وذخيرتهم ، واستعملوا سلاحهم الابيض من سيوف وخناجر ، وباعوا أرواحهم بيع السماح ، في سبيل الله ومجد العروبة والاسلام وظلوا يجابهون العدو ببسالة خارقة الى أن وصلوا الى موقع السلماني « نخيل على شفير الوادي لابراهيم ابن الشيخ محمد عبد الوهاب » وهنا حزم الامير فيصل واخوه سـعد أمرهما مـع شراذم من الزعماء والاعيان والابطال على مكافحة الغـزاة

الدخلاء ، وجالدوهم بالسيوف والخناجر حتى ردوهم على اعقابهم بعد أن قتلوا منهم عدداً كبيراً ، وانصرف الاميران فيصل وسعد ومن معهما من الابطال والاعيان المجاهدين الى بناء المتاريس في بطن الوادي ويمينه ويساره بالحجارة ونزل كل جمع في متراس ، فصار الامير فيصل واخواه تركي وفهد وأعمامهم عبد الله بن عبد العزيز ومعهم عدد كبير من اهل الدرعية في بطن الوادي ، وصار الامير ابراهيم بن سعود ومن معه من اهل البجيري والمريح في جانب الوادي من الجهة الجنوبية وصار الامير سعد بن عبد الله بن سعود ومعه مدفع كبير في رأس الجبل وعنده جمع من أهل الدرعية ، ودارت المعركة مجدداً بين الفريقين ، وكان لهذا المدفع الكبير أثر بالغ في القوات المعادية الزاحفة إلى اسفل الدرعية ، وكانت هذه المعارك في اكثرها ترتدي طابعاً محلياً عادياً لا يتجاوز إلى الزحف الكبير أو المعركة الكبرى الحاسمة !

السعوديون يجددون مراكزهم الدفاعية :

لقد عزّز السعوديون مراكزهم شرقي الدرعية في الجهة الشمالية من الوادي وفي موقع السلماني « نخل معروف » على يمين الوادي حيث رابط في هذا الموقع عبد الله بن مزروع ومعه شراذم من أهل الدرعية ومنفوحة وغيرهم ، بينما رابط الامير عبد الله بن ابراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود مع عدد من أهل الدرعية والمحمل ورئيسهم محمد العميري في موقع « ناظرة » ورابط شديد اللوح مم « هو من أهل الصفرة وفرسانها المشهورين » ومعه عدد من الدرعية وأهل بلده في رأس ذروة جبل ناظرة وفيه متاريس منيعة محكمة بالحجارة ، وقد ثبت هذا البطل في هذا الموقع ثبات الابطال الغر الميامين ونازل القوات المصرية -

التركية بقلب كالفولاذ دون أن يطاله منهم أي مكروه . ويليه بين شعيب قليقل وناظره الأمير سعد بن سعود بينما رابط البطل العربي الكبير حسن ابن ابراهيم بن دغيثر واخوه علي ومعهما جمع من أهل الدرعيـــة في شعيب قليقل بالذات ، ورابط الأمير عبدالله بن سعود وآل الشيخ العلماء الاعلام واقرباؤهم ومعهم عدد من الرؤساء والأعيان والشجعان والابطال بين البابين « باب سمحان وباب قلعـــة البـلد » وبنوا خيامهم فيـــه وعندهم عـــدد من المدافـــع الكبيرة ، وبقيت بقيـــة القـــلاع والأبراج والمتاريس على شكلهـــا السالف الذكر في التعبئة العامة ، وكل متراس وموقـــع سعودي حياله متراس وموقع مصري – تركي ، ومن موضع الأمير عبد الله إلى أسفل الدرعية لا يوجـد قوات مصرية – تركيـــة ولكن ابراهيم باشا أقـــام بعض المتاريس الصغيرة ، وكان يهـاجـم القوات السعودية المرابطة في « الرفيعة » وشعيب قرى عمران ، وعندما انكسرت الحاميات السعودية المرابطة في موقع « سمحة » انسحب عدد كبير من أهالي نجد من الدرعية ورحلوا إلى أوطـــانهم ، ورحـــل ابراهيم باشا بقواته عن منازلهم الأمامية وحط بمدافعه وقبوسه ومخيمـه وحاشيته وقوة كبيرة من جنوده في موقع « قصير » الكائن شمـــال المدينة ، ورحل علي اوزون وجنوده من الجهة الجنوبية ،ونزل أمـــام متاريس أهل الدرعية الجنوبية ، ثم وزع ابراهيم باشا قواته على اطراف المدينة وأقـــام متاريسه أمام متاريس أهل الدرعية ، وأحكمها المهندسون العسكريون بالحجارة ، وهنا تجددت المعارك الطـــاحنة بين الفريقين ، وثبت أهل الدرعية ثبات الأبطـــال المؤمنين ونازلوا الاتراك والمصريـين بقلوب صلدة لا تخاف سوى الله تعالى إلى أن ملئت الأرض بجثـــث الأتراك والمصريين المعتدين ، وفي كل معركة تكون الغلبة للسعوديين الا ما قل من المعـــارك تكون الغلبة فيهـــا للمعتدين . وبينما الأمـــور تسير بـين « مــد وجزر » من القتـــال بالنسبة للطرفين ، كـــانت

الامدادات بالجنود والذخيرة والمدافع والقبوس والطعام تصل تباعاً من مصر إلى ابراهيم باشا ، فلما طال الحصار على أهل الدرعية وكثرت الامدادات إلى ابراهيم باشا بحيث إذا قتل الف من رجاله حشد مكانه الفاً آخر بالحال ، والمجاهدون المرابطون من أهل الدرعية في نقص مستمر وطالت هذه الحال ستة أشهر متوالية !!

استشهاد فيصل بن سعود وسقوط عرقة :

لقد احتلت القوات المصرية متاريس موقع « سمحة » كما أسلفنا وانسحبت القوات السعودية منها إلى الخلف ، وتابعت القوات المصرية زحفها فاحتلت دار السلماني ، ولكن القوات السعودية هاجمت هذه الدار وأخرجت العدو منها ، ودارت المعارك سجالا بين الفريقين ، إلى أن حمل الاتراك والمصريون على أهل الدرعية في شعيب قليقل « الجهة الشمالية » ودارت بين الطرفين معركة عنيفة وأقاموا المتاريس أمام بعضهم بعد مجزرة دامية !!

وفي هذه الاثناء أرسل ابراهيم باشا قوة كبيرة من جنوده الفرسان إلى بلدة « عرقة » الكائنة في أسفل الدرعية ، وهاجمت اهلها وقتلت منهم حوالي ٣٠ رجلا واحتلت القوات المعتدية البلدة واشعلت فيها النيران ثم تركتها . وحصلت بعد ذلك عدة معارك في جميع جهات الدرعية دون الحصول على نتيجة حاسمة ، ولما كان وقت نضوج النخيل ارسل الأمير عبد الله بن سعود إلى بلدة « عرقة » المحترقة مائة رجل للمحافظة على هذا الثمر ، وعلم ابراهيم باشا بأمرهم ، فبعث اليهم قوة

من الفرسان الاتراك طردتهم من مكانهم !!

ولما طال أمر الحصار على الدرعية دون فـائدة تذكر ، اشار عليه فريق من أهل نجـد ممن التحقوا بـه ، بأن يطالب أهـل البـلدان التي احتلها بارسال نجدات اليه تقاتل معه في الدرعية ، فلبّوا طلبـه وتألفت من أهل نجد انفسهم قوات كبيرة انضمت إلى قوات الـترك والمصريين وتوجّه ابراهم باشا بهذه القوات إلى عرقة يرافقه أمير الرياض ناصر بن حمد بن بن ناصر العائدي ومعه عدة رجال من الرياض وأهل منفوحة والخرج وغيرهم فحاصرها وأخرج أهلها بالامان على دمائهـم وسلاحهم وقصدوا الدرعية واضرمت قـوات الترك فيهـا النيـران فأتت على بعضها .

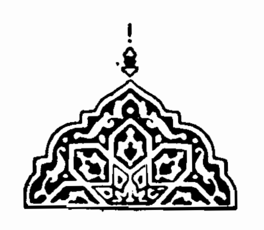
وفي هذه الاثناء شبت النيران في مستودعات البارود والرصاص خاصة ابراهيم باشا فثارت وتفجرت بدوي سمع عن مسافة ثلاثة أيام وشرد الجنود إلى رؤوس الجبال ، وأهلكت النيران عدداً كبيراً من الخيول والرجال والخيام ، وهمّ أهل الدرعية بمهاجمة قوات ابراهيم باشا اثناء هذه الحادثة ، ولكن لأمر مجهول تقاعسوا عن ذلك ولو فعلوا لكسبوا المعركـه الفـاصلة على اهون سبب ولـكن الله تعالى جعل لكل شيء قدراً !!

لقد ضاقت الدنيا في عين ابراهيم باشا اثر هذا الحادث المريـع ، ولكنه سرعان ما استرد رباطة جأشه وعاد فنظم قواته في تعبئة جديدة وأرسل إلى جميع نواحي نجـد التي أصبحت تحت سيطرته طالباً اليهم ارسال ما لديهم من البارود والرصاص ، فنفذوا طلبه ، واستعان بمصرى فارسل محمد علي باشا اليه كميات كبيرة من الذخيرة والعتاد ، ثم اتته عدة قوافل من البصرة والزبير وأهل نجد ممن كان آل سعود اجلوهم عن ديارهم وأخذوا أموالهم لثبوت خيانتهم ، حاملة إلى ابراهيم باشا الأرز والحنطة والتنباك وجميع حاجات الجنود في ميادين القتال ، وهنا عظم

أمر ابراهيم باشا ، وشدد ضغطه على بقية الدرعية » واعطى كل من يخرج منها الامـــان على روحه وسلاحه وماله ، فتكاثر عدد الذين نزحوا عن العاصمة !!!

وبينما كان الامير فيصل بن سعود بن عبد العزيز سائراً من موقعه إلى موقع آخر اصيب برصاصة طائشة اسلم الروح بسببها تغمده الله برحمته واجزل ثوابه .

وكان رحمـه الله شجاعـــاً مقداماً يضرب برجولتـه المثـــل ، وقـد كانت وفـاته في شهر جمـاد الثانـي من هـذه السنة « ١٢٣٣ » فتســـلم اخوه الأمـير تركـي بن سعود بن عبد العزيز زمـــام القيادة في مقر دفاعه !



الفصل الرابع عشر

سقُوطُ الدرعيَّة وَٱسْتِشْهَاد عَدَد مِنَ ٱلأُمَراء

تابع ابراهيم باشا ضغطه على الدرعية بشكل عنيف ليضع حداً لحالة الحصار التي طال عليها الأمد وكلفته كثيراً من الارواح والاموال والعتاد ، وجرت عدة معارك بين الفريقين ، في « كتلة الشعيب » جنوبي البلدة وفي قرى عمران عند نخل الرفيعة شرقي البلدة ، واراد الابطال الكماة الميامين من آل دغيثر ومعهم شراذم من رجالهم وضعَ حد لضغط ابراهيم باشا فحملوا حملة صدق وشرف ورجولة على مراكزه المحمية بالمدافع الرشاشة « القبوس » وامعنوا بحماتها قتلا بالسيوف والخناجر ثم عمدوا إلى سحب هذه المدافع للاستفادة منها ضد قوات ابراهيم باشا فوجدوها مقيدة بالسلاسل الحديد ، وكان الترك والمصريون قد ملؤا المدافع برصاص البنادق والكبريت واشعلوا فتيلها ، فانفجرت على اهل الدرعية وقتل منهم عدد كبير ، وبين القتلى حسن وعلي ابنا ابراهيم بن دغيثر وعبد العزيز بن عبد الكريم بن معيقيل من

الوشم !!

وتوجه ابراهيم باشا من معسكره ترافقه قوة من أهل الخرج وناصر أمير الرياض باهل الرياض ومعه مدفعين كبيرين ، فهاجم المتاريس السعودية في شعيب الرفيعة وانهزم حماتها السعوديون ، ولكن الامير فهد ابن عبد العزيز ثبت في المعركة ومعه عدد من أهل الدرعية وسدير ودارت المعركة حامية الوطيس بين الطرفين ، وحمل ابراهيم باشا بقواته الخيالة فقتل عدداً كبيراً من أهل الدرعية وبين الذين استشهدوا فهد المذكور ، وهنا استبسل أهل الدرعية وحملوا على ابراهيم باشا وقواته حملة صدق ، فانهزم من المعركة مع عـدد من رجاله بعد ان قتل عدداً كبيراً منهم ، ولكن سرعان ما عاد ابراهيم باشا إلى ميدان المعركة وصدم أهل الدرعية فثبتوا أمامه بصبر وجلد ودارت المعركة منذ طلوع الشمس إلى وقـت الظهيرة ووقف القتال بعد سقوط عدد كبير من القتلى من الطرفين !!!

وجرت بعد هذه المعركة عدة معارك وطال امر الحصار وارتفعـت أسعار الحاجيات بشكل لم تعهده البلاد من قبل وراح السكان يهجرون الدرعية افراداً وجماعات !!

وبينما الموقف على أشده من الحراجـة ، تمكن ابراهيم باشا مـن استمالة قـائد كتائب الفرسان السعودية في جبهة الدرعية غصاب العتيبي ، فخرج من الدرعية سراً اليه ، وهو ممن يعتمد آل سعود عليهم ، فساعد هذا على تقوية مركز ابراهيم باشا وجنوده وزحف بمدافعه وقبوسـه مقترباً من البـلدة ، وذعر أهل الدرعيـة من صنيـع غصاب المذكور .

هجوم صاعق للعدو :

وفي صباح يوم السبت الثالث من شهر ذي القعدة من هذه السنة قام

الجيش المصري – التركي بهجوم شديد على متاريس أهـــل الدرعية في الجنوب والشرق والشمال والغرب وهزم المقاتلين منها ، وكان غصاب العتيبي وغيره ممن نزح سراً إلى ابراهيم باشا اخبروه بمـكامن الضعف في الخطوط السعوديـة العسكريـة وفي متاريسهم والبلدة اجمالا ، وبالطريق السرية التي يدخل الدرعيون منها إلى بلدهم ويخرجون منها ، فجهـــز حملاته على ضوء المعلومات للقيام بهذا الهجوم العام ، وذلك ان ابراهيم باشا ارسل مدفعاً وعدداً من قواته إلى أسفل الدرعية فهاجموها لاشغال الاهلين من هذه الناحية ، ثم ارسل قوة اخرى إلى علي اوزون في الجهة الجنوبية وكمنت عنده ، ثم هاجم بمدافعه وقبوسه الجبهة الشمالية لاشغالها عن مساعدة الجبهة الجنوبية ، وعند طلوع فجر ذلك اليوم ارسل علي الاوزون القوات التي لديه إلى المتراس الذي يكمن فيه الأمير عبد الرحمن ابن سعود ويقع فوق مشيرفة نخل الامير سعود بن عبد العزيز فوجدوا المتراس خالياً فاستولوا عليه ويقع خلف متاريس اهل الدرعية من جهة البلد ، واشعل الاتراك المصريون نار الحرب في هــذه الجهة وهاجموا حاميات المتاريس الجنوبية والشمالية فاشتغل أهل الدرعية ببعضهم . وقامت القوات التركية – المصرية بمهاجمة أهل الدرعيـة من الخلف ايضاً ، كما قامت قـــوات اخرى بمهاجمتهم من الامام وحمي وطيس القتال ، إلى أن اضطر حماة المتاريس السعوديون إلى ترك مراكزهم ، ووقع عدد كبير من القتلى وسقط الامير ابراهيم بن سعود بن عبد العزيز شهيـــد كريماً في هذه المعركة ، وتفرق أهل الدرعية بحيث قصد كل فريـــق منازلهم فيها وتحصن المجاهدون في السور وفي منازلهم ، وقصد الأمير سعد بن عبدالله بن سعود قصر « غصيبة » وهو قصر مشهور بنـــاه المرحوم الأمير سعود بن عبد العزيز وجعـل بابه من الحديد ، واحتمى بداخله مـع عدد من رجاله والاعيان والوجوه ، وسحب ابراهيم باشا مدافعه وراح يقذف القصر وابراجه بالقنابل على التوالي ففتح في الابراج

عـــدة ثغرات وهــدم رؤوسها ، وهاجمت شراذم الجند سكان البلدة في بيوتهم ودخلت بعضها ، ودار القتال بعنف وشدة بين أهــل السهل من الدرعية والاتراك . هذا وكان أهل السهل وهم من البجيري والحوطة والنقيب والمريج قد حافظوا على مراكزهم ومنازلهم ، والأمير عبد الله بن سعود أمير البلاد وسيدها ومن معه من المشايخ والوجوه والاعيان ما زالوا في منازلهم بين البابين : باب سمحان وباب الظهيرة !!!

معركة «البجيري» واستسلام أمير البلاد:

ما كاد الأمير عبد الله بن سعود يشهد هذه المآسي تقع على سكان عاصمة ملكه حتى انتقل من « سمحان » إلى منزله في الطريف تاركاً خيمه ومدافعه وذخيرته في مواضعها ، وعلم ابراهيم باشا بنزوح الأمير من مكانه فأقبل بمدافعه وقبوسه وجنوده واحتل موقع سمحان ، ووجه هذه المدافع والقبوس إلى باب الظهيرة ورماه بالقنابل والرصاص رمياً متواصلا ، وهاجم الجند أهل السهل واحتلوا بعض بيوتهم ، واوشكوا على احتلال نخيلهم ولكنهم ثبتوا امام هذا الزحف الغاشم وصالوا على الاتراك في معركـة صادقة وتشاوروا بعدها في أمر الصلح على ان يكون مشروطـاً باخراج القوات الغازية من المنازل والنخيل وقتلوا ما امكن من الغازين ، فشهر الشيخ عبد الله بن الشيـخ محمد بن عبد الوهاب سيفه وهجم على الغزاة فلحقه رجاله من أهل البجيري وخاضوا المعركة الرهيبة مـع الترك كانهم الاسود الضياغم ، فاظلمت البجيري من شدة النقع واصوات قرع السيوف في الرؤوس تمـلأ السهل والجبل ، وتمكن الشيخ ومن معه من اخراج الغزاة من هـــذا الموقع ، وقد غطت جثث القتلى من الترك والمصريين الأرض ، وانهزمت البقية الباقية من القوات

الغازية غير لاوية على شيء ، وهنــا أرسل سراة القوم إلى ابراهيم باشا طالبين الصلح فأجابهم اليه بعد ان رفضه مراراً ، وخرج من الدرعيــة اليه كل من الامير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ العالم علي بن الشيخ محمد بن عبد العزيز بن عبدالوهاب ومحمد بن مشاري بن معمر ، وفاوضوه على الصلح العام فرفض ابر هيم باشا ذلك مصراً على ان يكون الصلح مقتصراً على أهل السهل أو يحضر أمير البلاد عبد الله بن سعود ، فلذا تم الصلح شاملا أهل السهل بالامان على دمائهم وأموالهم وما احتوت ديارهم ، وكان ذلك في يوم الاربعاء السابع من شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٣ ، ودخل الجيش المصري – التركي مواقع السهل لمحاربة أمير البلاد عبد الله بن سعود ، فوقعت المعارك بين أهل الطريف والقوات الغازية فشملت جميع جهاته واستدار ابراهيم باشا بمدافعه حوله ورماه من رأس الجبل بالقنابل ، فاحدثت في قصر الطريف ثغرات وفجوات كبيرة ، وارادت قوات ابراهيم باشا احتلال القصر ، ولكن الأمير سيد البلاد ومن معه من الفرسان والابطال استبسلوا في الدفاع ، واخرج الأمير عبد الله المدافع التي في القصر إلى مسجد الطريف وقذف الأعداء بقنابلها ، وانضم اليه عدد من رجال البجيري واهل النواحي القريبة واستعرت الحرب مدة يومين بين الفريقين ، ولكن للصبر طاقة ، فقد تعرض هؤلاء لضغط عسكري يفوق حدود الصبر ، مما ارغمهم على ترك الأمير عبد الله بن سعود لوحده ، وعندها خشي سيد البــلاد الامــير عبد الله على النساء والاطفال من ان تطالهم ايدي الاتراك وبقية الغزاة بسو . فأرسل لى ابراهيم باشا طالباً الصلح على أساس الأمان ودخــل منزله فاستسلمت العــاصمة باجمعها وهب جماعة من اعيانها يريـــدون الانسحاب خفية ومعهم الامير سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود من الطريف فأسره جنود من الترك وقتلوه صبراً « اي قتلوه بعـــد الاستسلام والقاء السلاح » رحمه الله رحمة واسعة ، أما الأمير سعد

ابن عبد الله الذي احتمى في قصر « غصيبة » فقد صالح ابراهيم باشا على أساس الامان مع مصالحة أهل السهل ، بعد أن خاض عدة معارك على غير طائل ! !

الشهداء الأبرار من الأمراء :

لقد تحدث الكاتب الخاص بابراهيم باشا فقال : ان القوات المصرية — التركية قد خسرت منذ خروجها من ديارها غازية بلاد نجد حتى عودتها اليها حوالي ١٢ الف جندي ، واستشهد من امراء آل سعود نحو واحد وعشرين أميراً منهم : الأمير فيصل بن سعود واخوه الأمير ابراهيم واخوه الأمير تركي « توفي في مرض آخر الحصار » والامير فهد بن عبد الله بن عبدالعزيز والامير فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد ابن سعود والامير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود واخوته الامراء ابراهيم وعبد الله وعبد الرحمن والامير عبدالله بن ابراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود والامراء ابراهيم بن عبد الله بن مرخان وعبد الله بن ناصر بن مشاري ومحمد بن عبدالله بن محمد بن سعود وسعود بن عبدالله ابن محمد بن سعود وابنه محمد ، واستشهد عدد كبير من وجوه واعيان العاصمة بينهم فريق من آل دغيثر وآل ثنيان وآل ناصر وآل هذلون وغيرهم . وتوفي الأمير عبدالله بن عبد العزيز بن سعود بعد ابرام الصلح ، رحمهم الله واجزل ثوابهم .

فظائع إبراهيم باشا باعدام المسلمين :

ما كاد ابراهيم باشا يقر الصلح مع أهل الدرعية ويحتلها عنوة ،

حتى سلك سبيل الظلم والانتقام ، وراح يزهق الارواح جزافاً ....
فمنهم من أعدمهم رمياً بالرصاص ومنهم من وضعه في فوهة المدفع بعد حشوه بالبارود واشعله به ، ومن الذين اعدموا بالرصاص الشهداء :
رشيد السردي قاضي الحوطة والحريق وعبد الله بن احمد بن كثير وعبدالله ابن محمد بن عبدالله بن سويلم وحمد بن عيسى بن سويلم « من الدرعية » ومحمد بن ابراهيم بن سرحان صاحب بلدة « شقرا » وغيرهم . وممن اعدموا قذفاً ببارود المدافع : علي بن حمد بن راشد العريني قاضي الخرج وصالح بن رشيد الحربي من بلدة الرس وعبد الله بن صقر الحربي من الدرعية ، وكان الشيخ العالم الفاضل القاضي احمد بن رشيد الحنبلي صاحب المدينة في الدرعية لدى الامير عبدالله فامر ابراهيم باشا بتعذيبه وجلده ، فعذبوه وجلدوه وقلعوا اسنانه ! ! !



الفصل الخامس عشر

إعدَام آلإمَام عَبْدَاللّه بتركيا وَتَدْمير آلدرعيَّة

لقد ظن ابراهيم باشا ان في اعدام كرام القوم على هذه الصورة ، يوقع الذعر في قلوب الشعب ، وانه سيخلد في هذه الديار ، ولشد ما خاب ظنه ، فقد تدارك الله هذه الأمة العربية النبيلة في الجزيرة العربية وانقذها من هذه المظالم تأتي على يدي سفاح ارنؤوطي خلع ما بينه وبين الله من مخافة وخشية ..... ثم تأسّست الدولة العربية السعودية على أمتن القواعد والاسباب كما سيأتي ايضاحه .

ولم يكتف ابراهيم باشا بما فعله في البلاد والعباد ، من حرق وتدمير وسلب ونهب وقتل وتشريد حتى خرق عهد الأمان الذي اقطعه إلى أمير البلاد الامام عبد الله بن سعود ، فبعد مرور يومين على توقيع عهد الصلح اوعز ابراهيم باشا إلى الامام عبد الله بن سعود بأن يستعد للسفر الى استانبول لمقابلة السلطان العثماني ، واوعز إلى رسوان

آغا والدويدار ومعهما عـــدد من الجنود بوجوب حراسته وايصالـه إلى الباب العالي ، فرحل الامير المجاهد العظيم معهم من الدرعية يرافقه ثلاثة – وقيل اربعة – من رجاله إلى مصر ومنها ارسله محمد علي باشا إلى استانبول حيث قتله الاتراك مع رفاقه شنقاً بعد عرضهم في الاسواق رحمهم الله رحمة واسعة واسكنهم فسيح جنانه ! ! !

سيرة الأمير عبد الله :

كان الامام عبدالله بن سعود – رحمه الله – صاحب سيرة حسنة مقيماً للشرائع آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كثير الصمت حسن السمت باذل العطاء ، وكان صالح التدبير ، ثبتاً في مواطن اللقاء ، وهو اثبت من ابيه في مجالدة الاعداء ، وكانت سيرته في جهاده وفي مجالس الدرس في الدرعية وفي قضاء حاجات الناس واحقاق الحق وازهاق الباطل مطابقة لسيرة المرحوم والده ، ولكن القدر لم يساعده لاتمام رسالة آبائه واجداده في بعث الدولة العربية الكبرى .

عماله وقضاته في العاصمة والملحقات :

لقد كان أميره « عامله » على الاحساء فهد بن سليمـــان بن عفيصان ، وعلى القطيف ابراهيم بن غانم وعلى عُمان حسن بن رحمة وأمير الجيوش فيهـــا بتال المطيري شقيق مطلق المطيري ، وأميره على وادي الدواسر قاعد بن ربيع بن زيد الدواسري وعلى الوشم حمـــد ابن يحيى بن غيهب وعلى الخرج عبد الله بن سليمـــان بن عفيصان وعلى

المحمل ساري بن يحيى بن سويلم ، وعلى سدير ومنيخ عبد الله بن معيقل ثم عزله وجعل مكانه محمد بن ابراهيم ابو الغنيم وعلى ناحية القصيم حجيلان بن حمد ، وعلى جبل شمر محمد بن عبد المحسن بن علي ، وأما باقي الملحقات فقد استبقى عليها الامراء الذين عينهم والده الأمير سعود .

وكان قضاته على الدرعية بالتعاقب : عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ سليمان ابن عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ عبد الله بن القاضي احمد الوهبي . وعلى الاحساء وتوابعها عبد الرحمن بن نامي وعلى عمان عبد الله بن عبد الرحمن ابي بطين وعلى القطيف محمود الفارسي وعلى الخرج علي بن حمد بن راشد العريني وعلى الحوطة والحريق رشيد السردي وعلى اقليم سدير الشيخ القاضي ابراهيم بن سيف وكان قبل ذلك قاضياً في عمان ، وعلى منيخ عثمان بن عبد الجبار بن شبانة وعلى الوشم عبد العزيز بن سويلم وعلى جبل شمر عبد الله بن سليمان ابن عبيد .

إعدام حفيد الشيخ :

وفي آخر سنة ١٢٣٣ استشهد الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب ، وذلك ان ابراهيم باشا عندما صالح أهل الدرعية ، ارسل اليه مهدداً متوعداً ، ثم بعث بعدد من العازفين على الرباب ، فراحوا يعزفون عليها امامه تحقيراً واهانة له ، ثم ارسل قوة من الجند فاقتادته إلى المقبرة واوثقته ثم اعدمته

رمياً بالرصاص ، وجمع لحمه بعد ذلك قطعاً ، اسكنه الله فسيح جنانه .

وكان رحمه الله آية في العلم والمعرفة فقد الم الماماً تاماً بالحديث وأصحابه وصحيحه وحسنه وضعيفه والفقه والتفسير والصرف والنحو ، وكان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر لا تأخذه بالله لومة لائم ، وكان له مجالس كثيرة في التدريس ، وقدصنف ودرس وافق إلى أن أصبح مضرب المثل في الديار الاسلامية . وكان حسن الخط ليس في زمانه من يكتب بالقلم مثله ، وقد صنف كتاب « شرح التوحيد» لجده الشيخ محمد عبد الوهاب ولكنه لم يكمله وصنف عدة كتب اصولية وفقهية ونصائح دينية . لقد أخذ العلم عن ابيه عبدالله والشيخ احمد بن ناصر بن معمر وأخذ العربية عن الشيخ حسين بن غنام وغيره وأخذ عنه عدد كبير من أهل الدرعية وغيرهم !!

وقد كانت هذة السنة « ١٢٣٣ » شؤماً على البلاد والعباد ، بحيث كثرت فيها الفتن ونهب الاموال وقتل الرجال ، ورفع الوضيع وتأخر الكبير فأرخها بعض الشعراء في بيتين من الشعر قال :

عام به الناس جالوا حسبما جالوا
ونال منا الاعادي فيه ما نالوا
قال الاخلاء ارخه فقلت لهم
ارخت قالوا بماذا قلت « غربال »
« ١٢٣٣ »

وقد انحل بعد هذه الكوارث نظام الجماعة والسمع والطاعة ، وفقد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلم يعد احد يستطيع أن ينهي عن منكر أو يأمر بطاعة ، وانصرف الناس لتعاطي المحرمات والمكروهات جهراً ، وسيطر الجهل على المجامع والمدارس واندرست

معرفة اصول الدين وانواع العبادات ، وسل سيف الفتنة بين افراد الشعب ، واصبح الرجل لا يأمن على نفسه في داخل بيته ، وتعذرت الاسفار بين البلدان ، وتطاير شرر الفتن في انحاء الوطن ، وظهرت دعاوى الجاهلية بين العباد وتنادوا بها على رؤوس الاشهاد ، ودامت هذه الحال إلى أن اذن الله بالخلاص منها كما سيأتي ايضاحه .

الهجوم على عسير :

وفي شهر شعبان من هذه السنة ، وابراهيم باشا في حصار الدرعية ، زحف سنان آغا بعدد من الجنود الاتراك على محمد بن احمد وقومه في عسير ، فاستنجد هذا بالشريف حمود بن محمد ابي مسمار فلبى الطلب وزحف بقومه إلى عسير فالتقى بالقوات التركية في حجيلان ودارت المعركة بين الطرفين وادت إلى انهزام الاتراك واعتصم قائدهم سنان آغا بالقنفدة ، وبعد انتهاء المعركة اصيب حمود ابو مسمار بمرض لم يمهله سوى عشرة ايام فاسلم الروح بعدها وخلفه ابنه احمد فوقع الصلح بينه وبين حسن بن خالد ثم جرت معارك عادية بينهما ، وسار الترك اليه بقيادة خليل آغا وبعد عدة معارك تمكن هذا من اعتقال احمد وهو في عسير ، وكانت هذه القوات في هذه المرة مزودة بمساعدة احمد بن حمود وساقه إلى مصر وخلفه ولده محمد ، وبعدها بقليل توفي خليل آغا ، فزحفت القوات التركية لثالث مرة على محمد بن الشريف محمد بن الشريف عون وعدد من العربان ، فاسروا محمد بن احمد وهو مريض وقتلوه ، وتمكنوا من اسر ابن محمد ابي نقطة اثناء زحفهم وارسلوه ايضاً إلى مصر ! !

موجة رهيبة من المظالم !!

دخلت سنة ١٢٣٤ وابراهيم باشا مقيم في الدرعية على حاله السالفة الذكر ، ثم ارتحل بمدافعه وقبوسه وحاشيته من موقع « سمحان » ونزل في نخيل الأمير تركي بن سعود المعروف باسم « العويسية » باسفل الدرعية ، ثم وزع باقي قواته في بساتين النخيل واطراف البلدة ، وأوفد قوات مختلفة مزودة بالمدافع إلى مختلف المدن النجدية وامرها بهدم اسوار هذه المدن ودك حصونها ، فنفذت هذه القوات الاوامر بحذافيرها وصادرت أهل البلاد بخراجها وعلف الخيل بالليل والنهار وجمعت ما فيها من الحنطة والشعير باستثناء القليل تركته للأهلين واستمرت هذه القوات في هذه الديار إلى ان سمح لها ابراهيم باشا بالرحيل !!!

ثم صادر ابراهيم باشا جميع خيول آل سعود وتجهيزات الحرب ، وراح الجند يعيثون في اسواق المدينة فساداً ويضربون الاهلين ويسخرونهم فكانوا يجمعون الرجال من الدور ويحملون على ظهورهم ما تحمله الحيوانات ، ثم يسخرونهم بهدم البيوت والدكاكين ويحملونهم خشبها بعد ان يحطموه ، وينقلون الماء للجنود ولجميع خيولهم ، دون أن يعرفوا لفاضل فضله ولا لعالم قدره . واصبح الساقط الخسيس ، في تلك الايام هو السيد الرئيس ؟!!

وفي أول هذه السنة انهزم رؤساء السياسب من الاحساء وحبس الشيخ القاضي عبد الرحمن بن نامي ثم قتل ، وذلك : ان ابراهيم باشا لما استولى على الدرعية واستقر فيها ، اعتمد ماجد بن عريعر في امارة الاحساء واخاه محمد بن عريعر معه ، وكان والدهما رئيساً للاحساء وبني خالد ، وبعد ان استقر ماجد واخوه محمد في الامارة ، سار محمد إلى القطيف واستولى عليها ، ثم اوفد ابراهيم باشا حوالي ٢٤٠ جندياً بقيادة محمد كاشف ويرافقه عبد الله بن عيسى صاحب الاحساء إلى هذه

المنطقة لجمع الاموال إلى بيت المال وجمع ما كان يؤخذ إلى آل سعود ، وما ان وصل هؤلاء الجند إلى الاحساء حتى بادروا بقتل الذين ينتسبون لآل سعود وصادروا أموالهم وأموال آل سعود ، كما قتلوا عدداً من أئمة المساجد من أهل نجد واعتقلوا عبد الرحمن بن نامي وحبسوه واخذوا أمواله ثم قتلوه ظلماً وعدواناً رحمه الله رحمة واسعة !!!

وفي هذه الاثناء تمكن سيف بن سعدون رئيس السياسب من الهرب – بطريق البحر – ومعه عدد من رجاله وأتباعه واعيان السياسب وخشي آل عريعر على انفسهم من الهلاك وعلى أموالهم من السلب والنهب فخرجوا من الاحساء إلى شمال البلاد وتبعتهم عشائرهم ، وبقيت قوات ابراهيم باشا تعيث فساداً في هذه المنطقة إلى ان رحل ابراهيم باشا بنفسه من البلاد كما سيأتي ذكره !!

وفي شهر رجب من هذه السنة توفي عبد الله بن عيسى بن مطلق صاحب الاحساء المذكور وكان يتمتع بمركز مرموق وكرم مشهور وذكاء متوقد .

هدم الدرعية وارتحال إبراهيم باشا :

أقام ابراهيم باشا في الدرعية عاصمة آل سعود نحو تسعة اشهر ، اصدر خلالها اوامره بوجوب ابعاد جميع آل سعود وآل الشيخ محمد ابن عبد الوهاب إلى مصر ، فنفذ الجنود الأمر ، ورحل آل سعود وآل الشيخ بنسائهم وأطفالهم تحت الحراسة ، ولكن الأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان تمكن من الهرب ومعه اخوه زيد ، كما تمكن الشيخ القاضي علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الهرب أيضاً ، إلى قطر وعمان واقام

هناك إلى ان تمكن الأمير تركي بن عبد الله آل سعود من العودة إلى وطنه واستقرت الأمور بعودته ، كما سنأتي على ذكره . وقد تمكن عدد كبير من الوجوه والاعيان ايضاً من الهرب ونجوا بأنفسهم !!

وفي شهر شعبان من هذه السنة « ١٢٣٤ » تلقى ابراهيم باشا من محمد علي باشا والي مصر رسالة يأمره فيهـــا بهدم الدرعية وتدميرها ، فأمر ابراهيم باشا أهل الدرعية بالرحيل عنها ، ثم أمر جنوده بهـــدم القصور والدور وقطـــع النخيل دون أن يرحموا صغيراً ولا كبـــيراً ، فأسرع الجنود في تنفيذ هذه الأوامر وهدموا بعض الدور وأهلها بداخلها . واتلفوا الحدائق وقطعوا النخيل واشعلوا النيران في البيوت وتحولت القصور والدور إلى ركام من الانقاض ، وأصبحت العاصمة بلقعاً وخراباً وتفرق أهلها في طول البلاد وعرضها !!!

ولما فرغ ابراهيم باشا من هدم الدرعية وتدميرها خرج منها ونزل مع قواته ورجاله على غدير الماء المعروف باسم « الاحور » على مقربة من بلدة « ضرمى » ، وكان الامير سعود بن عبد العزيز رحمه الله يضع خيوله خلال فصل الربيع في هذا المكان ، فاقام ابراهيم باشا فيه اكثر من شهر !!

بطل يطعن إبراهيم باشا بخنجر :

ركب ابراهيم باشا وفريق من قواته من موقع « الاحور » نحـــو الجنوب بقصد الغزو وترك مخيمه مكانه ، ولكنه لم يحصل على طـــائل وصادف مرور غزو مؤلف من حوالي ٢٠٠ رجل من العجمان فحمل ابراهيم باشا عليهم فهربوا بعد ان قتل بعضهم ، وهنا هجم احد الأبطال من الرجال الغزاة على ابراهيم باشا وطعنه بخنجره طعنة قوية فأصابه في

تكة سرواله وهو على ظهر حصانه وانحدرت الطعنة إلى سرج الحصان ففلقته نصفين واصيب ظهر الحصان بجرح بليغ ونجا ابراهيم باشا من الموت باعجوبة ، وتمكن حرس ابراهيم باشا من القضاء على البطل فمزقوه ارباً !!

ثم أغار ابراهيم باشا ومن معه على قبيلة عنزة في ارض الزلفى ونهب ابلها وأغنامها ، وكان قبيل هدم الدرعية قد اغار على عشائر سبيع ونهب ابلها واغنامها وقتل عدداً من رجالها وعاد إلى الدرعية ! !

قتل ونهب وتدمير ! !

كان ابراهيم باشا قد أرسل شراذم من قواته إلى مختلف انحاء نجد لهدم الاسوار والحصون والقصور ، فنفذت أوامره بطرق وحشية وأساليب همجية إذ أن هذه الشراذم انقضّت على عدد كبير من رؤساء أهل نجد وأمعنت فيهم قتلا ونهباً ، وانقض « الآغا » الذي عينه ابراهيم باشا أميراً على الجبل على محمد بن عبد المحسن بن علي أمير اقليم الجبل من قبل آل سعود فقتله كما قتل شقيقه علياً وعدداً من رجالها ، كما انقض « الآغا » الذي في القصيم على عبد الله بن الرشيد أمير عنيزة وقتله !!!

وعندما هم ابراهيم باشا بالرحيل من اقليم القصيم ، أقدم حسين جوخدار « الآغا » على حوطة الجنوب ومعه عدد كبير من الجنود على ارتكاب جناية بشعة وذلك انه نزل بقواته في « الدلم » من اعمال منطقة الخرج وقتل رؤساء آل عفيصان وهم فهد بن سليمان بن عفيصان واخوه عبد الله وابن اخيه متعب بن ابراهيم بن سليمان بن عفيصان ونهب

جميع خزائنهم وأموالهم ، وقتل علي بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على يدي بعض الاتراك في الدرعية ، وكان رحمه الله عالماً عارفاً في الحديث والتفسير وغيرهما .

ورحل ابراهيم باشا من القصيم إلى المدينة المنورة ومعه حجيلان بن حمد أمير القصيم وتوفي فيها وعمره فوق الثمانين سنة ، ثم تابع ابراهيم باشا سيره إلى أن دخل ديار الشام وهاجم مدينة « عكا » واستولى عليها كما سنذكره في حينه !!

الفوضى تعم البلاد:

من المؤسف ان رؤساء البلاد النجدية الذين تولى آل سعود اقصاءهم عن الديار بسبب فساد اخلاقهم وسوء تصرفهم وعدم وفائهم واخلاصهم قد استغلوا خلو البلاد من حكامها وقادتها ورحيل ابراهيم باشا وقواته عنها . فعادوا اليها وبسطوا سلطانهم الرهيب عليها ، فاستعرت نيران الفتن وكثر القتل والنهب ونبشت الضغائن من مراقدها ، وكان أهل كل مدينة أو قرية يمشون فئــآت متجانسة ضد الفئات الاخرى ويقتلون بعضهم بعضاً وقد تمكـّن رشيد بن سليمان الحجيلاني صاحب مدينة « بريدة » من قتل عبد الله بن حجيلان ، وذلك ان حجيلان بن حمد قتل سليمان الحجيلاني عندما حاصر سعدون صاحب الاحساء بلدة « بريدة » في سنة ١١٩٦ ، كما تقدم ذكره ، فلما رحل ابراهيم باشا عن القصيم حصل عبد الله بن حجيلان من رشيد المذكور على عهد بعدم قتله ولكنه غدر به وقتله وذلك ان حجيلان كان عثر على طفل رضيع في الطريق فالتقطه ورباه إلى أن كبر ، وعندما اراد رشيد قتل عبد الله بن حجيلان كان هذا اللقيط أول من أسرع إلى فتح الباب ودخل رشيد وقتل عبد الله غدراً وهو

في داره !! وبعد مصرعه باربعين يوماً هاجم غدد من رجال بلدة « عنيزة » رشيداً وعدداً من رجاله وحاصروهم في قصرهم وقد طال عليهم الحصار وانفجرت بهم كميات من البارود والذخيرة من مستودع في القصر فقضى بعضهم نحبه ومنهم من جرح !!

وعندما رحلت قوات ابراهيم باشا من أقليم الاحساء ، وكانت دخلته ومعها ابن مطلق كما مر ذكره ، عاد محمد بن عريعر وذووه من آل حميد إلى الاحساء واستملكوا الاقليم ، ثم سار سعدون الضرير إلى القطيف واحتلها ، وقدم اليه سيف بن سعدون رئيس السياسب ووالده ومعهم عدة رجال من السياسب فاكرمهم أول مرة ، ثم قبض عليهم وقتلهم وعددهم حوالي عشرة رجال !!

وقام ناصر بن محمد بن ناصر آل راشد بقتل ابراهيم بن ناصر الزير رئيس آل حمد في بلدة « حريملا » ونهبت بيوت آل حمد كافة وتمكن آل راشد من اجلاء الباقين من آل حمد عن البلدة .

وفي الثامن من شهر شوال من هذه السنة ارسل الله غيثاً عميماً فسالت الاودية وعم الخير البلاد .

وفي آخر هذه السنة رحل محمد بن مشاري بن معمر من بلدة العيينة إلى الدرعية ، وكان ، عندما هدم ابراهيم باشا هذه المدينة رحل عنها إلى العيينة وبعد ان رحل ابراهيم باشا وقواته ، وابعد آل سعود وآل الشيخ عن البلاد إلى مصر ونهبت اموالهم ، طمع محمد بن مشاري في بسط سلطانه على الديار النجدية ، وكانت تربطه بآل سعود صلة من النسب إذ أن المرحوم الأمير سعود بن عبد العزيز خاله ، واستطاع ان يحتفظ بكميات كبيرة من الذخيرة وعدة الحرب ومبالغ كبيرة من الاموال ، وما ان نزل الدرعية حتى عمل في بنائها ونشط في اعلان الدعوة للتوحيد بحسب طريقة آل الشيخ محمد عبد الوهاب وبعد ان

استقر بها ، راح يكاتب أهل المدن والقرى وزعماء القبائل والعشائر ودعاهم إلى زيارته فلبى الدعوة عدد من مجاوري الدرعية .

ابن معمر يبني الدرعية :

دخلت سنة ١٢٣٥ وابن معمر مستوطن الدرعية وتبعه أهل منفوحة ، الأمر الذي اخاف بقية رؤساء البلاد فكتبوا إلى ماجد بن عريعر رئيس الاحساء وبني خالد مستنجدين به وبرجاله من بني خالد على ابن معمر خشية استفحال امره ، فسار صاحب الاحساء ومعه عدد من العشائر وأهل حريملا والخرج والرياض إلى بلدة منفوحة ونازل أهلها في قتال مرير ، ، ثم صالحوه فارتحل عنهم ، وهنا استعمل ابن معمر الحيلة والمكر ليطوح بابن عريعر ، فكتب اليه معرباً عن صداقته ومودته كما بعث اليه بهدايا مختلفة ، الأمر الذي جعل ابن عريعر يعزف عن محاربة ابن معمر وفي الوقت ذاته وقفت العشائر والقبائل وآل عريعر موقفاً معادياً كان لا بد لآل عريعر معه من الرحيل عن الاحساء فكان ذلك ، وتعاظم أمر ابن معمر في الدرعية وكثير من نواحي البلاد ، وكاتب أهل المحمل وسدير والوشم وغيرهم من سكان المدق والقرى بوجوب نجدة أهل الدرعية بالطعام ، فقد ارتفعت اسعاره فيها بشكل لم يسبق له مثيل ، ولبى أهل اقليم القصيم النداء وتزاحمت القوافل على الدرعية تحمل مختلف أنواع الطعام والكساء وبيعت بأبخس الأثمان ، مما زاد في أهمية ابن معمر وعزز مركزه في البلاد .

عودة الأمير تركي للدرعية :

وما ان تمكن ابن معمر من الدرعية ، وأصبح له عدد كبير من الدعاة في طول البلاد وعرضها ، حتى وصل إلى الدرعية الأمير تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان يصحبه أخوه الأمير زيد ، وقد كانا تمكنا من الهرب من الدرعية عندما دمرها ابراهيم باشا وأبعد آل سعود وآل الشيخ إلى مصر كما مر ذكره . وكان لا بد للأميرين تركي وزيد من تأييد محمد بن مشاري بن معمر ومساعدته في ادارة الحكم ريثما يتمكنا من الاستقرار في ديار آبائهم واجدادهم . وكان بين محمد بن معمر وبين رئيس بلدة حريملا حمد بن مبارك بن عبد الرحمن بن راشد وبين صاحب بلدة الرياض ناصر بن حمد ابن ناصر العائذي وصاحب الخرج ابن زيد بن زامل عداوة سابقة فامتنعوا عن تأييد ابن معمر ومناصرته ، واثر مراسلات جرت بين ابن معمر وفريق من أهل حريملا قام هذا الفريق ، في يوم الجمعة ٢٢ جمادي الأول من هذه السنة ، بمداهمة آل راشد وقتلوا منهم رجلين واعتصموا في قصرهم المنيع ، كما قتل من آل حمد رجلين أو ثلاثة ، وبعد ذلك استنجد آل حمد وأهل حريملا بابن معمر لفك الحصار عن قصرهم ، فارسل اليهم ولده مشاري والأمير زيد بن عبد الله بن محمل ابن سعود ومعهما عدة رجال من المحمل وسدير وحاصروا آل راشد اسبوع ، فطلبوا الأمان من مشاري بن محمد بن معمر فامنهم بكتاب خط بيد ابيه على دمائهم وما يملكون من مال ومتاع ، وانزلهم من القصر ورحل بهم إلى الدرعية وبعد هذه الوقعة دانت البلاد لابن معمر بالطاعة وشملت البلاد المؤيدة له : العارض والوشم وسدير . واستعمل في حريملا أميراً عمر بن عثمان بن حمد ثم سار محمد بن عبد الله بن جلاجل بأهل بلدة « جلاجل » على آل سويد وحصروهم في قصرهم

ثم أخرجوهم منه بالامان واحتل محمد القصر وأرسل إلى الأمير مشاري ابن سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن يخبره بما حدث في الدرعية وان محمد بن معمر أصبح أميراً على البلاد !!!

مبايعة الأمير مشاري بالحكم :

وايضاح ذلك ان الأمير مشاري بن سعود المذكور وصل إلى الوشم في العاشر من شهر جمادي الثاني من هذه السنة ومنها توجه إلى الدرعية يحمل كميات كبيرة من الأرز والطعام ويرافقه عدد كبير من أهل القصيم وبلدتي الزلفى وثرمدا وعدد كبير من أهل الدرعية ، ونزل بمن معه في بيوت اخوانه الأمر الذي أزعج ابن معمر وجعل يهم بالامتناع عن قبول الوافدين ومحاربتهم ولكنه شعر بالعجز عن ذلك وجنح إلى الصلح وبايع الأمير مشاري بن سعود واستقام الأمر لهذا الأمير ، وكان تمكن من الهرب من الدرعية أيام عقد « المصالحة » بين ابراهيم باشا والأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز ، وعندما رحل ابراهيم باشا عائداً إلى مصر ، عاد الأمير مشاري إلى الدرعية كما أسلفنا !!

ولما علم أهل سدير ورئيسهم محمد بن جلاجل وأهل المحمل وحريملا وصاحب الرياض وأهله واكثر أهل الوشم بوصول الأمير مشاري واستقراره في الدرعية قدموا اليه وبايعوه ، وسانده الأمير تركي بن عبد الله في ذلك وأيده ، ثم قدم اليه في الدرعية عمه الأمير عمر بن عبد العزيز وابناؤه عبد الله ومحمد وعبد الملك ، وقدم اليه كذلك الأمير مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري وكانوا هربوا ابان الحرب الأخيرة وعادوا إلى الدرعية بعد

هدوء الحال .

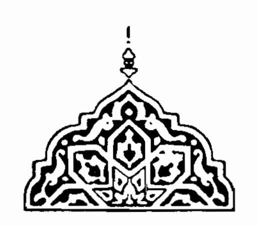
وعندما استقر الأمر للأمير مشاري بن سعود وضع الذين بايعوه من أعيان القوم عمالا « أمراء » له على المدن والقرى والاقاليم ، ثم سار بأهل الدرعية والعارض والمحمل وسدير والوشم وغيرهم من بوادي سبيع · قاصداً ناحية الخرج ونازل أهل « السلمية » في حرب ضروس واستولى على هذه البلدة ثم على « اليمامة » و «الخرج» واخرج البجادي منها ، وارتحل عنها إلى بلدة « الدلم » ونازل صاحبها زقم بن زامل · فبايعه هذا على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، ثم رجع مشاري إلى الدرعية ، وقد كان محمد بن معمر ندم على مبايعة هذا الأمير واراد الرجوع عن عهده ، فركب من الدرعية إلى بلدة « سدوس » وتظاهر بالمرض ، بينما كان في حقيقته يفكر في كيفية استرجاع الأمارة على البلاد ، وكاتب آل حمد في حريملا – وكانوا رؤساءها – بذلك ، فاستدعوه ووعدوه بالنصرة ، وتوجه اليهم من سدوس واستوطن حريملا واعلن مخالفته للأمير مشاري ، وكاتب أهل النواحي يطلب اليهم البيعة والسمع والطاعة · وأخرج القوات المرابطة في قلعة حريملا واحتلها برجاله عدة ايام وكاتب فيصل الدويش مستنجداً فأرسل اليه قوة من عشيرة مطير .

احتلال الدرعية وأسر مشاري:

لقد اشتد ساعد محمد بن معمر بهذه القوات ، فتوجه بها وبعدد من رجال حريملا نحو الدرعية ، فدخلها بغتة ، وقصد بن معمر ومن معه رأساً قصر الأمير مشاري بن سعود واعتقلوه اسيراً ووضعوه في الحبس ،

ووضع ابن معمر ولده مشاري في القصر ورحل من الدرعية بجموعه إلى الرياض ، وكان الأمير تركي بن عبدالله فيها ومعه الأمير عمر ـ بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وابناؤه ، فاضطر لمغادرتها مع اقربائه والتجأوا إلى « إلحاير » واحتل ابن معمر الرياض واستقر في الملك ودانت له البلاد بالطاعة .

وفي هذه الاثناء وصلت قوة من الجنود الاتراك بقيادة ابوش آغا إلى منطقة القصيم ، قادمة من مصر ، واحتيلت بلدة عنيزة ، واطاع سكان هذه المنطقة هذا القائد التركي . ولما علم محمد بن معمر بأمره ، كاتبه معلناً طاعته للسلطان وانه أمسك الأمير مشاري وسجنه ، فأقره آبوش آغا على امارته في الدرعية !!!



الفصل السادس عشر

الإِمَامُ تركي يَسْتَرِدُ مُلْكَ آبَائِهِ

راح محمد بن معمر يكاتب أهل البلاد داعياً اياهم لمبايعته وأمرهم بأن يفدوا اليه ، فركب أهل سدير والمحمل وغيرهم إلى الدرعية إذ كان رجع اليها وترك ولده مشاري في الرياض !!!

وعلم الأمير تركي بن عبد الله بهذه الحوادث وهو في الحاير الشهيرة باسم « حاير سبيع » فنزح عنها ومعه فريق من عشيرته وخدمه ووصل إلى بلدة « ضرمى » لقضاء بعض اشغاله فعلم رجل من اتباع محمد بن معمر بذلك وأخبره سراً بوصوله وان شرذمة صغيرة فقط ترافقه فأرسل ابن معمر ولده مشاري على رأس مئة رجل إلى ضرمى لمنازلة الأمير تركي واسره ، كما أرسل امامه رجلا إلى ضرمى للاستطلاع وشعر به الأمير تركي فاعتقله واستنطقه فاعترف بالواقع وسلمه الكتاب الذي معه من مشاري إلى وجهاء البلدة ، وهنا كان لا بد للأمير تركي من اعداد العدة لإفساد هذه الحملة وغايتها بعمل ايجابي يستند إلى الرجولة

الحقة ويرتكز على البطولة الفذة فأمر رجاله باحتلال احد قصور البلدة الحصينة ففعلوا وحصلوا على السلاح المطلوب من صاحب القصر وامتنعوا فيه وما ان خيم الليل حتى خرج الأمير تركي من القصر ومعه خادمه وسارا معاً نحو جماعة من أصحاب آل معمر في منزلهم ، وامسك الأمير تركي خادماً لهم وهدده بقطع عنقه إذا لم يطلب من هؤلاء الجماعة فتح باب المنزل ففعل ، وما ان فتح الجماعة الباب حتى هجم الأمير تركي وخادمه عليهم وأعمل الأثنان السيف فيهم بينما كانوا جلوساً على موقد النار ، فأطفأوا النار حالا واصيب بعضهم بجراح ثخينة ، وتمكن بعضهم من الهرب قفزاً عن جدار المنزل واستولى الأمير تركي على سلاحهم ، ولما علم جماعة مشاري بن معمر بذلك اخذهم الرعب وأتوا إلى الأمير تركي فبايعوه وهرب مشاري بذاته على فرسه يتبعه فارسان من رجاله ، وأقام الأمير تركي في ضرمى واتى اليه اناس من أهل الجنوب وسبيع !!

لقد اشتد ساعد الأمير تركي بهذه النجدات ، وتحرك بها من ضرمى نحو ابن معمر في الدرعية ، وذلك في شهر ربيع الأول من هذه السنة ، فدخل عاصمة آبائه واجداده بمن معه من الرجال وهم قلة ، وداهم محمد بن معمر في قصره ، واراد هذا الامتناع والقتال ولكن أهل الدرعية خذلوه ، فأمسكه الأمير تركي وحبسه ، وصادف ان محمد بن معمر كان استدعى أهل سدير والمحمل وأولم لهم وليمة فلم يأكلوا منها شيئاً اذ كان الأمير تركي وجماعته دخلوا العاصمة فتناولوا الطعام هنيئاً مريئاً معه !!!

احتلال الرياض وإعدام ابن معمر :

ولما استقر بالامير تركي بن عبدالله المقام تحرك نحو الرياض بقواته الموفقة ونازل مشاري بن معمر وأمسكه واحتل الرياض ثم سجن محمد ابن معمر وولده مشاري وطلب الامير تركي إلى الأول ان يطلق سراح مشاري بن سعود السجين في « سدوس » لدى عشيرة ابن معمر ، وعندها يطلق سراحه مع ولده مشاري ، فكتب محمد بن معمر فعلا إلى عشيرته بالواقع طالباً اخلاء سبيل الامير مشاري ، فامتنعوا عن ذلك خوفاً من القوات التركية لأن زعماء سدوس من اقرباء ابن مشاري ، قد وعدوا قائد الاتراك بتسليم الامير مشاري اليه ، وفي هذه الاثناء قدم إلى سدوس عدد من الجنود الاتراك بقيادة خليل آغا ويرافقه فيصل الدويش ، فاستلموا الامير مشاري من زعماء سدوس ، وعندما علم الأمير تركي بن عبد الله بذلك أمر بضرب عنق محمد بن معمر وولده مشاري فنفذ الأمر في آخر شهر ربيع من هذه السنة ، وتحركت القوة التركية وقائدها خليل آغا وفيصل الدويش من سدوس إلى الرياض ، وارادوا محاربة الأمير تركي ، فثبت لهم في القتال إلى أن أرغمهم على التراجع فعادوا إلى بلدة « ثادق » واقاموا فيها حوالي خمسة عشر يوماً ثم رحلوا إلى بلدة « ثرمدا » وبعد محاربة أهلها نزلوا بها — وكان ابوش آغا بلدة « عنيزة » مع قواته — وتسلم الأمير مشاري بن سعود وحبسه لديه فاسلم الروح وهو في هذه الحال اسكنه الله فسيح جنانه !!!

ثم راح فيصل الدويش مع قوات من الاتراك يهاجم قرى ومدن سدير ، وكل بلد أو قرية يدخلها يسلب سكانها ما لديهم من مال ومتاع . وكانت عدة فتن ومفاسد وقعت في سدير ، وثار الزعماء والوجوه والاعيان على بعضهم ، ومنها ان آل شرعان العتبان المعروفين يومذاك في روضة سدير قد هاجموا رؤساءها آل ماضي وقتلوا منهم محمد بن

ماضي وعبدالله بن حبيب وهرب باقي الذين سلموا من القتـــل إلى الاتراك .

وفي منتصف شهر صفر من هذه السنة هاجمت قوات من الانكليز اهالي بلدة « رأس الخيمة » من اقليم عمان ، وكانت قد اتت على عدد كبير من المراكب البحرية مزودة بالمدافع ، واحتلت البلدة وانهـــزم أهلها تاركين منازلهم خالية خاوية ، فدمرها الانكليز على بكرة ابيها . وكان يوجد في هذه البلدة عدد من الذين التجأوا اليها من الدرعية بسبب احراقها من قبل ابراهيم باشا ، ومنهم الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد عبد الوهاب واخوه عبدالرحمن والاميران مشاري بن ناصر بن سعود وحسن بن محمد بن حسن بن مشاري وعبدالله بن مزروع ومحمد بـــن حسن بن مزروع والشيخ العالم احمد بن سرحان والشيخ القاضي ابراهيم ابن سيف والشيخ القاضي عبدالله الوهيبي وجبر بن رشيد بن علي ، ومن أهل الاحساء الشيخ القـــاضي احمد بن هديب وسعد بن غردقة ، وغيرهم فتمكن هؤلاء من الهرب من البلدة ونجاهم الله من هذة الغزوة المدمرة المحرقة !!



الفصل السابع عشر

حَمْلَة تُركيَّة مُدَمِّرة وَمَظَالم وَحْشِيَّة

لم يكتف العثمانيون بالحملة التي وجّهت إلى الديار النجدية والحجازية واليمانية بقيادة ابراهيم باشا ، وما قامت به من أعمال وحشية في تدمير المدن والقرى واعدام القادة والزعماء والوجهاء والاعيان ونهب السكان ما يملكون من مال ومتاع وقطع النخيل وغير ذلك مما جعل البلاد على سعتها في ويل وثبور !!

أجل !! لم يكتف الاتراك بذلك ، بل جدّدوا حملتهم لاستئصال البقية الباقية من آل سعود ، ذلك ان الباب العالي كان دائم القلق على نفوذ السلطان العثماني من ان يتمكن آل سعود من اعادة تأسيس الامبراطورية العربية فيتقلص هذا النفوذ عن البلاد العربية ، ومع مرور الزمن يفقد اثره في الديار التركية ذاتها ، فلذا كانت دسائس الباب العالي لا تنفك تحاك ضد البيت السعودي العربي الكريم . وما ان دخلت سنة ١٢٣٦ حتى أوفد الباب العالي قوة عسكرية من الاتراك بقيادة ضابط

يدعى « حسين بك » فنزل بقواته ديار القصيم في قلب نجد ، ثم ارتحل عنها واجتمع إلى « ابوش » وجنوده وتوجهوا معاً نحو الوشم ونزلوا بلدة « ثرمدا » فلبث حسين بك فيها ، وأوعز إلى رؤساء هذا الاقليم بوجوب الغزو وتوافدت اليه جموع من سدير والوشم والمحمل وغيرها ، وسيّرها رأساً إلى الرياض بقيادة « ابوش » يرافقه عدد من رؤساء البلدان الذين كان أجلاهم ابن معمر عن ديارهم ومنهم ناصر بن حمد رئيس الرياض وحمد بن مبارك بن عبد الرحمن رئيس حريملا ، وكان الامير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود قد استقر في هذه البلدة وأصبح أميرها وراح يعمل لاستعادة ملك آبائه وأجداده السليب ، وما ان دهمته قوات الاتراك ومن معها من أهل البلاد حتى تصدى لها بقتال عنيف بما يملك من سلاح قليل ورجال أقل عدداً ، واعتقد ان أهل البلدة يقاتلون معه ، فما أن دخلت القوات أول البلدة حتى استسلم الاهلون لقادتها بدون قتال وحوصر الأمير تركي ومن معه من رجاله في القصر فرماه الاتراك بقنابل مدافعهم فارغم على ترك القصر والانسحاب بنفسه ، وفي الصباح طلب الذين في القصر الامان فحصلوا عليه وخرجوا منه وعددهم حوالي سبعين رجلا ومعهم عمر بن عبد العزيز بن محمد بن سعود وابناؤه الثلاثة ، فقتل الاتراك جماعة الأمير تركي السبعين وسجنوا الأمير عمر واولاده ثم ابعدوهم إلى مصر !!

القتل للثأر !!

ورحل حسين بك بعد ذلك من بلدة ثرمدا إلى الرياض حيث اعتقل ابناء ابراهيم بن سعيد أصحاب منفوحة وفرض عليهم غرامة مالية ، وراح يصادر أهل الرياض ويفك اسارهم لقاء مبالغ من الاموال ، ثم

سجن عدداً كبيراً من سبيع « أهل الحاير » وأمرهم بالرحيل عن الدرعية وكانوا نزلوها مع ابن معمر ، وساقهم إلى بلدة « ثرمدا » يصحبهم نساؤهم وأطفالهم ، وكان يحتلها يومئذ خليل آغا ومعه قوة من الاتراك ، فوضعهم جميعاً في بناء واحد له باب واحد لا يدخلون أو يخرجون إلا مع الاغا ، ووعدهم بانزالهم في أي مكان يريدونه واعتبرهم وقربهم اليه ، وحقيقة امره هي غير هذه المظاهر على الاطلاق اذ كان يظهر غير ما يبطن !!

وفي آخر شهر رجب من هذه السنة قدم عبدالله الجمعي أمير بلدة عنيزة من مصر على حسين بك وهو في الرياض ، والجمعي هذا من أهل عنيزة ، وأصبح من دعاة الاتراك ومحمد علي باشا عاملهم في مصر ، فجعلوه أميراً على عنيزة . ولما عاد ابراهيم باشا وقواته إلى مصر أخرجه أهل البلدة انفسهم من الأمارة ، وأصبح محمد بن حسن ابن حمد المعروف بلقب « الجمل » أميراً مكانه ، فلما قدم الجمعي على حسين بك في الرياض واستقر فيها قليلا قرر ان يثأر ممن اساء اليه ، فقتل عدداً من أهل الرياض بينهم أولاد سليمان بن راشد وعددهم خمسة اخوة ، فاعدمهم « صبراً » وبعد ان قطع نخيل ابي الكباش بالقرب من الدرعية ، غادر الرياض الى بلدة ثرمدا وبالقرب منها قتل محمد بن حسن أمير عنيزة المذكور !!!

نهب وغدر خسيس !!

وبعد برهة وجيزة أراد حسين بك ان يسير إلى « ثرمدا » فأمر المنادي بان ينادي باهل الدرعية : « ان كل من اراد الرحيل عن البلدة إلى أي بلد يشاء عليه ان يكتب لنا بذلك ويرحل اليها وعليكم ان

تجمعوا لنكتب لكم الاوامر بالسفر » فاستسلم اليه عدد كبير ممن كانوا مختبئين أو ملازمين أعمالهم ، وهنا أوعز حسين بك إلى طائفة من جنود الترك الخيالة فأعملوا فيهم رصاص بنادقهم وسيوفهم وقتلوهم باجمعهم وعددهم حوالي ٢٣٠ رجلا ونهب الاتراك اموالهم وبعضاً من أطفالهم وتركوا نساءهم ارامل وبقية أطفالهم في اليتم المرير !!!

ومن مشاهير الرجال الذين أودى حسين بك بحياتهم في هذه الحادثة الدامية النكراء : صالح بن ابراهيم بن دغيثر ، وعلي بن قصيب واولاده موسى بن سليم محمد وابنه وعددهم تسعة اخوة ، ومحمد بن عبد العزيز ابي نهية ، وامام مسجد حوطة الدرعية عبد العزيز محمد بن عيسى وغيرهم رحمهم الله . ثم وصل حسين بك ، بعد هذه المجزرة الحمراء إلى بلدة ثرمدا ، ووزع جنوده في مختلف النواحي من البلاد ، وراحت هذه الجنود تفرض الضرائب الباهظة على افراد الشعب بشكل لم يسبق له مثيل ، ثم راحت تنهب ما لدى الشعب من أموال ومتاع وما لدى النساء من حلي ومصاغ ، كما صادر هؤلاء الجند الطعام والمواشي والاواني ، وامعنوا في ظلمهم واجرامهم الانساني فراحوا يسجنون الرجال والنساء والاطفال ويسومونهم انواع العذاب ، فمنهم من مات تحت الضرب ومنهم من تشوه من أثر السياط ، فاضطر كثير من أهل المدن والقرى إلى الهرب والتجول في البراري والقفار والجبال والسهول والوهاد ، فنهبت دور الهاربين وقطع نخيلهم ، وكان هذا الطاغية حسين بك يفسد اخلاق وضمير بعض ضعاف النفوس فيرشيهم للأسترشاد على خفايا أهل البلاد ممن يحب الاتراك او يكرههم ومن يقتني ثروة أو فقير الحال ، فاوقع هذا الطاغية التركي البلاد في محنة ما بعدها محنة ، لا سيا في بلدة « رغبة » و « الداخلة » و « جلاجل » و « التويم » و « الحوطة » و « المجمعة » و « سدير » ، وكان ابوش آغا في هذه البلدة الاخيرة

ونزل بقواته في قصر « جلاجل » وفرق جنوده في تلك الارجاء فكانت أعمالها اشد خزياً واجراماً .... ومن بين شهداء بلدة « حريملا » : عبد الله بن مانع وعبدالله بن حميد « من أهل الدرعية » وضرب فيها سليمان الحر وزامل بن بنيان – وهما من أهل الدرعية أيضاً – حتى اسلما الروح !!!

وفي بلدة « ثادق » ضرب الترك كلا من عبد الله بن حيدر وعبد الرحمن بن ماجد حتى توفيا ، كما ضرب غيرهم وسيموا انواع العذاب وسجن الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب في حريملا ونهب بيته ومكتبته الضخمة وكانت تضم اكبر عدد من مختلف كتب العلم والدين والفقه ، فقد نهب « الزللي » القاضي الذي عينه حسين بك بعض هذه الكتب واشعل الترك النار في البقية ، ثم انهالوا على صاحبها بانواع العذاب ، وفي القصيم قتل عبدالله بن محمد بن عبدالله بن حسن رئيس بلدة بريدة ومحمد بن غانم !!

ولما هم حسين بك وقواته بالرحيل من هذه الاماكن اعتقل من كل بلد رجلا أو رجلين ووضعهم رهائن لقاء الذين تمكنوا من الهرب ، وسار بهؤلاء المعتقلين إلى ثرمدا ، إذ كان شيد فيها مستودعاً ضخماً لخزن المنهوبات ، فوضع المعتقلين بداخله مقيدين بسلاسل من الحديد ، واقاموا على هذه الحال رهن العذاب المقيم إلى أن وصل حسين بك ابو ظاهر وفك عقالهم كما سيأتي ايضاحه .

وفي اليوم السادس عشر من شهر رمضان من هذه السنة رحل عبوش آغا وقواته من سدير ، وفي صباح عيد الفطر « أول شعبان » رحل حسين بك وقواته من ثرمدا وترك فيها نائباً عنه وجعل في الرياض ايضاً نائباً عنه وكلاهما من الاتراك ووضع رجلا اسمه « ابو علي المغربي » إلى جانب نائبه في الرياض ، كما وضع نائباً عنه في قصر بلدة عنيزة من أعمال القصيم ، ثم ذهب إلى المدينة المنورة ومنها عاد راجعاً

إلى مصر !!

وما ان رحل حسين بك وجماعته عن الديار حتى عمت الفتن والمفاسد جميع أنحاء البلاد ، إذ أن حسين بك المذكور كان أوقع بين سكان البلاد وفسق وفسد في الارض ، فثارت الحروب في سدير والقصيم والعارض والجنوب وغيرها ، ففي أول شوال من هذه السنة ارسل صاحب مدينة « الداخلة » إلى صاحب بلدة « جلاجل » طالباً ارسال عدد من رجاله يرابطون عنده ويبعث معهم طعاماً وسلاحاً ففعل ذلك ووقعت الفتنة العمياء فارسلت بلدة « الروضة » اليهم في الثالث من شوال عدداً من رجالها والتحمت المعارك بين الفريقين وكثر النهب والسلب والتقاطع بين الارحام وبني الاعمام !!

وفي هذه الاثناء وقع وباء عظيم افنى قسماً كبيراً من سكان البلاد ، وهو وباء « الكوليرا » اذ كان يصاب المرء باسهال يصحبه مغص موجع ثم قيء شديد ويسقط المصاب فاقد الروح ، وقد ظهرت بوادر هذا الوباء أولا في الهند ثم انتقل إلى البحرين والقطيف والاحساء والبصرة والعراق وايران وغيرها من بلاد الشرق .

فاتح تركي جديد بأسلوب جديد!!

دخلت سنة ١٢٣٧ والفتن في البلاد على أشدها . وقد ترك اكثر أهل البلاد ما كانوا عليه من تقى وورع وصلاح ، وراح الاهلون يتقاتلون في وسط الاسواق والبيوت ، فاريقت الدماء الزكية البريئة انهاراً ، وفي أول شهر محرم من هذه السنة قتل عثمان بن عبدالله بن ادريس في جلاجل غدراً على يدي رئيس البلدة ، ووقع مثل هذا الحادث حوادث كثيرة وعم القتل انحاء القصيم وسدير والوشم والعارض والخرج والجنوب

وغيرها !!

وبينما البلاد تسير في هذا الخضم من الفتنة والفساد وصل إلى بلدة « الرس » حوالي مائة فارس من الاتراك بقيادة ضابط اسمه حسن بك ابو ظاهر ، وكان قدومهم من المدينة المنورة ، واظهر حسن بك دلائل التقى والورع والنسك والعبادة ، وذلك انه علم بان أهل النجد لا يؤخذون إلا بطريق الدين والتقى والورع فاتبع هذا السبيل ليستميلهم اليه ، ثم يحتل حصون البلاد وعندها يتحكم بالرعية كما يحب ويريد وراح يبشر بين الناس : انه اتى ليحارب البدو فيدفعون الزكاة ويرد المظالم عن الحضر ولا يريد سوى الزكاة !!

وبعدها كتب إلى الجنود الموجودين في ثرمدا باطلاق سراح المساجين المقيدين بالسلاسل في مستودعات الاعاشة ، فاطلقوا سراحهم ، ثم اغار حسن بك بجنوده على جماعة من بوادي عنيزة فسلبهم حلالهم ، ووفد عليه أهل القصيم واطاعوه ، ثم رحل من الرس إلى بلدة عنيزة ورئيسها يومئذ داعية الترك المشهور عبد الله الجمعي فانضم اليه ، ووفد في هذه الفترة عليه صاحب بلدة المجمعة وصاحب جلاجل واكثر رؤساء البلدان ، وارسل نحو ثمانين فارساً من جماعته الترك بقيادة موسى الكاشف ، وسار معهم عبد الله الجمعي نفسه إلى قصر المجمعة وراحوا يجولون ويصولون في سدير طالبين من الاهلين المال والطعام فحصلوا على شيء منها ، وتزايد أمرهم بالظلم والسلب والنهب الامر الذي ارغم بعض القرى التابعة لسدير ان تمتنع عليهم ، وعندها تمكن هؤلاء الطغاة من اسر رئيسين من رؤساء المجمعة وقتلوهما وهما حمد بن ناصر بن جعوان وابراهيم بن حمد العسكر ، وقتلوا معهما عدداً من خدمهما ، ثم تحركوا إلى سدير فأدركوا أمير بلدة الجنوبية فقتلوه !!!

وفي آخر شهر رجب من هذه السنة غادر الجنود المجمعة بعد ان تركوا عدداً منهم في قصرها للمحافظة ، وغزوا أعراب السهول فاغاروا

على حلتهم ، واصطدم الفريقان في قتال عنيف دارت الدائرة فيـه على العتاة الاتراك فقتل بعضهم والآخرون انهزموا إلى الجمعة واعتصموا بها ، ثم رحلوا عنها ومعهم الجمعي دون ان يحصلوا على نصيبهم من السلب والنهب والقتل الا بقدر قليل ، وقتل في هذه الوقعة موسى الـكاشف وجميع قادة الفرسان الثمانين المذكورين !!

وكان حسن بك عندما ارسل هذه الحملة بقيادة موسى الكاشف ، ارسل اخاه ابراهيم الكاشف إلى ناحية الوشم والعارض على رأس قوة من الجند ، فدخل بها الرياض واستوطنها ثم سار بجنوده إلى الخرج ثم عاد بهم إلى الرياض ، ورحل حسن بك ابو ظاهر من القصيم إلى جبل شمر ، مبشراً بين سكانه بانه لا يريد سوى الزكاة ، وتمكن بهذه الحيلة من احتلال الحصون ، والسيطرة على الموقف ، ثم راح يطالب الأهلين بالزكاة منذ رحيل ابراهيم باشا إلى يومه الذي هو فيه ، ولما قبض هذه الزكاة هاجم جماعات من البوادي فنهب ابلهم وفرض عليهم الغرامات الباهظة ورحل بعدها إلى بلدة « موقق » احدى قرى شمال الجبـل وحاصرها بشدة وظفر عندها بسكانها وقتلهم وعددهم نحو ستين رجـلا !!!

آنهزام الأتراك في معركة :

وفي العاشر من شهر ذي الحجة من هذه السنة توجه الجنود الاتراك الذين في الرياض ومنفوحة بقيادة ابراهيم الـكاشف المذكور ومعهم أمير الرياض ناصر بن حمد بن ناصر العائذي وأمير منفوحة موسى بن مزروع ومعهما جماعات من أهل الرياض ومنفوحة ، نحو عشائر سبيـع في موقع وراء حاير سبيـع وشنوا عليهم غـارة شعواء والتحم الطرفـان

في معركة دامية ، كان النصر فيها لسبيع وانهزم الاتراك شر هزيمة ، واعمل فرسان سبيع في مؤخرتهم السيف فقتل منهم حوالي ٣٠٠ رجل بينهم قائدهم ابراهيم الكاشف وانهزم أمير الرياض على جواده ودخل في غار يقع قبالة الحاير واختفى بداخله ومعه رجل من سبيع كان اجاره ثم سار هذا السبيعي لوحده على فرس أمير الرياض ليسقيها من البلدة فشاهدها رجال من سبيع وعرفوها فعمدوا اليه في الغار وقتلوه !!

زلزال في حلب :

وفي شهر ذي القعدة من هذه السنة وقع زلزال عنيف في حلب هدم فيه ثلثا المدينة وسلم ثلثها الثالث وهلك ٢٢ الفاً و ٧٠٠ شخص من السكان واتت انباء هذه الكارثة إلى الديار النجدية فحزن سكانها على هذا العدد من الضحايا !!

وعلى اثر حادث سبيع وانهزام الاتراك سار العميل الذي وضعه حسين بك في قصر ثرمدا بمن معه من الجنود ويرافقه فيصل الدويش وجماعات من عشائر مطير وغيرهم من أهل ثرمدا إلى ناحية سدير ، وذلك ان صاحب جلاجل تمرد على دفع الزكاة لهذا التركي الدخيل ، ثم نزلت القوات التركية في بلدة الروضة ورافقها جماعات كثيره من أهل سدير ورحلوا منها إلى جلاجل فنازلوا أهلها بالقتال وراء النخيل واقاموا على ذلك يوماً وليلة ، ثم وقع الصلح بين الفريقين ، وارتحل الاتراك إلى الوشم .

الفصل الثامن عشر

الإِمَامُ تركي يُحَارِبُ لإِنقاذِ وَطَنِهِ

دخلت سنة ١٢٣٨ والأمير تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ابن محمد بن مقرن بن مرخان يرقب الحال المحزنة التي شملت البلاد والعباد على أيدي الاتراك ومن شايعهم من العرب انفسهم ، وكان يعد العدة لانقاذ وطنه وامته من هذه الفتنة العمياء ، وفي شهر رمضان من هٰذه السنة تمكن – رحمه الله – من مغادرة بلدة « الحلوة » في جنوب البلاد ومعه نحو ثلاثين رجلا بلا سلاح ودخل بلدة « عرقة » واستقر فيها ، وعلم به أمير بلدة « شقرا » حمد بن يحيى بن غيهب فسار اليه وساعده في مهامه ، ثم أرسل الأمير تركي ابن عمه مشاري ابن ناصر بن مشاري بن سعود إلى سدير وكتب إلى سويد صاحب « جلاجل » بأن يقدم اليه بما يستطيع من الرجال والسلاح وعدة الحرب والقتال ، وحمل مشاري هذه الرسالة إلى صاحبها ، فلبى الدعوة بأسرع حال فقد ركب سويد بعدد من الرجال سكان جلاجل وسدير

والمحمل ومنيخ ووصل إلى الأمير تركي وهو في عرقة ، فاشتد ساعده بهذه القوة ورفع راية الجهاد زاحفاً نحو الرياض ومنفوحة وفيهما عدد من جنود محمد علي باشا والي مصر بقيادة ابي علي البهلولي المغربي وقيل ان هذا العدد ٦٠٠ مقاتل ، فدار القتال بين الفريقين شديداً ، ولكن سويداً ومن معه لم يثبتوا على وفائهم سوى مدة وجيزة فرجعوا إلى بلدانهم ولم يبق مع الأمير تركي بن عبد الله سوى شرذمة قليلة ، وعندها قامت القوات المصرية يرافقها أهل الرياض ومنفوحة بحصار الأمير وجماعته ، فصبر بعظمة وانفة امام هذا الطغيان وقطع المصريون اكثر أشجار « عرقة » وبعض نخيلها ، ثم ارتحلوا عنها ، وبقيت الحرب على حالها ، وأهل حريملا وثرمدا والخرج يظاهرون أهل الرياض ويساندونهم ، وعزف أهل الوشم وسدير عن الأمير بعد ان توقفوا عن محاربة بعضهم وتصالحوا !!

وفي هذه الفترة توجه حسن ابو ظاهر ومن معه من جنود الترك ومصر إلى عنيزة واستقر فيها ، ثم راح يجمع الاموال من أهلها . وسجن عبدالله الجمعي أميرها ومعه بعض أتباعه ، وما ان شعر سكان البلدة بثقل اعماله وغدره ، حتى حاربوه بقوة لا هوادة فيها ولا لين ، فطلب مع جنده الأمان ، وحصلوا عليه من السكان . وخرجوا من عنيزة إلى ضواحيها ، وهنا أقبل الجنود الموجودون في ثرمدا ، وارتحلوا معاً إلى المدينة المنورة ، بعد ان ابقى حسن ابو ظاهر قائداً اسمه محمد آغا ومعه ٦٠٠ جندي في قصر « الصفا » بعنيزة ، وما كاد يتحرك ابو ظاهر وجماعته من ضواحي البلدة حتى هب أهلها في وجه محمد آغا وجنوده وحاربوهم وارغموهم على اللحاق بحسن ابي ظاهر بأمان وسلامة ، وهدموا قصر الصفا ولم يبق في نجد بعد ذلك اية قوة من القوات التركية–المصرية غير القوة الموجودة في الرياض ومنفوحة .

وفي شهر رجب من هذه السنة وقع القتال في « مناخ الرضيمة » المعروف بالعرمة ، وذلك بين فيصل الدويش واتباعه من مطير والعجمان وغيرهم وبين ماجد بن عريعر واتباعه من بني خالد وعنزة وسبيع ، والتحم الجميع بقتال عنيف انهزم فيه بنو خـــالد وأتباعهم شر هزيمة تاركين ديرتهم واثاثهم واغنامهم واكثر ابلهم فغنمها فيصل الدويش واتباعه ، وسقط من عنزة مغيليث بن هذال قتيلا وقتل من مطير حباب ابن قحيصان رئيس البرزان .

وفي هذه السنة وقع الصلح بين سويد رئيس جلاجل وبين عبد العزيز ابن جاسر بن ماضي وهدأت الحرب في سدير وتزاور الجميع واجتمعوا إلى بعضهم .

هذا والأمير تركي بن عبد الله لا يزال في عرقة محارباً لأهل الرياض ومنفوحة وأهــل الخرج وضرمى وثرمدا وحريملا وموقفه يزداد قــوة ومنعــة .

تركي يهاجم ضرمى ويحتلها :

دخلت سنة ١٢٣٩ والامير تركي على تلك الحال واكثر اهالي نجــد يكاتبونه دون نجدته عملياً ، فعزم على مهاجمة ناصر السياري في ضرمى ، وسار اليه بشرذمة قليلة من الرجال ، واستخلف في عرقة عمـــر بن عفيصان ، فدخل الأمير البلدة وعثر على ناصر السياري في سطح المسجد وكان بطلا شجاعاً فتعانقا وتصارعا وسقطا معاً من السطح ولم يفلته الأمير تركي حتى قتله ، فسرى نبأ هذه الوقعة في سائر اطراف نجد سريان البرق ، وكان الأمير تركي شجاعاً لا يوصف وبطلا لا يقهر وهمتـــه يعجز عنهـــا صناديد الرجـــال ، فاستولى على ضرمى وأقام فيها .

وفي شهر ربيع الأول من هذه السنة وقعت الحرب بين اهل المجمعة وأهل ضرمى وسقط من الطرفين عدد من القتلى بينهم حمد بن عثمان بن صالح أمير المجمعة في زمن الأمير سعود .

وقد سبق وذكرنا : ان عبدالله بن جلاجل كان عاملا للأمير عبدالعزيز ابن سعود على جلاجل وجميع مقاطعة سدير ، ولما أصبح سويد صاحباً لهذه البلدة خشي من محمد بن عبد الله بن جلاجل من ان يعمل على ازاحته عن منصبه فأجلاه عن البلاد واشتعلت الحرب بين الفريقين على غير طائل إلى أن تصالحا ، وهنا غادر محمد بن عبد الله بن جلاجل البلدة إلى بغداد مستنجداً بابن عمه راشد بن عثمان بن جلاجل وكان هذا شجاعاً وثرياً ، فقص محمد عليه ما جرى له مع سويد وانه اجلاه عن وطنه وصادر نخيله وماله ، وطلب مساعدته على خصمه ، فوافقه عمه على ذلك وظهر معه من بغداد واستعد للحرب وبذل في سبيلها المال الوفير ، وساعدهما بذلك ابراهيم بن فريح بن حمد بن ماضي صاحب بلدة « الروضة » ، وتحركوا إلى الزبير حيث جمع راشد عدداً من أهل سدير وغيرهم وقصدوا اراضي نجد ، ولما وصلوا إلى سدير تشاوروا في أمر الحرب أو الصلح مع رئيس جلاجل المذكور ، فقرروا شنها حرباً شعواء عليه طمعاً بالكسب والمال ، وانتقض الصلح الموقّع بينهما في السابق ! ! !

وفي ليل السادس والعشرين من شهر رمضان من هذه السنة اجتمع راشد ورجاله في بلدة « التويم » وبينهم عدد من صناديد سدير ، ثم قصدوا بلدة جلاجل ، فتاهوا بين البلدين ولم يبصروا انفسهم إلا وهم في التويم ثانية ، وكتموا أمرهم ولم يعلم أهل جلاجل بهم ! !

وفي ليل السابع والعشرين من رمضان توجهوا نحو جلاجل وقصدوا أهل « عشيرة » شرقي البلدة ورئيسهم محمد بن ناصر بن حمد بن ناصر

ابن عشري ، وتسلقوا عليهم جدار البلد ، وهنا غادر راشد بن جلاجل وابن اخيه محمد وأتباعهما مكانهم إلى شمال البلدة ونصبوا السلالم على جدار القصر المنيع فهبطوا إلى داخله وتوجهوا نحو المجلس ، ودخل سويد وأتباعهم قصرهم ، واستولى الخوف والوهن على سكان البلدة ، ووصل أهل « عشيرة » إلى المسجد ونزلوا في البيت الكائن فوقه ، حيث راحوا يرمون منه القصر برصاص بنادقهم ، مما أرغم السكان على التراجع ، وظهر سويد من قصره ومعه محمد العميري وعدد من أهل بلدة ثادق والجمعة ، وترامى الطرفان بالرصاص بين القصر والمجلس ، وهنا أصيب ابراهيم بن فريح بن ماضي قائد الحملة التي أعدها راشد برصاصة أودت بحياته حالا واصيب عدد من رجاله بجراح ثخينة ، مما اوقع الذعر في نفوس الباقين فتركوا الديار وولوا هاربين سالمين بانفسهم .

أسماء بعض القتلى :

وهنا رجع سويد وأتباعه إلى أهل عشيرة وهم في المسجد فاخرجوهم منه وحاصر بعضهم في الدار المذكورة ثم هرب بعضهم وقتل الباقون رمياً بالرصاص ! ! !

ومن بين الذين اعدموا كل من : محمد بن ناصر رئيس أهل عشيرة ، فقد كان تاه في البلدة ثم دخل بيتاً واختفى بداخله فعلم به سويد بعد الظهر وأخرجه واعدمه ، وموسى بن عبد العزيز بن موسى وثلاثة رجال معه من أهل عشيرة ، وناصر بن عبد الله ابن فوزان بن حمد بن مانع بن عشري ، وابراهيم بن فريح من مشاهير بلدة الروضة ومحمد بن عبد الله بن ماضي وعبد الله بن سليمان

الكلبي ، ومن أهل التويم واحد هو : محمد بن زامل بن ادريس ، ومن أهل جلاجل : سليمان بن فوزان بن سويلم من رؤساء أهل ثادق ومحمد بن عبد الله العبادي من ابطال جلاجل ومعه ستة رجال .

الأمير تركي ينقذ البلاد :

وفي الخامس عشر من شهر شوال من هذه السنة استأنف راشد ابن جلاجل سيرته في مهاجمة جلاجل مرة اخرى واستعد بصنع السلالم للتسلق على جدران أسوارها ، وسدّ أهل البلدة باب بلدتهم الشرقي وهم يرقبون السطوة الرهيبة بخوف وجذع ، فاذا بالامام تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود وقد أقبل كالليث من بلدة ضرمى ومعه ابن السيارى فنزل بلدة ثادق وكتب إلى أهل سدير قائلا « من كان منكم على السمع والطاعة ، فليسكن عن الحرب والفتنة ويقبل الي » ولما وصل رسول الأمير الامام تركي حاملا رسالته ، لم يسعهم غير الاذعان والسمع والطاعة وركب اليه جميع رؤساء سدير وبايعوه ، ثم استنفر الأمير أهل المحمل وساروا معه يتقدمهم الشيخ القاضي محمد ابن مقرن الى سدير ودخلوا بلدة جلاجل وبايعه أهلها ، وكتب الأمير إلى فريد بن عثمان رئيس بلدة المجمعة يدعوه الى الطاعة فلم يجبه ، فاستنفر عليه أهل سدير وقصده في بلده وحاصره مدة ساعة من الزمن فارغم على الطاعة . وارسل الشيخ القاضي عثمان بن عبد الجبار ومعه أربعة رجال من رؤساء البلد إلى الأمير تركي وبايعوه وصالحوه ، فدخل الأمير الامام البلدة واخرج فريد بن حمد من القصر وجعل فيه حامية من رجاله برئاسة محمد بن صقر من اهل العمارية وبايعه أهلها على دين

الله ورسوله والسمع والطاعة ، واقام الأمير الامام فيها نحو شهر واخذ منها كمية من الخيام كان جنود الترك تركوها مع كميات من السلاح والمال فاستولى الأمير عليها جميعها .

وهنا وفد رئيس الغاط احمد بن محمد السديري وأهل الزلفى إلى الأمير الامام تركي وأعلنوا ولاءهم له وكاتبه أهل « شقرا » وغيرهم من أهل الوشم ، فلما اعتزم الرحيل استنفر اهل الزلفى والغاط ومنيخ وسدير وزحف على حريملا ونازل أهلها بهذه الجموع ووقعت الحرب بين الطرفين ، وقائد قوات حريملا اذاك ناصر بن ناصر بن راشد وسقط عدة قتلى من الطرفين ! !

وكان لا بد للأمير الامام تركي من وضع حد سريع لهذا القتال ضنا بدماء المسلمين ، فحشد رجاله والسلالم بايديهم على البلدة وضيق على الاهلين . وارسل إلى رئيس البلدة حمد بن مبارك وكان رجلا عاقلا . بانه اذا غاب القمر ولم يخرج أهل البلدة للاستسلام ليوقعن بهم بشدة ، فخرج حمد بذاته اليه وبايعه على دين دالله ورسوله والسمع والطاعة ، على ان يعطيه ما كان لآل راشد من نخيل وغيره . وان يبقيه عاملاً له على البلدة ، فنفذ الامام الأمير هذه المطالب ، وتوجه من حريملا بعد استسلامها إلى منفوحة مستنفراً معه أهل حريملا ، فوقع الذعر في قلوب سكانها وطلبوا الصلح وخرج أميرها ابراهيم بن سلامة ابن مزروع إلى الامام وبايعه واخرج من فيها من الجنود التركية — المصرية الباقية ؟؟!

الإمام تركي يهاجم الرياض :

وفي سنة ١٢٤٠ ، زحف الأمام الأمير تركي بقواته من منفوحة

فهاجم أهل الرياض ، ولا يزال فيها بقية من الجنود المصريين ، ودارت بين الفريقين معارك شديدة ، واوعز الامام بقطف ثمر النخيل وكان نضج ، واتلاف الزرع الا ما حمته قلعة البلدة ، ودام الحصار مدة شهر بكامله ورئيس العارض عامذاك عبدالله بن حمد بن ناصر العائذي خلفاً لأخيه ناصر بعد ان قتل في وقعة الحاير كما اسلفنا .

وقد علم فيصل الدويش بزحف الامام تركي على الرياض فجمع رجاله لنجدة أهلها ، فزحف الامام بقواته نحو عرقة ، وأقام فيصل الدويش ورجاله لدى أهل الرياض اياماً ثم رحلوا عنهم ، وهنا اغتنم الأمير تركي هذه الفرصة وزحف مجدداً بقواته على الرياض وحاصر أهلها بشدة وقوة ، مما ارغم ابا علي المغربي رئيس الجنود المصريين الذين في البلدة على طلب الصلح من الامام ، فنفذ الامام تركي طلبه على ان يخرج من الرياض وجنوده معه ويذهبوا الى وطنهم ، وان يكون جميع أهل اقليم العارض وأميرهم عبدالله بن ناصر في امان . وتم ذلك على أحسن حال ، وأوعز الامام تركي إلى ابن عمه الأمير مشاري بن ناصر بن مشاري بن سعود ان يدخل الرياض ويستولي عليها ومعه عدد من الرجال ، ثم أوعز إلى جنوده بالاستعداد للرحيل ، وقدم اليه رئيس حوطة بني تميم وصاحب الحريق برجال اشداء ، ورحل الأمير تركي بجنوده نحو الوشم ونزل في « ثرمدا » فبايعه رئيسها سلطان بن عبد الله العنقري ، ورافقه في جهاده . وحسب الأمير تركي – رحمه الله – للأمر حسابه ، فخشي ان يداهمه ابو علي المغربي على حين غرة ، ويشن عليه حرباً لا قبل له على احتمالها ، فنزل الامام ومن معه بلدة « شقرا » واقام فيها مدة شهر ، ضيفاً بمن معه على عدد من بيوتها ، وهنا قدم ابو علي وجنوده إلى « شقرا » ومنها ارتحلو إلى المدينة المنورة ، ومنها الى مصر .

وفي هذه الاثناء وصل أمير عنيزة يحيى بن سليمان يصحبه

عدد من رجال بلدته ، إلى شقرا وبايعوا الامام على السمع والطاعة وكاتب رؤساء القصيم الامام ثم وفدوا اليه ، وعاهدوه على العمل معه ، وبعد ان اقام الامام احمد بن يحيى بن غيهب أميراً على شقرا ونواحي الوشم ، غادرها إلى الرياض ، وسمح لجنوده بالسفر إلى بلادهم .

مهاجمة أهل نعجان :

لقد ازداد بأس الامام تركي في هذه الفترة ، واشتد ساعده ، واستقرت الحال بقدر الامكان ، وساد العدل جميع المواطنين ، بيد ان جماعة من نواحي الخرج ظلوا على عنادهم وفسادهم ، فجمع الامام تركي جنوده من سدير والوشم والمحمل والعارض والفرع والافلاج ، وقصد بها الخرج ، ونازل أهل « نعجان » فحاربوه ، وتغلب عليهم واحتل بلدتهم ، ولكن رئيس بلدة « الدلم » زقم بن زامل زحف على قوات الامام لأسعاف أهل نعجان ، فنازله الامام بقواته وهزمه إلى داخل بلدته بعد ان قتل من أصحابه عدد كبير ، وحاصر الامام « الدلم » وضايق أهلها إلى أن طلبوا منه الصلح فقبله الامام شريطة ان يصبح مال البلدة له ، وان يخرج زقم ومن معه من داخل القلعة بامان على ارواحهم وقام مندوب الامام حمد بن مبارك بن راشد رئيس حريملا بتنفيذ هذا الصلح ، ورحل الامام بقواته وزقم معه إلى الرياض .

وسارت قوات الامام إلى بلده « السلمية » فاستسلمت اليها ، وارسل الامام إلى كليب البجادي في اليمامة بأن يبايعه ، ففعل ذلك ومعه جميع أتباعه وأهل بلدته ، وأصبحت تلك النواحي تابعة للامام تركي فرحل إلى بلده آمناً مطمئناً .

مصرع مشعان بن مغيليث :

وفي شهر شعبان من هذه السنة أقبلت قافلة من البصرة والزبير برئاسة علي آل حمد « من الزلفى » حاملة كميات كبيرة من البضاعة والقماش والحرير وغيره ، قصد بيعها من أهل سدير والوشم والقصيم والزلفى والعارض ، وما ان وصلت القافلة إلى موقع « جراب الماء » حتى هاجمها مشعان بن مغيليث ابن هذال واتباعه من قبائل عنزة ، واشتبك حماة القافلة معهم بقتال عنيف ، وحسماً لاراقة الدماء استعمل مشعان الحيلة ، فارسل إلى علي آل حمدان بأن يأتيه للصلح ، ففعل ، وما ان وصل حتى اعتقله مشعان ، وانذر جماعة مشعان القافلة بأن أية بادرة تبدر منهم مشيرة إلى القتال ، فانهم يهدرون دم رئيسهم علي آل حمدان فتخاذلوا أمام هذا الانذار ، وسار مشعان وجماعته بالقافلة وما تحمله من أموال ، وأقبل جماعة القافلة حفاة عراة إلى بلدهم .

دخل مشعان وجماعته وما يحمله من أموال ومتاع وسلاح بلدة الغاط وتزوج ابنة محمد السديري ، ثم رحل إلى الشماسية بالقصيم ، وعلم فيصل الدويش بأمره ، فأغار عليه ومعه قوة من مطير والمغاربة والترك وابن مضيان من حرب ، ودارت رحى المعارك بين فيصل الدويش ومشعان ومن معه من قبائل عنيزة ، واسفرت عن مصرع مشعان على يدي رجل من الترك وتغلبت قبائل عنزة في النهاية على قوات فيصل الدويش وقتل من جماعته سعدون بن فراج وغيره ، وغنم فرسان عنزة عدداً من الابل وكميات كبيرة من الامتعة كانت لدى جماعة فيصل الدويش .

انهزام رئيس مكة :

وفي هذه البرهة قام احمد باشا رئيس مكة يتبعه عدد من الاشراف وقوات كبيرة بمهاجمة عسير ورئيسها عامذاك سعيد بن مسلط ، وكان مشهوراً بالصلاح والتقوى ، فوقعت بين الفريقين معارك عنيفة وما ان امعنت قوات احمد باشا في نواحي عسير ونزلت في وادي السرح حتى أرسل الله سبحانه وتعالى البرق والرعد وجادت السماء بالبرد ، فكان يقع على قوات احمد باشا اشد فتكاً من الرصاص ، مما أدى لموت اكثر هذه القوات ، ولم يسلم بروحه إلا عدد قليل ، فانهزموا إلى الحجاز ولم تقم لهم بعد هذه الخارقة قائمة مدة طويلة .

عودة مشاري وحفيد الشيخ :

أقبلت سنة ١٢٤١ ، فاذا بالقدر يسهل السبيل امام مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود ، فتمكن من الهرب من مصر ، ووصل إلى خاله الأمام تركي بن عبدالله في الرياض ، واكرمه الامام واجزل له العطاء واستعمله أميراً على بلدة « منفوحة » كما استعمل الامام تركي عمر بن محمد بن عفيصان أميراً على ناحية الخرج ، وفي هذه الاثناء توفي أمير عسير سعيد بن مسلط فاستعمل الامام تركي علي بن مجثل خلفاً له .

وبعد فترة وجيزة قدم الشيخ العالم المدقق عبد الرحمن بن حسن ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الرياض ، ففرح الامام تركي به كثيراً وعظمه الاهلون وانتفع به الشعب وتفقه عليه عدد كبير

من طلبة العلم ، فارسلهم الامام تركي بن عبد الله قضاة الى مختلف الجهات .

مقتل ابن راشد بالزبير :

وقد كان ناصر بن ناصر بن راشد خرج من بلدة « حريملا » إلى « الزبير » وذلك عندما تمكن الامام تركي بن عبدالله من فتح حريملا ، وفي هذه السنة وقع بين أمير الزبير محمد بن ابراهيم بن ثاقب بن وطبان وبين أهل البلدة مشادة حادة ، بسبب التنافس والتسابق على مقعد الأمارة وكان في الزبير تاجر كبير اسمه يوسف بن زهير ، وكان كريماً جواداً ويملك عدداً كبيراً من شجر النخيل في البصرة وقد توفي عن عدة أولاد اكبرهم يدعى علي ، وراح علي هذا يطالب بالامارة على الزبير وملحقاتها ، واخيراً عمل على تسليمها إلى ناصر بن ناصر بن راشد المذكور لأنه مع عشيرته واقربائه من اصدقائه واعوانه ، ويمكنه ان يدبر الامور ويتصرف بالشؤون كما يحب ويريد .

ولما كان علي بن يوسف بن زهير واسع الاطماع ، فقد أخذ يسعى لايقاع الفتنة بين زعماء ورؤساء أهل حريملا القاطنين في الزبير ، وتمكن من ذلك بان قتل جماعة من آل راشد سليمان بن عبد الله الصميط أحد رؤساء أهل حريملا المذكورين ، فوثب هؤلاء على ناصر بن ناصر بن راشد أمير البلدة وقتلوه ، وبذلك وقعت الفتن بين هؤلاء الجماعات كما سيأتي ايضاحه في مكان آخر .

حركة مريبة في العارض:

وما ان دخلت سنة ١٢٤٢ حتى شعر الامام تركي بحركة مريبة بدت من أهل العارض والمحمل وسدير ، وكان لا بد من تأديبهم ، فأرسل الامام تركي اليهم ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري ابن سعود ومعه قوة كبيرة ، وكان آل عبيد الله من بني خالد قد نزلوا بموقع « حفر العتك » فهاجمهم مشاري بقواته ، وباشر القتال بنفسه إلى ان تمكن من تأديبهم ، واصيب بجروح طفيف ، ثم قفل راجعاً إلى بلده .

وفي الثلث الأول من هذه السنة ارتفعت اسعار الحاجيات بسبب الشح في المطر ، فأدى ذلك إلى وفاة عدد كبير من سكان القصيم وسدير جوعاً ، رغم جميع المساعدات التي قدمها الامام تركي إلى رعيته .

وقد استعمل الأمام تركي ، في هذه الاثناء ، محمد بن عبد الله صاحب « ضرمى » أميراً على « سدير » ونزل هذا في قصر المجمعة .

وفي شهر جمادي الأول من هذه السنة توفي رحمة بن جابر بن عذبي رئيس الجلاهمة من بني عتبة أهل البحرين والكويت ، وكان – رحمه الله – بطلاً فذاً ، ومقداماً جسوراً ، وكان الامام قد استعمله قائداً للقوات البحرية في الخوير والدمام لمحاربة اعدائه في البحرين ومسقط ، فحصلت بينهم وقائع عديدة ومعارك شديدة ، ولما تمكنت قوات الاتراك من تمزيق شمل آل سعود على يدي محمد علي باشا الكبير والي مصر واولاده ، نزل رحمة بن جابر في الدمام ، وعقد الصلح مع أهل القطيف والبحرين ، ولكن المعارك تجددت بينه وبين آل حميد رؤساء الاحساء والقطيف إلى أن صالحوه على جزية من المال يدفعونها اليه ، ولكن سرعان ما انتقض الصلح بين الفريقين ، واستمرت

المعارك في البر والبحر ، وقد اتفق بنو خالد وأهل البحرين والقطيف وغيرهم على منازلة رحمة وقواته ، وتولى قيادتهم ماجد بن عريعر في البر يساعده عبدالله بن خليفة بجنوده من أهل البحرين ، بينما قام احمد ابن سليمان بن خليفة بقيادة سفن البحرين لمهاجمة قوات رحمة البحرية ، مما ارغم رحمة على قيادة سفينته بذاته ، بعد ان خلف ابنه بشر في قصر الدمام لمحاربة قوات أعدائه البرية ، وما ان اتجه احمد بن سليمان ابن خليفة بسفينته صوب سفينة رحمة ووجده يقودها بذاته ، حتى دارت رحى المعركة بين قوات الطرفين رهيبة مخيفة ، وقيل ان ميازيب السفينتين صبت الدماء الى البحر ، لكثرة الضحايا من الفريقين ، وفي هذه الأثناء تفجرت الذخيرة واشتعل البارود في سفينة رحمة ، فاحترقت وتسربت النيران إلى سفينة احمد بن سليمان فاحترقت بدورها ، وراح الذين سلمت ارواحهم من الموت واجسادهم من العطب يقذفون انفسهم إلى البحر ، والذين يحسنون السباحة يتوجهون إلى السفن التي لم تشترك بالقتال ، فاذا كان هؤلاء من البحرين يلتقطهم البحارة ، واذا كانوا من جماعة رحمة يفتكون بهم ، وفي هذه المعارك الحمراء فقد رحمة نهائياً ، ويظن انه غرق في البحر أو قتله أحد جماعة أحمد بن سليمان وقذف بجثته إلى البحر .

وبعد هدوء المعارك البحرية ، ذهب احمد بن سليمان خليفة لى قصر الدمام يرافقه عدد من أهل البحرين فحاصر بشر بن رحمة ثم اخرجه بعد اعطائه الامان واسر جماعته وارسلهم إلى البحرين .

وكان رحمة — رحمه الله — من أهل التقى والورع إلى جانب شجاعته ورجولته ، كما كان يكثر من نظم الشعر الحماسي .

وتحدثنا أخبار نجد الموثوقة : ان اسراباً من الطيور قد داهمت في هذه البرهة بلاد نجد ، وكانت الاسراب على نوعين ، الأول بحجم العصافير والثاني بحجم القنابر ، وراحت تفتك بالمزروعات فتكاً شديداً

دريعاً مدة شهر كامل ، ولم يعهد النجديون في ديارهم مثل هذه الطير وقد سماها السكان « القرقر » وجندوا انفسهم لمحاربتها إلى ان تمكنوا من ابعادها عن اراضيهم .

الإمارة على المنتفق :

وفي هذه السنة ، وقع الخلاف على أشده بين عقيل بن محمد بن تامر وعميه حمود بن تامر وراشد بن تامر بسبب مطامع عقيل بولاية المنتفق ، فحارب عميه حتى ظفر بهما وارسلهما إلى والي بغداد واستقل بولاية المنتفق ، وقد توفي حمود بن تامر في السجن لدى داود باشا إذ اصيب بالطاعون سنة ١٢٤٦ .

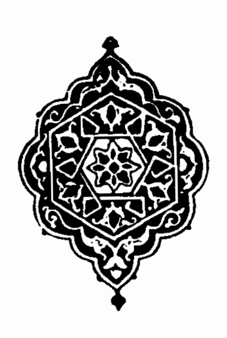
وفي هذه الأثناء عهد الامام تركي إلى محمد بن عبد الله من أهل الاحساء بامارة ناحية سدير .

وفي السابع والعشرين من شهر شعبان من هذه السنة توفي العالم الفقيه الشيخ عثمان بن عبد الجبار بن الشيخ حمد بن شبانة الوهيبي . وقد كان — رحمه الله — من بيت عرف بالعلم والتقى والصلاح . وتولى زمام القضاء مدة طويلة في انحاء شتى من البلاد . وقد استعمله المرحوم الأمام عبد العزيز بن سعود قاضياً في عسير وفي عمان ، وتوفي وهو يشغل منصب القضاء في منيخ .

تأديب بعض العصاة :

وفي سنة ١٢٤٣ تلقى الامام تركي خبراً مفاده : ان عربان هتيم في

ناحية الوشم قد نقضوا العهد وخرجوا على تعاليم الدين الحنيف ، فسار الامام بجنوده نحو الوشم وهاجم هؤلاء العربان فوقعت بين الفريقين بعض المعارك واستشهد من جنود الامام رجلين ومات من العصاة عدد كبير ، وتمكنت قوات الامام من مصادرة اغنامهم ، وتوجه الامام بجنوده ، بعد تأديب هؤلاء العربان نحو القراين لتأديب عربان الدواسر ، ونازلهم قليلاً ، فطلبوا منه العفو ، وكان لهم ما ارادوا بعد ان دفعوا الزكاة عن تلك السنة والسنة التي قبلها ، وسمح الامام تركي بعدها الى قواته بالانصراف ، وعاد هو إلى عاصمة بلاده .



الفصل التاسع عشر

فِتْنَة ٱلزُبَير وَهَرَبُ فَيْصَل مِنْ مِصْر

لقد اشرنا قبل هنيهة إلى الفتن التي وقعت في الزبير وذهب ضحيتها بعض الاعيان والشيوخ ، وايضاح ذلك : ان جماعة من آل الصميط حفروا بئراً في دارهم ، وكان ذلك سبباً لخلاف وقع في الاصل بين سليمان بن عبدالله الصميط وهو من أهل حرمة ، وبين عبد الرحمن بن مبارك رئيس أهل حريملا ، النازلين في الزبير ، وتشاتم الطرفان مما جعل عدد من رجال آل راشد يقتلون سليمان الصميط المذكور ، الأمر الذي أوغر صدر محمد بن فوزان الصميط فكمن في بيت قريب من السوق ، وما ان خرج ناصر بن ناصر بن راشد أمير الزبير بطريقه إلى السوق حتى هاجمه محمد وفتك به

ودري آل راشد واتباعهم .وآل زهير واتباعهم في البصرة فحضروا إلى الزبير ودارت المعارك على اشدها بينهم وبين خصومهم إلى أن قام عدد من العلماء والرؤساء والمشايخ بالوساطة واجتمع الفريقان للصلح ،

وعقد بينهما بصك كتبه محمد بن سلوم الفرضي وضمنه شيئاً من العهود والمواثيق .

وبعد مرور وقت قصير اراد الفريقان من آل راشد وآل زهير نقض صك الصلح مع آل الصميط فلم يقدروا على ذلك إلا بواسطة والي البصرة ، وكان آل زهير وحلفاؤهم اسرع إلى اقناعه بوجوب الانتصار اليهم ، وطلبوا اليه ان يقتل جاسر بن فوزان الصميط وكان رئيساً على أهل حرمة وأتباعهم ، واغدقوا عليه الأموال والعطايا لتنفيذ مطلبهم ، فارسل الوالي إلى جاسر يعلمه بان الرئاسة على بلدة الزبير لا تليق ولا تصلح إلا له ، ودعاه للحضور إلى البصرة ، فركب جاسر من الزبير ومعه رؤساء أهل حرمة وهم احمد بن ضاحي وعودة بن ابراهيم وسليمان بن فداغ وغيرهم ، وركب آل زهير وآل راشد إلى البصرة ورابطوا في نخيلهم سراً ، بينما وضع والي البصرة عدداً من جماعته في كمين للفتك بزعماء آل الصميط ، في السرايا ، وما ان دخلها زعماء الصميط حتى انقض جنود الوالي عليهم بغتة واسروهم ، وخرج آل زهير وراشد من مكامنهم ، واخذوا يسومون اسراهم انواع العذاب ، وقتلوا جاسر بن فوزان ورموه من عالي الجدار ، وانصرف الوالي بدوره إلى تعذيب الاسرى ونهب أموالهم ومنازلهم ، ثم تشتتوا في انحاء الكويت ، ونادى والي البصرة بعلي بن يوسف آل زهير أميراً على الزبير ، وعمت شهرته تلك الديار ، وتمكن في النهاية من عزل عزيز آغا والي البصرة الذي غد بخصومه من منصبه وجعل مكانه صاحب بلدة المصرف درويش آغا ، وبقي علي بن يوسف أميراً على الزبير إلى ان مات في الطاعون ، وتسلم أخوه عبد الرزاق بعده زمام الامارة ، إلى ان فني آل زهير على يدي حلفائهم آل راشد كما سيأتي ايضاحه .

بنو خالد :

وفي هـذه السنة تلـقّى الامام تركي بن عبد الله خبراً مفـاده : ان بني خـالد يستعدون ويجمعون الجنود لمحاربنته ، فاوعز الامـام إلى علي بن عيدان أمير سدير بأن يسير برجال من أهل هذه البـلدة ويدفنون آبار « حفر العتك » و « ام الجماجم » فقاموا بذلك للحيلولة دون اقدام بني خـالد على الحرب ، وبعد وقت طويل حفرت العشائر هذه الآبار لحاجتها إلى الماء .

وفي هذه السنة استعمل الامام تركي الشيخ عبد الرحمن النمـيري قاضياً في سدير واستعمل عثمان عبد الجبار قاضياً في منيخ والغـاط والزلفـى .

الإمام فيصل يهرب من مصر :

لقد كانت هذه السنة « ١٢٤٣ » خيراً ويمنـاً وبركـة على الامـام تركي وقواته وبلاده وشعبه ، فقد تمكن الامام فيصل بن الامـام تركي من الهرب من مصر ، بعد ان ظل اسيراً فيهـا مـدة طويـلة من الزمن ، وقدم على والده في عاصمة ملكه ، فسر به كثيراً ، وفي هذه السنة قـدم وفد عيسى بن علي رئيس جبل شمر على الامام تركي يصحبه رجال من قومه وبايعوا الامام تركي على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، بيد ان عشيرة العجمان ارادت ان تنكث بعهدها ، فسـار الامام تركي بقواته اليها واحسن تأديبها .

وارسل الامام تركي إلى رؤساء القصيم وامرائه بالحضور اليـه ، فهبطوا العاصمة وبايعوه على السمع والطاعة ، وعزل محمد آل علـي

الشاعر عن امارة بريدة وجعل مكانه عبد العزيز بن محمد بن عبد الله ، ولكن الامام تلقى من الاخبار ما جعله يرتاب في اخلاص عبد العزيز المذكور فاحضره اليه وابقاه في الرياض ولم يأذن له بالعودة إلى بلدته إلا بعد ان قويت شوكت الامام .

وفي هذه السنة وفد رؤساء سبيع والسهول والعجمان وقحطان على الامام تركي وبايعوه على السمع والطاعة ، فارسل عماله حيث قبضوا منهم الزكاة واودعها بيت المال .

وما كادت الأمور تستقر بعض الشيء حتى علم الامام تركي بان السويقي وعشائره من الملاعبة « بطن من مطير » النازلين في ارض الصمان يريدون الغارة على قواته ، فتحرك بها إلى أرض الصمحان ونازل هذه العشائر ورئيسها وأخذ أموالهم ، ودري بنو خالد ومطير بذلك ، فخفوا لنجدة الملاعبة وقاتلوا للحيلولة دون انتصار الامام وقواته عليهم ، ولكن هذه القوات بذلت من صدق العزيمة وقوة المعنويات والرجولة الصادقة ما جعل تلك العشائر ترتد خاسرة وعاد الامام رجاله سالمين غانمين .

النهوض بإقليم عمان :

وفي سنة ١٢٤٤ وجد الامام تركي ان الواجب يقضي عليه بانهاض اقليم عمان ، من الجهل والفقر والمرض ، فارسل إلى رؤساء الاقليم يسألهم رأيهم بذلك فطلبوا اليه ارسال قاضياً ومعلماً وسرية من الجند تقاتل معهم عدوهم ، ونفذ الامام طلبهم بارسال عمر بن محمد بن عفيصان على رأس قوة من الجند ، كما بعث اليهم بالقاضي الشيخ محمد ابن عبد العزيز العوسجي ، واستعمل عليهم أميراً عبد الله بن سعود

من أهل القريعية واتخذ هذا الأمير قصر البريمي مقراً له .

ووجد الامام تركي : ان الفتن لا تزال تعبث في نفوس واخلاق العشائر في جهات الوشم ، فاستنفر جمعاً من رعيته في الجنوب وسدير والوشم ذاتها ، وسار يرافقه ولده الأمير فيصل ، على رأس قوة كبيرة نحو الوشم لتأديب تلك العشائر ، فاذا بوباء عرف باسم « ابو زويعة » قد سرى في بلاد الوشم ، ورحل الامام وولده وجنوده إلى سدير ولما وصل إلى وادي المجمعة تفشى هذا الوباء في عدد من قوات الامام فتوفي سبعون رجلا تقريباً بينهم سلطان بن عبد الله رئيس ثرمدا وفوزان ابو شويربات رئيس فخذ البرزان من مطير وولده وبتال المطيري رئيس الجيوش في اقليم عمان ، ونزل الامام تركي خارج بلدة المجمعة والوباء على حاله إلى أن اصرفه الله دون ان يصاب احد من أهل البلدة بشيء منه ، وعندها أوعز الامام تركي إلى ولده فيصل بتأديب عشيرة الصقور من عنزة ، فتحرك اليهم يقود حوالي مائتي هجان واغار عليهم وهم بالقرب من ماء قريب من الدهناء ولكنهم شعروا بخطر هذا الهجوم فتركوا هذه الديار هرباً ، ورجع الامير فيصل بن تركي إلى بلدة المجمعة حيث بقي فيها مدة شهر ثم رحل عنها وسمح لجنوده بالذهاب إلى بلدانهم وعاد هو إلى الرياض .

وفي هذه الاثناء وفد عدد كبير من رؤساء العشائر على الامير تركي وولده فيصل وأعلنوا ولاءهم واخلاصهم للامام وولده .

عزل أمير سدير :

وكان الامام تركي علم بان تركي بن عبدان امير سدير غير مخلص في أعماله فعزله من منصبه وعين مكانه احمد بن ناصر الصانع على

ان يكون ايضاً رئيساً لبيت المال .

وفي هذه السنة توفي الشيخ العالم عبد العزيز بن الشيخ العالم حمد ابن ناصر بن معمر اثناء وجوده في البحرين .

مهاجمة الاحساء :

اقبلت سنة ١٢٤٥ هـ ، والامر يستقر ، مع مرور الزمن ، إلى الامام تركي بن عبد الله آل سعود ، بيد ان الفساد كان لا يكاد يزول مع آثاره من اقليم أو موقع في الديار النجدية ، حتى يعود ويتجدد في فريق من العشائر ، ومنها ان الامام تلقى أخباراً تفيد ان بعض العشائر في الأحساء تمردت ودخلت الوساوس في نفوس قادتها ، فارسل الامام اليهم محمد بن عفيصان واغار على قافلة من العصاة قادمة من بندر « العقير » فأخذها واستولى على ما لديها من الاموال ، وكانت كثيرة جداً .

فناء آل حميد :

وفي هذه الأثناء شن طلال بن حميد هجوماً على أهل حرمة واستولى على أغنامهم وأموالهم ، فهاج أهل البلدة وزحفوا نحو قوات طلال لتأديبها ، ولكن طلالا كان نصب كميناً في الطريق فخرج الكامنون على أهل البلدة وقتلوا منهم ستة رجال وجرحوا عدداً كبيراً منهم ، وقد كانت هذه الغزوة آخر نعيم ابصره آل حميد بعيونهم ، ولم يتمتعوا بعدها بأي عز أو مجد فقد دارت عليهم الدوائر وتجرعوا المر والصاب ! ! !

الفصل العشرون

وقعَة آلشَبيبَة وَآنْهِزَامُ بَني خَالِد

وفي هذه السنة وقعت المعارك الطاحنة بين قوات الامام تركي بن عبدالله آل سعود وبين قبائل بني خالد ، وتفصيل ذلك : ان محمد بن عريعر واخاه ماجد بن عريعر واولادهما قد خرجوا من الاحساء على رأس قبائلهم واتباعهم من بني خالد ، وقصدوا نجداً لمحاربة الامام تركي ، ونزلوا اراضي خفيسة المهجري وهي الخبرا المعروفة بين الدهناء والصمان وراحوا يشربون من ماء « عقلا » القريب منهم ، وقد انضم اليهم فهيد بن مبارك الصيفي رئيس سبيع وضويحي الفغم رئيس الصهبة يرافقهم عدد من بطون قبائل مطير ، ومزيد بن مهلهل بن هذال واتباعه من عنزة ومطلق بن نخيلان رئيس بني حسين يتبعه عربانه .

زحف القوات السعودية :

وما ان علم الامام تركي بن عبدالله آل سعود بأمر هذه القوات الزاحفة لمحاربته حتى جمع جموعه وجعل ولده الأمير فيصل قائداً عاماً لها ، وزحفت عشائر سبيع ومطلق المصخ واتباعه وعساف ابو اثنين واتباعه وضويحي بن خزيم بن لحيان واتباعه من السهول ومحمد بن هادي بن قرفلة واتباعه من قحطان وغيدان واتباعه من آل شامر والعجمان وسلطان بن قويد واتباعه من الدواسر وذلك لمساعدة الامير فيصل في مهمته ، ونزلت هذه الجموع بين بني خالد وبين الماء الذي يشربون منه ، ودارت المعارك الدامية بين الفريقين رهيبة عنيفة لا هوادة فيها ولا لين .

مصرع ماجد بن عريعر :

وتصادم الفرسان والابطال ، تحت خفق الرايات والبنود ، وتزاحمت الجموع والجنود ، وتمترس حملة البنادق وراء الحجارة وراح الابطال على ظهور خيولهم يصولون ويجولون كأنهم رسل الموت ، وقد دامت رحى هذه الحرب الضروس دائرة على عنفها وشدتها عدة ايام وراح الأمير فيصل بن تركي يتشاور مع اصحاب الرأي من رجاله لانزال الضربة الحاسمة في أعدائه ، وفي هذه الاثناء ، ساق الاعداء ابلهم على القوات السعودية من حملة البنادق ، أمل زحزحتهم عن متاريسهم ، فصمد السعوديون أمام هذه الخدعة ، وكان ذلك في اليوم الاول من شهر رمضان من هذه السنة ، فاذا بالبشير يحمل إلى الامير فيصل بن تركي نبأ يقول : ان الموت قد عاجل ماجد بن عريعر ، فاستبشر

السعوديون بذلك ، وأرسل الأمير فيصل إلى والده الامام تركي بن عبدالله آل سعود بهذه البشرى واستنفره للحضور بقوة اضافية ، فركب الامام بشرذمة قليلة من رجاله ، يرافقه حشر بن وريك رئيس آل عاصم من قحطان ، ووصل الامام إلى موقع القتال في العشر الأخير من شهر رمضان ، ونزل مقابل سرداق محمد بن عريعر ، وتجددت المعارك قاسية دامية فتزاحمت جموع العشائر والقبائل وتلاقى الابطال والفرسان والسيوف في ايديهم تقرع الابدان ، وقتل في هذا اليوم مطلق المصخ رئيس سبيع وقتل من بني خالد عدد كبير جداً كذلك نفقت اكثرية مطاياهم واوشكوا على الانهزام .

الانتصار الرائع :

وفي صباح اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان « ١٢٤٥ » حملت الجموع السعودية على جموع بني خالد ، ودار القتال الجبار العنيف وصمد ابطال الحمية ، امام دعاة الانهزامية ، فاذا بجموع بني خالد تتخاذل وتولي الادبار هاربة لا تلوي على شيء ، والجموع السعودية تتعقب آثارها ، ولم ينج من الاسر سوى عدد قليل من مطير تمكنوا من الهرب مع ابلهم ومتاعهم ، واقام الامام تركي وولده فيصل في قصر بني خالد حيث أشرفا على الغنائم والمكاسب فاخذا خمسها لبيت المال ، ثم أقام الامام في الخفيسة حوالي عشرة أيام كتب خلالها إلى رؤساء الاحساء يدعوهم إلى الطاعة والمبايعة ، وكان محمد بن عريعر قد وصل مع بقايا قواته إلى منطقة الاحساء وحصّن قصورها وثغورها وقلاعها ، فأجاب الرؤساء على دعوة الامام بالسمع والطاعة ، وتوجه الامام تركي وقواته إلى الاحساء ، ولما اقترب منها نزل في موقع الحويرات ، وعلم ابن

عريعر وجماعته بذلك فاخذهم الرعب ، وركبوا خيولهم ومطاياهم وانهزموا تاركين النساء والاطفال والاموال مكانها ، فتحرك الامام وقواته إلى الاحساء ودخلها بغير قتال وحل في منزل يقع في اسفل جبل ابي غنيمة ، وحضر زعماء ورؤساء وعلماء واعيان أهل الاحساء إلى الامام في منزله وبايعوه على القيام بدين الله ورسوله والسمع والطاعة .

استسلام ابن عريعر :

أما محمد بن عريعر فقد دخل قصر الكوت وخيوله وبعض انصاره معه ، فأرسل اليه الامام تركي بن عبدالله بأن يخرج من القصر بدون قيد ولا شرط قائلا له : « إذا أردت ان تخرج على احساننا واساءتنا فاخرج » فنفذ ابن عريعر طلبه ، فعامله الامام بالاحسان والاكرام واعطاه ما يحتاج اليه من الخيل والابل والمتاع !!!

ملاحقة المنهزمين :

واصدر الامام تركي أمره إلى عمر بن محمد بن عفيصان بأن يتحرك على رأس جيش من رجاله لملاحقة طلال بن برغش بن حميد والذين هربوا معه من بني خالد ، فأسرع عمر بتنفيذ هذا الأمر وادرك طلالا ومن معه في أطراف الاحساء ، ولما شعر طلال ومن معه من الفرسان بذلك ، أطلقوا العنان لخيولهم وانهزموا إلى جهات مجهولة وتركوا كل ما يحملونه من مال ومتاع فأخذها عمر وعاد بها إلى الامام بينما اقام

الامام وولده الامير فيصل في الاحساء اكثر من اربعين يوماً حيث جمع ما خلفه بنو خالد من أموال ومتاع وغنائم ووضع في كل بلدة وقرية إماماً للصلاة وامرهم بتأديب من يتخلف عنها وحضهم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجهال اصول الاسلام واركانه الخمسة ، واقام عليهم الشيخ عبدالله الوهبي قاضياً ووفد اليه رؤساء أهل عمان وأهل رأس الخيمة وغيرهم ، واستعمل عمر بن عفيصان أميراً على الاحساء ، ثم رحل الامام تركي الى عاصمة ملكه واذن لجنوده بالرحيل إلى بلدانهم .

وفي هذه السنة سار الامام تركي إلى الافلاج ، فقد بلغه ان بعض المواطنين يخالفون تعاليم الدين ، فادب اولئك العصاة وانتظمت الأمور بعدها في هذا الاقليم على احسن حال .

هدية جابر الصباح :

وفي شهر شعبان من هذه السنة ١٢٤٦ توجه الامام تركي على رأس قوة من جيشه نحو الشمال فالتقى بفهيد الصيفي من سبيع ومعه رجاله وجمع من بني حسين وغيرهم وكانوا نازلين بين حفر الباطن والوقبا ، فدهمتهم قوات الامام واستولت على أموالهم ، ولكن رؤساءهم حضروا إلى الامام واعلموه بأن لهم عنده ذمة وعهداً ، فرد عليهم جميع ما أخذ منهم ، ثم سار الامام ونزل في الصبيحية – الماء المعروف قرب الكويت – وأقام فيها اكثر من اربعين يوماً ، واهدي اليه الشيخ جابر ابن عبد الله بن صباح صاحب الكويت هدايا عديدة ووفد اكثر رؤساء العشائر إلى الامام وبايعوه بالسمع والطاعة .

عصيان مشاري وطاعته :

وبينما شؤون الدولة تسير في طريق الاستقرار ، بفضل الحكم الصالح الذي درج عليه الامام تركي بن عبد الله آل سعود ، تلقى الامام نبأ يفيد ان ابن اخته مشاري بن عبد الرحمن قد خرج من الرياض عاصياً ، ويرافقه عدد من أعوانه ، فقفل الامام عائداً إلى عاصمة ملكه ، وسمح لقواته كل بالعودة إلى بلده .

أما مشاري ومن معه من جماعته فقد ذهبوا إلى موقع « المستوى » فوجدوا هناك منديل بن غنيان رئيس عشيرة الملاعبة « بطن من مطير » ومعه قوم من عشيرته ، فاستنصره مشاري لمحاربة الامام ، فابى ورحل مشاري من هذا الموقع وراح يكاتب رؤساء القصيم طالباً مساعدته في قتال الامام ، فأبوا عليه ايضاً ذلك ، وقصد عشائر عنزة لذات الغرض فرفضوا الاستجابة لدعوته ، وهنا ذهب إلى مكة المكرمة مستنجداً بشريفها محمد بن عون فأكرمه ولكنه لم يستمع لندائه في طلب النصرة على الامام . وأقام مشاري لديه مدة اشهر ، ولما عجز عن ايجاد أي نصير له على الامام خرج من مكة إلى المذنب ، وطلب من رؤسائها مساعدته في الوصول إلى خاله الامام تركي في الرياض والحصول منه على عهد بالسماح والعفو عنه وادعى بانه ندم على ما سبق منه ، فكان لمشاري ما أراد وقدم مع عدد من رؤساء المذنب مدينة الرياض ، ودخل على خاله الامام فعفا عنه واكرمه وانزله في بيت خاص .

اعصار ووباء :

وفي آخر شهر ذي القعدة من هذه السنة هب أعصار عنيف ، في

منتصف الليل أطاح بعدد كبير من شجر النخيل ، لا سيما في « سدير »
والغريب ان هذا الاعصار لم يؤثر في النخيل الباسق ، بل اقتلع
القصير منه ! !

وفي هذه الاثناء دهم مكة المكرمة وباء خطير عرف باسم « ابو زويعة »
وهو الذي أشار اليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم باسم « العقاص »
فمات به عدد غير قليل من الاهلين ، ووقف الوباء ، هنيهة ، ثم
تجدد في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها ، فلما كان يوم النحر
— أول يوم العيد الكبير ، — دهم الوباء مكة ثانية واطاح بعدد كبير من
الحجاج ، فلم يبق من الحجاج الشاميين سوى الثلث ومن الحجاج
النجديين سوى النصف ، واباد هذا الوباء من أهل مكة ١٦
الف شخص .

وثبت ان الحجاج الشاميين غندما قدموا المدينة المنورة بعد اداء فريضة
الحج ، أخذ هذا الوباء يفتك بهم فتكاً ذريعاً ، في وقت السحر ،
وخرج أهل مدينة الرسول — صلى الله عليه وسلم — رجالا ونساء واطفالا
من المدينة يتضرعون إلى الله بازالة هذا الوباء فاستجاب لهم ورفع هذا
الوباء الكاسح عنهم .

تأديب عشائر عتيبة :

وفي شهر صفر من سنة ١٢٤٧ علم الامام تركي بان جموعاً
من عشائر عتيبة وغيرها قد اتخذت من عالية نجد مكاناً للاغارة
عليه ، وشق عصا الطاعة ، فأوعز إلى ولده الأمير فيصل بوجوب
الزحف على هذه الجموع • وتحرك الأمير مع عدد من أهل
العارض والجنوب وسدير والوشم وغيرهم ، وهاجموا تلك الجموع

على مـاء اسمـه « طـلال » ورئيسهم كان سلطان بن ربيعان ، فمـا ان دري بزحف الأمير فيصل حتى انهزم بجـماعته ، ولكن الامير فيصل لحـق بهم ونازلهم بجماعته ، وصادف وجود ابن بصل وعشائره على مقربة من ذلك المكان ، ودلف سلطان بن ربيعان اليه مستنجـداً ، فأغاثه على قوات الأمير فيصل ممـا شد من عزم العتبان ، وكروا على قوات الأمير امل دحرهم ، ولكن الأمير فيصل ركب بذاته وكر مع عـدد من شجعان قومه على العتبان وانصارهم ، وراح يقاتل ويناضل شأن الابطـال الصناديد ، مدافعـاً عن ساقـة قواته ، إلى أن تمكن من دحر العتبان ومن معهـم واستولى علـى مـا لديهم من الابـل ، ورحل الى بلدة « القريصة » واذن لجماعته بالعودة كل إلى بـلده .

والي بغداد وإمارة المنتفق :

وفي هذه السنة عين السلطان العثماني محمود خان علي باشا واليـاً على بغداد ، وعزل الوالي السابق داود باشا اذ كان هذا الوالي شغوفـاً بجمـع الاموال وخزنهـا ومصادرة الرجال ، واستحضره السلطان إلى استانبول .

وقد تحدث العالمون : ان داود باشا كان ، إذا عجز عن ايجاد من ينهب أمواله من أهل العراق ، أوثق ولده بالحبال ووضعه بالسجن ، متظاهراً بالغضب عليه ، بداعي انه نهب أموال أبيه .... وفي هـذه الاثناء يوعز الوالي إلى بعض أصدقائه وعملائه فيشيرون على عـدد من الاعيان والوجهـاء بجمع مبلغ من المال يقدمونه هبة إلى داود باشا ، فيفك عقال ولده ، وقـد أصبـح بهـذه الواسطـة ثـريـاً كبيراً .

وذكر في معرض التحدث عن هذا الوالي : انه عثر على خزانة قذف بها في نهر دجلة وتحمل خاتم هرون الرشيد الخليفة العباسي ، وكانت مليئة بالذهب والفضة ، فأضافها إلى أمواله وخزائنه . ومع وفرة ثراء هذا الوالي ، فقد ضرب النحاس كعملة وزعها على الرعايا للبيع والشراء ، واحتفظ بالذهب والفضة ، وكان قد صادر بعض رؤساء بغداد وأخذ مبالغ من أموالهم ، ولما استقر علي باشا في بغداد خلفاً له فك عقال جماعة حمود بن تامر وسمح لهم بالعودة إلى بلدهم ، وعزل عقيل بن تامر عن ولاية المنتفق على ان تكون لوريث حمود بن تامر ، ولما وصل جماعة حمود اجتمع اليهم عدد كبير من الظفير والمنتفق وشمر وغيرهم وجمع عقيل جموعه والتقى الفريقان في الجزيرة قرب السوق واشتبكا في قتال عنيف سقط فيه عدد من القتلى من كلا الطرفين ، وكانت الغلبة أولا لعقيل ثم دارت الدائرة عليه وعثرت به فرسه فقتل ، واستلم ماجد بن محمود بن تامر ولاية المنتفق ، ولكنه لم يلبث طويلا إذ توفي بالطاعون ، واراد اخوته القيام مقامه ولكن عيسى شقيق عقيل نهض وحاربهم ، وكتب إلى علي باشا والي بغداد بانه يريد الولاية لنفسه فسمح له بها ، واستقل عيسى بالولاية لنفسه وعزل اخوة ماجد بن حمود عنها .

الطاعون يفتك بأهل العراق :

أجمع المؤرخون ، في هذه السنة « ١٢٤٧ هـ » انه حدث في اليوم الرابع والعشرين من شهر صفر تغير في الشمس وقت شروقها ووقت غروبها ، وقد شوهد نور يغمر الفضاء بين السماء والارض اشبه بنور القمر واستمر حتى نهاية هذا الشهر من هذه السنة ، أي بقيت

هذه الظاهرة خمسة ايام متواليات ، وفي السابع من شهر ربيع الأول ، تغير لون الشمس ، وفي أول العشر الأخير منه ظهرت الشمس من المشرق خضراء اللون وحسبها أكثر الناس كسوفاً ، وفي هذا الشهر كان الافق يظهر بعد غروب الشمس بلون أحمر شديد ، وكذلك الحال عند شروق الشمس ، واستمرت هذه الحال عدة أيام ، وشوهد قبل انبثاق الفجر حمرة بادية في الافق من جهة الشمال دامت ثلاثة أيام .

وظهر بعد صلاة المغرب في الافق ، في منتصف شهر ربيع الأول من هذه السنة ، حمرة شديدة ، ثم سارت إلى المغرب واضاءت الأرض واخضرت ثم احمرت حتى ظن الناس ان الشمس لم تغرب ، وفي أول ربيع الثاني من هذه السنة اجتمع خمس من الكواكب السيارة في برج الاسد ، وهي : الشمس والقمر والمريخ وزحل وعطارد .

وبعد هذه الظواهر الطبيعية الغريبة دهم وباء الطاعون العراق ، وشمل بصورة خاصة ، السواد والجرة وسوق الشيوخ والبصرة والزبير وانتقل إلى الكويت وراح يفتك بالناس فتكاً ذريعاً مخيفاً ، فأباد عدة قبائل وعشائر ، وأفنى أهل المدن والقرى ، فكان إذا سرى إلى منزل لم يخرج منه وفيه عين تطرف ، وجثث الضحايا في البيوت والحوانيت لا يوجد من يواريها التراب ، فعم النتن الارجاء ، وبقيت الاموال سائبة ، والاغنام وغيرها من الحيوانات ظلت بلا علف وماء حتى نفق معظمها ، ومات عدد كبير من الاطفال عطشاً وجوعاً ، وخر اكثرهم في المساجد صرعى ، فان اهلهم عندما يشعرون بالم هذا الوباء يلقون بهم إلى المساجد رجاء ان يأتيهم منَ ينقذهم ، فيقضون نحبهم فيها ، لأن أحداً من الناس لم يعد يحضر إلى المسجد ، وبقيت البلاد خالية من أكثر السكان ، ولم يأتها أحد من الخارج ، ودامت هذه الحال حتى الخامس عشر من شهر ذي الحجة من هذه السنة ، إلى أن أراد

الله سبحانه وتعالى انقاذ الخلق من هذا الوباء فاوقفه عند هذا الحد ، واغتنم المنهزمون ، واكثرهم من الصلبة وحتيم ، هذه الفرصة ، فدخلوا بلدة الزبير وأطراف البصرة ونهبوا من الاموال ما لا يعد ولا يحصى ، إلى أن تمكن عدد من الذين سلموا من هذا الوباء ، من العودة إلى ديارهم وحموها من اولئك الناهبين السالبين .

وما ان دري أهل نجد بهذه الكارثة الموجعة قد حلت بالعراق ، ولهم فيها أقارب وانسباء ، حتى هرولوا بالاسعاف والنجدة وكان لهذه البادرة الأثر المستحب في النفوس .

وقد توفي بهذا الوباء علي بن يوسف آل زهير رئيس بلدة الزبير والشاعر المشهور محمد بن حمد بن محمد لعبون المدلجي الوايلـي وقد اسلم الروح في الكويت .

بين الإمام ووالي بغداد :

وفي هذه السنة سار الامام تركي بجنوده ونزل موقع « الرمحة » الماء المعروف في العرمة ، وبقي هناك حوالي اربعين يوماً وفد عليه خلالهـا عدد كبير من رؤساء القبائل والعشائر في الشمال ، وقدمت اليه الهدايا ، ثم ورده كتاب من علي باشا والي بغداد يفيض بمعاني الصداقة وارفقه بهدية جيدة ، وقد حملها مع الكتاب حمد بن يحيى بن غيهب رئيس بلدة شقرا ، ثم بعث الامام عماله إلى العشائر والقبائل فقبضوا الزكاة باستثناء عشيرة العجمان فانها امتنعت ، فرحل الامام من موضعه نحوها ، ومـا أن وصل مـاء لجفان حتى علم بـأن هـذه العشيرة عـادت ودفعت الزكاة إلى عماله فقفل راجعاً الى الرياض واذن لقواته بالتفرق إلى بلدانها .

مداهمة اقليم عمان :

وفي سنة ١٢٤٨ علم الامـام تركي : ان بعض البطون من عنزة تكيد له وتتربص بـه الدوائر ، فأمر ولده الأمير فيصل بالسير في قوة مـن جنوده لتأديب هذه البطون ، فهاجم ابن عشيه واتباعه من عنزة وهم في الدهناء وكان النذير وصلهم فهربوا قبل وصول الأمير وقواتـه ، مما أرغمه على الرجوع إلى بلدة « المجمعة » وأقام فيها بضعة أيام جهز خلالها جيشاً لمهاجمة أقليم عمان بعد ان تفشت الفوضى في انحائه وغمر الضلال سكانه ، وأقام الأمير فيصل على هذا الجيش سعد بن محمد ابن معيقيل وكتب إلى عمر بن محمد بن عفيصان أمير الاحساء بأن يركب مع رجاله إلى عمان ، ويصبح أميراً على جميع القوات السعودية الزاحفة على هذا الاقليم ، وهكذا توجهت هذه القوات الى عمان وداهمت عدة مدن وقرى واحتلتها بقوة السلاح ، ثم اقام الأمير في المجمعة عدة ايام رجع بعدها إلى الرياض ، وعادت القوات السعودية إلى أوطانها ، وأصبح اقليم عمان في هدوء وساده الاستقرار !!

ظواهر غريبة في السماء :

وفي هذه السنة شاهد الاهلون ظاهرة غريبة في السماء تبعتها عـدة ظواهر اخرى ، وذلك : ان الافق ، بعد غروب الشمس من كل يوم ، تكتنفه حمرة وصفرة ، من جهة الشرق والغرب . وقد دامت هـذه الظاهرة عدة أشهر . وفي ليلة الثلاثاء التاسع عشر من جمادي الثانية ، تطايرت النجوم ، بعد منتصف الليل ، في السماء كأنها الجراد أو شعلة من نار ، وراحت الشهب تتساقط بكثرة فتضيء الأرض بانقضاضها ،

ويبقى موضع الشهاب حوالي ساعة ريثما يزول ، مما أقلق أفكار الشعب واقض مضاجعه ، وقد استمرت هذه الحال حتى طلوع الفجر فستر ها النهار بنوره .

وتحدث بعض الثقات : انه رأى شهباً تنقض بعد طلوع الشمس ، فكانت تتراءى له كالدخان ! ! !

ظواهر مماثلة وزلزال :

لقد وقعت مثل هذه الظواهر ودوّنها المؤرخون ، ومنها ما ذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء ، كما ذكره صاحب تاريخ « الخميس » قائلا : « انه في سنة ٩٩٩ هجرية ، ما كاد شهر محرم الحرام ينقضي حتى ماجت النجوم وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك حتى الفجر ،وانزعج الناس وضجوا بالابتهال إلى الله تعالى ، ومثل هذا الحادث لم يعرف إلا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وذكر القطب الحنفي في تاريخ مكة المكرمة عندما استعرض ترجمة المتوكل بن المعتصم قائلاً : « وفي أيامه وقعت عجائب منها : ان النجوم ماجت في السماء وتناثرت الكواكب ولم يعهد قط مثل ذلك . ورميت قرية « السويد » في ناحية مصر باحجار من السماء ، فوزن حجر منها فكان عشرة ارطال . وسار جبل في اليمن يحمل المزارع إلى جبل آخر . ووقع طائر دون الرخمة على جبل فصاح : يا معشر الناس اتقوا الله اربعين يوماً ، مرة ، وجاء الطائر في اليوم التالي وصاح بذات القول . فكتبوا بهذا النبأ إلى بغداد مشهدين عليه خمسماية انسان سمعوا صوت الطائر بآذانهم ، وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٢٤١ هجرية » .

وفي هذه الاثناء حصل زلزال شديد ففارت عيون المياه في مكة

فأرسل الخليفة المتوكل مائة الف دينار وأجرى بها عين عرفات .

الإمام يتزوج :

لقد سار الامام تركي في هذه السنة على رأس قوة من رجاله لتأديب فلاح بن جثلين وجماعته من العجمان ومعهم فريق من مختلف العربان ، وهم على ماء « ام ربيعة » في ديار بني خالد ، بيد ان النذر كان سبقه إلى هؤلاء القوم فانهزموا ، ونزل الامام مع جنوده على هذا المـاء وحضر اليه المرضف وأتباعه من بني مرة وصالحوه ، ولما عرف ابن جثلين بذلك أخذه الرعب وأتى الامام مستسلماً فأرسله إلى الرياض .

وتحرك الامام بقواته ونزل موقع « البياض » بالقرب من القطيف ، حيث قدم اليه أمير القطيف عبد الله بن غانم ومعه عدد من الرؤساء ، بعض الهدايا ، ورحل الامام بعد ١٣ يوماً إلى الاحساء حيث تزوج بابنة هادي بن مذود رئيس عربان آل كثير ، وبعد مرور شهر قفل عائداً الى الرياض .

الإمام يعظ القادة والأمراء :

ولما وصل الامير إلى القدير « وثيلان » اوعز الى رؤساء النواحي وامراء الاقاليم بالاجتماع اليه ، وبعد حضورهم وقف فيهم خطيبـاً فذكرهم بنعمة الله عليهم حيث جمعهم بعد تفرقهم وذكرهم بالاخوة بعد العداوة والغنى بعد الفقر ، وأعترف بعد ذلك بنعمة الله عليه وضعفه وعجزه وتقصيره وحقر نفسه ، ثم راح يغلظ القول على الامراء ، وتهددهم

وتوعدهم وحثهم على عدم ظلم الرعية والأخذ منها بدون حق . ثم قال ، « وانكم إذا ورد أمري اليكم بالجهاد ، حملتم الرعية زيادة عما تحمل ، فاياكم وذلك فانه ما منعني ان اجعل على الرعية زيادة فارس واحد إلا الرفق بها ، ولم احملها إلا بعض ما حملها الذين كانوا قبلي والله تعالى يقول : « كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين » .

ثم قال : وإذا ورد عليكم أمري فرحتم بذلك تأكلوا في ضمنه وصرتم كراصد النخل يفرح بشدة الريح لتكثر الساقطة عليه . واعلموا انني لا أبيح لكم أن تأخذوا من الرعايا شيئاً ، ومن حدث منه ظلم على رعيته فليس تأديبه العزل ، بل اجليه عن وطنه » .

وخاطب الامام بعدها رعاياه قائلا : « أي أمير ظلمكم اخبروني به » ، فأجاب أمير بريدة عبد العزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن قائلا : « يا أمير المسلمين خص بقولك ولا تعم به ، فان كنت قد نقمت على أحد منا فأخبره بفعله » . فقال الامام – رحمه الله – . « انما القول فيك وفي أمثالك ، تحسبون انكم ملكتم البلدان بسيوفكم ، وانما اخذها لكم وذللها سيف الاسلام والاجتماع على امام » .

ثم قال : « انتم في حفظ الله وامانه وكل منكم يقصد بلده » ، فرجعوا إلى بلادهم .

وفي هذه السنة توفي فيصل بن وطبان الدويش رئيس عشائر مطير وتولى بعده ابنه محمد زعامة هذه العشائر وكانت كنيته « ابو عمر » .

وفي هذه الاثناء جاء رجل من مصر وادعى بانه خالد بن سعود وهبط مدينة بريدة وتزوج فيها ، واصدر الامام تركي أوامره باكرامه والانفاق عليه من بيت المال ، ولما قدم هذا الرجل العاصمة الرياض شاهده الذين يعرفون خالد بن سعود فانكروه وظهر في حقيقته انه دعي محتال ، ولما علم بانكشاف امره هرب عائداً إلى مصر وقيل ان محمد علي باشا أمر بقتله .

الحرب بين المنتفق والزبير :

استقرت الحال في الزبير ، بعض الشيء ، أثر تلك الحوادث الدامية ، ولكن هذه السنة لم تنقض حتى نهض رئيس اقليم المنتفق عيسى بن محمد ابن تامر وعشيرته وأتباعه ، فشنوها حرباً لا هوادة فيها ولا لين على الزبير وتوابعها وحشد جموعه يتقدمها محمد بن ابراهيم بن ثاقب بن وطان واتباعه من أهل حرمه ، وكان آل زهير اجلوهم عن الزبير ، كما حشد معه عبد الرحمن بن مبارك من أهل حريملا ، ونزلت هذه القوات على الماء المعروف باسم « الدريهمية » وطوقوا الزبير وحاصروا أهلها ، واشتبك الفريقان بقتال شديد سقط فيه عدد من القتلى من كلا الطرفين ، وفي احدى المعارك قتل علي بن تامر عم رئيس المنتفق عيسى ابن تامر ، فاشتدت الحرب عن ذي قبل ، وطال الحصار على المدينة مدة سبعة أشهر ! ! !

وفي هذه الاثناء أراد الشيخ جابر بن عبدالله الصباح أمير الكويت وضع حداً لهذه الحرب فساعد آل تامر وحلفاءهم على جماعة الزبير ، وتفاقم الأمر على آل زهير واتباعهم فيها ، بسبب الغلاء الذي عم المدينة وبسبب نفاد البارود والرصاص .

القضاء على آل زهير :

وفي آخر شهر صفر سنة ١٢٤٩ أرسل عبدالرحمن بن مبارك رئيس آل راشد في الزبير ورؤساء عشيرته إلى محمد بن ابراهيم وعيسى بن محمد بطلب الأمان والصلح على انفسهم وعشيرتهم ، فقبل عيسى ذلك مشترطاً استثناء آل زهير من هذا الصلح ، وقبل آل راشد بذلك ،

وفتحوا الابواب ليلا لقوات عيسى فدخلت الزبير واعتقلت عبد الرزاق آل زهير واخوانه واستولى عيسى على البلدة بأجمعها وصادر جميع املاك وأموال آل زهير وما لديهم من سلاح ومتاع ، ثم أوعز بقتل عبد الرزاق واخوانه فلم يبق منهم سوى واحد استطاع النجاة فقد اختفى في منزل امرأة عجوز ، واقام فيه حوالي شهرين إلى أن علم به متسلم « والي » البصرة فاستدعاه سراً اليه ، ولما علم محمد بن ابراهيم ابن ثاقب بأمره بذل كثيراً من المال إلى أن تمكن من قتله ، وتولى رئاسة الزبير محمد بن ابراهيم بن ثاقب بذاته ، وعاد الذين جلوا عن الزبير إلى الكويت إلى ديارهم ، واستولى بن ثاقب على جميع أموال وأملاك آل زهير سواء كانت في الزبير أو البصرة وما كاد الأمر يستقر له حتى قتل ونهبت أمواله ، وقتل عبد الرحمن آل مبارك كما سيأتي ايضاحه .



الفصل الحادي والعشرون

مَصرَع آلإمَام تركي وَقاتِله مَشارِي

أقبلت سنة ١٢٤٩ ، واقبلت الفتن والقلاقل معها ، فالتزاحم على الملك والسلطان بين امراء ورؤساء القبائل والعشائر كان على أشده ، والدسائس من الباب العالي باستانبول ومن والي مصر علي باشا واولاده كانت على اشدها ، للحيلولة دون الاستقرار في الديار السعودية ، لا سيما في أقليم نجد ، ذلك ان آل سعود كانوا يعملون جاهدين لانشاء امبراطورية عربية تضم دنيا العرب بعد انقاذها من الاستعمار العثماني والاجنبي ، وقويت شكيمتهم ، وامتد سلطانهم حتى شمل تلك الديار والاصقاع ، مما جعل دهاقين الاستعمار – لا سيما الانكليز – ينتبهون لهذا الواقع العربي الخطير ، وكانوا يحرضون الباب العالي على عدم الاستكانة لجهاد البيت السعودي الكريم .

الحرب في اليمن :

وقد كانت القوات العثمانية التركية تمكنت من احتلال عسير والمسع ومخا من أعمال اليمن ، فثارت قبائل هذه الديار وحملت السلاح في وجه الغاصبين المحتلين لانقاذ الوطن من النير العثماني ، واستعدت للموت في هذا السبيل الكريم ، فلبس حوا ألي الفي رجل من عشائر عسير الاكفان استعداداً للاستشهاد في الجهاد ، وتسلقوا جدران سور المدينة لاحتلالها ، فراح الاتراك يفتكون بهم فتكاً مريعاً إلى أن قتل اكثرهم فوق السور ذاته ، بيد ان الباقين تمكنوا من النزول إلى داخل البلدة ، وفتحوا ابوابها أمام بقية القوات المرابطة خارجها ، فتدفقت إلى داخل البلدة وتم احتلالها على أيسر سبيل » وكان رئيسها علي بن مجثل ، وغنم الابطال المجاهدون أموالا كثيرة !!

حيلة مجرمة !!

وعندما أصبح المجاهدون في داخل عسير أقدم جندي تركي إلى عدد منهم وأعلمهم : انـه يوجد في داخل الخان اربعماية صندوق مليئة بالدراهم والقماش والسلاح ، وطلب مرافقته ليريهم هذه الصناديق ، وسار معه فعلا عدد كبير من هؤلاء المجاهدين دون أن يعلموا انه محتال مجرم سفاح ، وما ان أصبحوا في داخل الخان حتى أطلق عياراً من البارود من « طبنجة » كان يحملها على أحد الصناديق فاشتعلت حالا وثارت بقية الصناديق بسرعة غريبة إذ كانت مملوءة بالبارود والرصاص ، فهلك جميع الذين دخلوا الخان ، ومن كان على مقربة منه ، وقد تمكنت بقية القوات المجاهدة من احتلال مخا وما جاورها .

الحرب بين مطير وعنزة :

وفي هذه الاثناء وقعت الحرب بين عشائر مطير وعنزة في موقع « مناخ المربع » وهو ماء معروف بالقرب من بلدة « المذنب » ورئيس مطير عامذاك محمد بن فيصل الدويش الشهير بلقب « ابو عمر » ويساعده اخوه الحميدي .

وقد اجتمعت قبائل مطير ومعها بنو سالم من حرب وقائدهم دياب ابن غانم بن مضيان ومعه سلطان بن ربيعان واتباعه من عتيبة ، وغازي ابن ضبيان واتباعه من الدهامشة من عنزة ، ومزيد بن مهلهل بن هذال يرافقه عدد من آل حبلان من عنزة ، واعتمدوا في سقي مطاياهم وفي شربهم على ماء عين الصوينع .

واما قبائل عنزة ، فكان رئيسها وصاحب الرأي فيها زيد بن مغيليث ابن هذال ومعه قبيلة من آل حبلان وقاعد بن مجلان وقبيلته من الدهامشة والغضاورة من ولد سليان وابن وضيحان وقبيلته من الصقور ، وصحن الدريعي بن شعلان وقبائله من الرولة ويساعدهم بنو علي من حرب ورئيسهم الغرم ، والبرزان من مطير ورئيسهم حسين ابو شويربات ، وعدوان بن طواله وقبيلتة من شمر ، وقد اعتمد هؤلاء في الشرب والسقي على ماء « الثليما » المعروف وتوحدوا امام الفريق الآخر ، وقد تنافرت في هذه الحرب القرابات ، وتباعدت الصداقات !!!

كل ذلك حصل والامام تركي بن عبد الله في شغل عنه ، فقد كان ابن اخته مشاري يعد العدوة لفتنة جديدة عمياء ، وكانت الدسائس تحاك حوله من كل ناحية وصوب !!

لقد استعرت نيران الحرب بين هذه القبائل بشكل رهيب يشيب من هوله الوليد ، وتبارز الفرسان وتنازل الشجعان من الفريقين ، بينما اعتصم حملة البنادق وراء المتاريس المصنوعة من الحجارة ، وطال القتال

حوالي اربعين يوماً دارت الدائرة بعدها على قبائل عنزة فولت منهزمة ، وذلك ان عدداً من فرسان مطير قد ركبوا باربعمائة فارس من اتباعهم يحماون الدروع ، وكروا على جمع من عنزة فكسروه ، ثم حمل فريق آخر على عنزة وساقوا عليها الابل مما أوقع الهزيمة في صفوفها ، وراح رجالها ينهزمون لا يلوي أحدهم على شيء ، ولكن كانت قبائل عنزة تمكنت من سوق اكثر ابلها وأغنامها قبل ان تحل بها كارثة الهزيمة .

وقد قتل من مشاهير مطير في هذه الحرب مطلق بن ضويحي الدويش وولد اسماعيل الدويش وسقط من عنزة عدد من القتلى .

وفي هذا الوقت توفي علي بن مجتل أمير عسير والمع وكان على جانب كبير من الشجاعة والتقى ، وخلفه ابن اخيه عايض بن مرعي .

الفتن بالقطيف :

وبينما الأمور تسير على هذا الشكل بين العشائر والقبائل ، تلقى الامام تركي بن عبد الله آل سعود خبراً مفاده : ان أهل جزيرة العماير قد قطعوا السبل عن أهل القطيف وان قتالا يقع بينهم وبين رئيس القطيف عبد الله بن غانم ، وعليه ، فقد أصدر الامام أمره إلى ولده فيصل بوجوب الغارة على اولئك القوم وتأديبهم ، فسار الامير فيصل من الرياض على رأس قوة من رعاياه ونزلوا على ماء « رمحة » المعروف في العرمة ، وبعد بضعة أيام رحل إلى القطيف وشن هجوماً مفاجئاً على اولئك المعتدين وغنم أموالهم وقتل عدداً من رجالهم ، فانهزموا إلى قصر « قلعة » الدمام والتجأوا إلى أولاد عبد الله بن احمد بن خليفة رئيس البحرين ، وارتحل الامير فيصل بن تركي آل سعود ونزل بالقرب

من « سيهات » وكان بين رئيسها ابن عبد الرحيم وبين ابن خليفة رئيس البحرين اتفاق على محاربة الأمير فيصل آل سعود فرماهم الأمير فيصل بقنابل المدافع وحاصرهم حصاراً شديداً وقطع عددا من نخيلهم ، هذا وآل خليفة يمدون أهل « سيهات » بما يحتاجون لمساعدتهم في الحصا المضروب حولهم ، ولما رأى الأمير فيصل ان القوم قد اتفقوا على الحرب نظم الحصون في القطيف على قواعد سليمة ، فجعل محمد يوسف العجاجي في بلدة « دارين » وسليمان بن سحيم في بلدة « تـــاروت » ومحمد بن نصار المعروف بالدعمى في قصر تاروت ، وجعل ابا مسمار غلام سعود في الفرضة ، وزود هؤلاء الرؤساء بعدد من الرجال الشجعان للذود عن الاوطان مهما كانت الحال .

استشهاد الإمام تركي :

وبينما الأمير فيصل يقوم بهذه الاجراءات الدفاعية ، بلغه نبأ مصرع ابيه الامام البطل الشهيد تركي بن عبد الله آل سعود ، وذلك انه في يوم الجمعة آخر شهر ذي الحجة من هذه السنة ، تمكن مشاري بن عبد الرحمن بن سعود من اغتيال خاله وابن عمه الامام فقد كان مشاري تمكن من الهرب من مصر بعد ان نقله ابراهيم باشا اليها ، ووصـــل الرياض ملتجأ إلى خاله الامام تركي فاكرمه وأعزه وحماه كما ســبق بنا الحديث ، وكان الامام – رحمه الله – قد استقام له الامر في نجد كلها ، وزود مشاري بالمال والسلاح وجميع ما يحتاج اليه ، واستعمله أميراً على « منفوحة » وفي سنة ١٢٤٥ علم الامام تركي رحمه الله بأن مشاري اجتمع إلى بعض ولاة الرعية وعاقدهم على قتله ، فاضطـــر الامام لعزل فئة من اولئك الولاة ، وصفح عن بعضهم ، دون انيكترث

كثيراً بأمر مشاري بلى على العكس فقد زاد في اكرامه ، واعفاه من امارة منفوحة ، مما زاد في حقده على خاله وجعله يستعد للفتك به ، ولما توجه الامام نحو الشمال لتأديب العصاة خرج مشاري من الرياض غاضباً – كما سبق وذكرنا – ولما عاد اليها مع أهل المذنب جعله الامام في بيت المال عند اهله وأنجاله واسعفه بجميع حاجياته ، وفي هذه الفترة تمكن بعض موظفي ديوان الامام من اقناع مشاري بانه أحق منه بالحكم وانه الامير الشجاع ، وان خاله وابن عمه الامام تركي قد انتقص من قدره وقيمته ، وخذله فلذا أصبح القتل أحق به ، هذا والامام تركي في شغل عن هذه المؤامرة ، كثير الحلم على المفسدين ولم يدر في خلده ان ابن اخته قد ركب رأسه واراد الفتك به ، وقد كان الاتفاق تم بين مشاري وبعض خدم الامام على قتله بعد صلاة الجمعة عندما يخرج من المسجد ، ولما ادى الامام صلاة الجمعة خرج على عادته من الباب الواقع جنوبي المحراب وكان هذا الباب اعد في قبلة المسجد لدخول الامام وخروجه منه ، وكان القتلة البغاة قد وقفوا بين الدكاكين وبين القصر والمسجد ، ووقف الامام يقرأ رسالة ، وإلى جانبه الأيسر رجل من جماعته ، وهنا تقدم عبد خادم اسمه ابراهيم بن حمزة من الامام وادخل « الطبنجة » التي كان يحملها في كم الامام وهو غافل عنه ، واطلقها ، فوقع الامام شهيداً يتخبط بدمه الطاهر ، وخرج مشاري من المسجد حاملا سيفه بيده وانذر الناس بالقتل ، وانضم جماعته اليه ، وهنا اتضح للعيان أن المؤامرة قد دبرت بليل .... وقد كان يرافق الامام في تلك الاثناء عبد له يدعى زويد ، فلما شاهد مصرع الامام شهر سيفه وطعن به رجلا من خدم مشاري ، ولما لم يجد من يساعده هرب إلى القصر ، ودخل مشاري في هذه الاثناء إلى القصر حيث اعتقل العبد زويد وراح يدعو الناس لمبايعته بالامامة ، ولما دري آل الشيخ بالحادث المفجع ، اعتصموا في المسجد ، وارسل اليهم مشاري بالمجيء فرفضوا

الخروج إلا بالأمان فكتب اليهم بذلك ، واتوا اليه وبايعوه مكرهين .

كل ذلك جرى وجثمان الامام الشهيد تركي بن عبد الله آل سعود لا يزال في موضعه على الثرى ، فنقل إلى بيت عبده زويد المذكـــور وجهز وصلي عليه بعد صلاة العصر ودفن في مقبرة الرياض آخر ساعة من يوم الجمعة المذكور فكان رحمه الله رحمة واسعة المؤسس الثـانـي للاسرة السعودية .

ثم أمر مشاري بنساء الامام ونساء نجله الأمير فيصل بالخروج من القصر ، فخرجوا ، واستولى مشاري على جميع الخزائن وما فيها من أموال وسلاح وقسم السلاح على خدامه واعوانه ووزع قسماً كبيراً من الاموال والكساء على عدد من جماعته ، واوعز إلى العملاء في الاقاليم بأن يبايعوه وهم في أماكنهم دون المجيء إلى الرياض ، فقد أيقن ان الأمير فيصل لا يجسر على حربه لأن احداً لا يساعده على ذلك .

احتلال الرياض ومصرع مشاري :

لقد تمكن العبد زويد من الهرب من داخـل القصر في الرياض ، وهرول مسرعـاً نحو الاحساء حيث اجتمع إلى الأمير فيصل بن تركي آل سعود ، وأبلغه تفـــاصيل مصرع والده الشهيد ، فكتم الأمر عن الجميــع ، وكان عمر بن محمد بن عفيصان أميراً على الاحساء من قبل المرحوم الامام تركي ، ورغم الحرص الشديد على عدم اعلام احد بمصرع الامام ، فقد سرى بين الناس سريان النار في الهشيم ، وكان كل من الأمير عبدالله بن علــي بن رشيد رئيس جبل شمر والشهير بشجاعتـه وحسن تدبره للأمور ، وعبد العزيز بن محمد بن عبدالله بن حسن رئيس بلدة بريدة وتركي الهزاني رئيس بلدة الحريق وحمد بن يحيى بن غيهب

أمير الوشم وغيرهم من رؤساء العربان – كان هؤلاء إلى جانب الأمير فيصل فاعلمهم بما حدث لوالده الامام وانه لا بد من أخذ الثأر حفظاً للوطن من الدمار ، فنهض هؤلاء جميعهم يتقدمهم عمر بن عفيصان وبايعوا الأمير فيصل بالامامة على السمع والطاعة ، وعلى السير في الحرب معاً ، وتزود الامام فيصل بالمال والسلاح ، ورحل مع جماعته وجنوده من الاحساء ، وفي ليلة الثلاثاء التاسع من شهر محرم الحرام وصل الامام ومن معه إلى مقربة من العاصمة الرياض ، وراحوا يفجرون مواداً من البارود كان لها دوي عظيم ، ومع هذا لم يسمع مشاري بالذي حدث ، وكان يرسل العيون والجواسيس لاستقاء أخبار الامام فيصل ، فيعودون اليه دون اعلامه بشيء ، وهنا أمر الامام فيصل رجاله الذين معه من أهل الرياض بدخول العاصمة ليلا واحتلال الأبراج والبيوت المقابلة للقصر ، بينما أصدر أمره إلى غيرهم من رجاله بوجوب المحافظة على اخوانهم الزاحفين نحو الابراج ، ولما دخل هؤلاء العاصمة وجدوا ابراجها مملوءة بالرجال ، فقد أمرهم مشاري بوجوب احتلالها والسهر فيها ، ولما شاهد هؤلاء الرجال جماعة الامام عرفوهم حق المعرفة وساعدوهم على دخول العاصمة واحتلال الابراج ، واحاطوا بالقصر احاطة السوار بالمعصم ، وأطلقوا النيران من بنادقهم بكثرة ، وصاحوا بالثأر ، فوقع الذعر في قلب مشاري وجماعته ، وتجلت له ولهم الحقيقة واسرعوا إلى إغلاق أبواب القصر ، واعلن مشاري الدفاع حتى الموت ، وفي هذه البرهة كان الامام فيصل قد تمكن من دخول العاصمة ، وكان عدد الذين في داخل القصر مع مشاري ١٤٠ رجلا يتقدمهم سويد بن علي رئيس بلدة « جلاجل » ، وتابع الامام مهاجمة القصر في الليل والنهار ، وقذفه بالمدافع . وفي ليلة الثلاثاء التاسع من شهر صفر من هذه السنة ذهب عدد من رجال القصر إلى إلى سويد بن علي المذكور وطلبوا اليه الاتصال بالامام فيصل وطلب

الامان منه على أنفسهم وما لهم ، فأرسل سويد ، في ليلة الخميس الحادي عشر من شهر صفر المذكور ، إلى الامام فيصل طالباً منه الامان على نفسه وماله ومن كان معه في داخل القصر ، باستثناء قتلة الامام تركي بن عبد الله آل سعود أو من ساعد على قتله ، واستشار الامام فيصل رؤساء قومه بذلك ، فأشاروا عليه باعطائهم الامان لضمان الموجود في القصر من الاموال والسلاح والسلع وغير ذلك ، ونفذ الامام هذا الرأي ، وارسل إلى القصر اربعين رجلا يقودهم احد رجاله عبد الله بن علي بن الرشيد رئيس شمر وبداح رئيس آل جيش من العجمان وعبد الله بن خميس رضيع الامام ، فالقيت اليهم الحبال من داخل القصر ، وصعدوا اليه بواسطتها ، وقصدوا تواً المكان الذي جلس مشاري بداخله ومعه ستة رجال ، ففتكوا بهم جميعاً ، واخرجوا جسد مشاري بعد قطع رأسه إلى خارج القصر ، حيث شاهده جماعة الامام ، ودخل الامام حالا إلى القصر واستقر الحكم له فنشر راية العدل والحق والانصاف والتقى والورع والصلاح في جميع أنحاء بلاده .

معاصر يصف الحادث :

لقد كان المؤرخ النجدي العلامة عثمان بن عبد الله بن بشر من الذين عاصروا هذه الحوادث ، فكتب اليه الشيخ محمد بن ابراهيم بن سيف ، يصف له ما جرى لهم وعليهم من هذه القصة ، فنثبت ما يلي النص الكامل لهذه الرسالة وفيها اليقين من الوقائع :

بسم الله الرحمن الرحيم :

« سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فموجب الخط « اي الرسالة » ابلاغك السلام على التوال ، والسؤال عن الاحوال العوال ، وان خطر المحب بالبال ، وصورتموه بمرآة الخيال ، فانه في أحسن حال ، وأنعم بال ، يحمد الله اليكم على ما اولى من النعم ، وصرف من النقم ، سيما ما يسره الله تعالى من اهلاك اولي البغي والفساد واراحة البلاد منهم والعباد ، فسبحان المتصرف في أحوال عباده بخوارق العادة الجارية على اقداره فيما اقتضاه مراده ، فانه لما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذي الخير صفر نزل من القصر مثنى وثلاثاً ، وذلك بعد تعطل الاسباب الجياد ، وتكاسل الامداد عن الصعود عليهم والجلاد فلما كان يوم الاربعاء ، نزل من القصر احد عشر شخصاً معاً ، فلما رأوا الحال كذلك ، زاد ما بهم من الرعب حتى ظن كل منهم انه الهالك ، فلما جن الليل الحالك ، من ليلة الخميس الحادي عشر من شهر صفر ، أخذ سويد الأمان على من في القصر سوى من قتل أو أمر أو حرض على قتل الامام أو حضر مقتله ، وبقي موقظ الفتنة وثلاثة معه في داخل القصر لا يدرون ، وخفيت عليهم خيانة جندهم حتى أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، فلما تنبه الباغي ومن ذكر معه ، للخيانة ، تيقن ان البغي صرعه ، فكلما صعد مربعة « غرفة واسعة » من القصر رجاء ان يدخلوه قالوا له ارجع ازكى لك ، بل طردوه ، فلما اسلمه اصحابه ذهب ومن معه إلى أذل مكان في القصر « بيت الخلاء » وتخبأ به ، فاصعد جنده الذين في المرابيع قوماً من جند المظلوم « المرحوم الامام تركي » فهبطوا عليه ليقتلوه ، فلم يزالوا بالحرب والضرب يساجلوه ، فقتلوا أصحابه قبله ، وعندما استراحوا منهم توجهوا اليه وجعاوه قبله ، فلما اثخنوه بالجراح المزعجة

طلب مواجهة ابن عمه « الامام فيصل بن تركي » فابوا عليه ، فخرج اليهم مصروعاً بالبغي ، فأججوا فيه الملح « البارود » والرصاص وأخذوا الثأر واستوفوا بالبيض « السيوف » القصاص . نسأل الله تعالى العافية وان يشملنا بلطائف بره الوافية . وجملة من قتل معه وبعده ستة رجال ونزل فيصل القصر واجتمع المسلمون عليه . والله تعالى اسأله أن يجعله هادياً مهدياً محسناً اليه ، والمحب لكم كثير الدعاء والشوق لجنابكم والثناء ، نسأل الله تعالى ان يمن بالتلاق السار ، ويحجب عنا وعنكم الاسواء والمضار والحال كما قال :

إذا تحققتم ما عند صاحبكم من الود فذاك القدر يكفيه
انتم سكنتم فؤادي وهو منزلكم وصاحب البيت ادرى بالذي فيه

جواب ابن بشر :

وقد كتب المؤرخ العلامة عثمان بن عبدالله بن بشر إلى الشيخ محمد ابن الشيخ ابراهيم بن سيف رسالة أجابه بها على رسالته السالفة الذكر فأوضحت هذه الرسالة الجوابية ، ما كان عليه آل سعود من تقى وورع واصلاح ، وما لهم من فضل في اشاعة الدين الحنيف في أرجاء جزيرة العرب ، قال العلامة ابن بشر :

« من الفقير إلى الله تعالى عثمان بن عبدالله بن بشر إلى الأخ المحب الشيخ محمد بن الشيخ ابراهيم بن سيف امده الله تعالى بعنايته ، وافاض عليه سوابغ فضله وكرامته آمين .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد : فورد مشرفكم الشريف وخطابكم العالي المنيف بهذا النصر العظيم لامام المسلمين فالحمد لله رب العالمين . وما ذكرت من اهلاك اولي البغي والفساد ، واراحة العباد

منهم والبلاد ، فهذه سنة الله في الباغين وانتصاره للمظلومين ، خصوصاً من سفك الدم الحرام ، سيما ان كان في الامام ، وقصص الاولين مواعظ الآخرين . وهذا الامام قدس الله روحه هو وعشيرته ، هم الذين أعاد الله بهم الاسلام بعد غربته وفرج الله بهم عن كل مظلوم كربته ، فلما امضى الله عليهم القدر ، ووهى الاسلام بعدهم واندثر ، وعدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمرت في حال الصلاة المجالس وهجرت المجامع والمدارس ، وسلّ سيف الفتنة بين الانام ، حتى ان الرجل في جوف بيته لا ينام ، اظهر الله من بيتهم هذا الامام الهمام ، فبذل جهده في نصر هذا الدين واجتماع شمل المسلمين ، وجالد عليه بالسيف والسنان ، وصبر على مقاساة أهل الطغيان من عساكر الترك والروم ، ومن وازرهم من أعوانهم من القوم حتى خمدت الفتنة وطفيت نارها وتقشع دخانها وغبارها فاجتمعت به الأمة بعد افتراقها وحقنت به الدماء بعد اهراقها ، وهابه الاقصى في حجازها وعراقها وهو مع ذلك في تواضعه كرجل من عامة المسلمين يلبس مثلهم في اللباس ، ومثلهم على الراحلة إذا ركب الناس ، ابوابه لا تُرد ، وحجابه لا تَرد ، ويكافحه الجافي فيرد عليه احسن رد ، وتوقف المرأة والضعيف للحاجة فيقضي ولا يصد ، فصار المسلمون به مبتهجين وباخلاقه مسرورين ، وفي اوطانهم آمنين . ثم جاء هذا من مصر وحيد ليس معه خدم ولا عبيد ، فقام له الامام اتم القيام ، وانعم عليه احسن الانعام ، واعطاه الخيل والسلاح ، وخال فيه الصلاح واستعمله أميراً على بعض رعيته ، ثم لم يكفه إلا أن أراد الفتك به فكف الله عنه يده وخرج مستصرخاً من بلده . ثم رجع إلى الامام ، لما يعلم منه من عدم الانتقام والصفح عن أهل الاجرام ، فوافاه بالصفح الجميل وأعطاه العطاء الجزيل ، وهو مع ذلك يحفز لوثبه ويؤلف أعوانه وحزبه ، فلما آثر الحياة الدنيا وظن ان القصر هو المأوى وثب على الامام وسفك

الدم الحرام ، فلما أسلمه للمنون ، أخرج من قصره ارحامه الادنون ، وجعل مكانهم ما تعلمون . أيحق لمن هذه أفعاله ان ينصر أو يكون والياً على هذا المنكر . كلا والله وقد قال الله : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا وليه سلطاناً فلا يسرف في القتل انه كان منصورا » . قال ابن كثير رحمه الله ينصر شرعاً وقدراً ، وفي الحديث : ما من مذنب احرى ان يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » . وقال الحكماء : من سلّ سيف العدوان أغمد في رأسه . وقيل : ما اجتمع الملك والبغي في سرير الا خلا . وقيل : لكل عاثر من راحم إلا الباغي فان القلوب مطبقة على الشماتة بمصرعه ، وما اعطى البغي احداً شيئاً إلا أخذ منه أضعافه . ولما اتانا الخبر بقتل الامام ونحن قادمون بلد القريعية وراجعون من الحج ، ماج الناس بعضهم فوق بعض وضاقت بما رحبت عليهم الأرض ، وبلغت القلوب الحناجر وظن انه يقع بين الناس التشاجر ، فقلت لهم : والله ليلينّ فيصل وليجعلن الله له سلطاناً ، كما وعد به سبحانه وانزل به قرآناً . وبعد ما الفينا البلد وكثر الهرج ، ذكرنا لهم سنة الله في الاولين ثم اقسمت لهم على نصره تصديقاً لرب العالمين فالحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وليس يا اخي رزء اعظم من هذا النازل ولا مصاب اعظم من هذا الخطب الهائل الذي صدع اصار القلوب وأفاض الدموع من القرب بمصاب الامام الشهيد أسكنه الله غرف الجنان وافاض عليه شآبيب المغفرة والرضوان ، فيا له من امام ما أوفى ذمامه وقائم بنصر الاسلام ما احسن قيامه لكن على الموت سلفت الأمم وجرى بمحتومه القلم ، فما مات أحد قبل أجله الذي قدر له وما تقدم عنه وما تأخر وزن خردلة ولو كان من الحمام ملجأ أو وزر لكان أولى بذلك سيد البشر صلى الله عليه وسلم ، فان كان جرى من العيون عيون عند حدوث الحادث فقد قرت الاعين عند انتصار الوارث جعل الله هذه هي خاتمة الفجائع وجعل نجله السعيد

في أمان من الحدثان وجنى بمزيد لا يشوبه نقصان والسلام » .

فمن نص هاتين الرسالتين نتثبت من صحة الوقائع التي استشهد بها الامام الشهيد تركي بن عبد الله آل سعود ، ومنهما نتبين الأثر الذي تركته هذه الفاجعة لدى الرأي العام ، ونعرف المدى الذي خلفه وراءه ذلك الجاني مشاري في اقدامه على اغتيال خاله ، فجعل الأمة في وجل من جريمته إلى أن تدارك الله البلاد والعباد بولده الامام فيصل رحمهما الله .

سيرة الإمام تركي :

كان الامام تركي بن عبد الله آل سعود – رحمه الله – شجاعاً مقداماً ، ومجاهداً في سبيل الله . وقد افتتح بلاد نجد واستولى عليها بالسلم والحرب ، بعد ان كان سكانها يضربون أعناق بعضهم ، وكان أمير كل بلدة شاهراً سيفه لمحاربة البلدة التي تليه فجاهد حق الجهاد حتى طاعت له البلاد والعباد ، وبايعوه على السمع والطاعة .

مولد الأمير جلوي :

وعندما احتل ابراهيم باشا بلد الدرعية انسحب الامام تركي منها ليلا وقصد آل شامر من بادية العجمان واقام عندهم وتزوج ابنة عيدان بن جازع بن علي ، فولدت له ولداً سماه « جلوي » لانه ولد أثناء جلاء والده عن دياره ، وأخذ المرحوم الامام الشهيد يتنقل بين

القبائل والعشائر إلى أن نزل بلدة « الحلوة » في الفرع ، وعندما أراد الله اعادة الحق إلى أصحابه ، رحل الامـــام تركي بشرذمة من رجال « الحلوة » الى بلدة « عرقة » وحارب القوات التركية والمصريـــة كما سبق ذكره ، إلى أن تمكن من استرداد بلاده وانقاذ امته .

والامير جلوي ابن الامام تركي هو والد المرحوم الأمير عبد الله بن جلوي ، وجـدّ الأمير سعود بن عبد الله بن جلوي أمير منطقة الظهران حاليـاً .

صفات الإمام تركي :

لقد كان الامام الشهيد تركي ذا رأي ثاقب وشجاعة وفطنة وبراعـة وحلم واناة ، متواضعاً لليتامى والمساكين ، في هيبة جعلها الله عليه ، ومحبة في القلوب مصروفة اليه ، وأعاد الله ، على يديه ، ابهة الملك ، ورفع شرف آبائه الصيد وأعمامه الميامين ، وكانت اليتامى من كل بلد تأوى إلى قصره ، وكـل ارمـلة وفقير وبائس يرى عنـده الاحسـان ميسوراً . وكان يتولى الباسهم الكسوة بيده تواضعاً ، ولا يقدم اليهـم الطعام إلا بحضرته ، وكان لا يخل بمواعيد الدروس الدينية واجتمـاع المسلمين ، وفي كل يوم خميس واثنين يخرج من قصره فيجتمع الناس اليه ، وكان العالم المقدم في ذلك المجلس الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وأما سيرته في غزواته التأديبية ، فانه إذا علم بخروج فئة او عشيرة أو قبيلة على قواعد الدين ، أو أعلنت العصيان . فانه يكتب إلى أمراء البلدان ورؤساء العشائر ، ويقطع لهم يوماً معلوماً من شهر معلوم . ثم يجهز أدوات الحرب والقتال قبل حركته بخمسة عشر يوماً ، يظهر بعدها

رايته ، حيث توضع بالقرب من باب قصره مدة يومين أو ثلاثة أيام ، ثم يخرج يوم الخميس أو يوم الاثنين من قصره ، وقد وقف له الفرسان من بنيه وآله وعشيرته ورجاله على خيولهم ، وفي هذه الاثناء يبتهل جميع سكان العاصمة إلى الله بأن يجعل التوفيق حليفه والنصر قرينه ، ويودعونه فيبذل لهم العطاء ، ثم تنهض القوات المقاتلة وراءه فيسير إلى المكان الذي عينه لأمراء البلاد فيجتمعون فيه ويسير بهم ، وكان ينزل للراحة قبل غروب الشمس ويرحل قبل شروقها ويقيل وقت الهاجرة ولا يرحل حتى يؤدي صلاتي الجمع « الظهر والعصر » فاذا وصل إلى اعدائه شن عليهم الغارة الشعواء ، وقاتل الرجال وترك النساء والاطفال والشيوخ حتى ينتصر على اولئك القوم المذنبين ويعيدهم إلى الحظيرة .

وكان أهل كل بلدة يبنون لهم مسجداً ويجتمعون لصلاة الجماعة على الامام القائم ، وبعد فراغه يصلي امام ثان بالمتخلفين عند المتاع وحراس الابل وغيرهم ولا يصلي احد منفرداً .

وكان المسلمون يجتمعون عنده للدرس فيقوم العالم الذي لديه بوعظهم وارشادهم ، ويقرأ عليهم كتب التفسير والسير ، وفي بعض الاحيان يقرأ عليهم من علوم السياسة الشرعية للشيخ ابن تيمية ومن كتب الحديث .

وتأتي وفود العربان اليه فتلقى منه الاحسان ويفرق عماله على مختلف الجهات ، إلى مختلف البلدان فيقبضون الزكاة على الوجه المشروع ، حتى إذا ما فرغ من مقاصده رجع إلى عاصمته واذن لاهل النواحي بالرجوع إلى ديارهم .

رسالة من نصائحه :

وكان الامام تركي بن عبد الله آل سعود – رحمه الله – آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر كثير النصائح لرعيته ، ونورد فيما يلي رسالة من نصائحه ، كان فيها من الداعين إلى الله المجاهدين في سبيل الله قال رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم . من تركي بن عبد الله إلى من يراه من المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : موجب الخط « الكتاب » ابلاغكم السلام والسؤال عن احوالكم والنصيحة لكم والشفقة عليكم والمعذرة من الله الذي ولاني امركم والله المسؤول ان يتولانا واياكم في الدنيا والآخرة وان يجعلنا ممن إذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر واذا أذنب استغفر ، والله تعالى منعم يحب الشاكرين ووعدهم على ذلك المزيد ، قال تعالى : « واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » ، فالذي اوصيكم به تقوى الله في السر والعلانية . قال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فاولئك هم الفائزون » وجماع التقوى اداء ما افترض الله وترك ما حرم الله واعظم فرائض الله بعد التوحيد الصلاة ، ولا يخفاكم ما وقع من الخلل بها والاستخفاف بشأنها وهي عمود الاسلام الفارقة بعد الكفر والأيمان من أقامها فقد أقام دينه ومن ضيقها فهو بما سواها اضيع وهي آخر ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه وهي آخر ما يذهب من الدين ، وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة . وبعض الناس يسيء في صلاته ، واحد يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده أو في نخله « بستان نخيله » هو ورجاجيله والمسجد جار له . وفي الحديث : « لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد » وهمّ النبي صلى الله عليه وسلم ان يحرق على المتخلفين بيوتهم بالنار لولا ما

فيها من النساء والذرية ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « لقد رأيتنا وما يتخلف عنا الا منافق معلوم النفاق » وهذه امور ما يخفاكم وجوبها لكن الكبرى عدم انكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس ان كلا ذنبه على جنبه ، وفي الحديث « لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق اطراً أو ليعمنكم الله بعقابه » وكذلك الزكاة بعض الناس يبخل بها أو يستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله وانتم تعلمون انها من اركان الاسلام ، قال تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب وفضة لا يؤدي حق الله منه إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار واحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله اما إلى الجنة واما إلى النار » . ثم ذكر عقوبة مانعها من الابل والغنم وكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب صاحبه ونصاب الزكاة تفهمونه وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره صاحبه ولو كان من زرع قد زكى اذا حال عليه الحول وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة أو تمراً أو اثمانها كلما اعد للتجارة تجب فيه عند الحول ويزكيه صاحبه والله تعالى يبتلي الغني بالفقير وطلب منكم اليسير فمن اداها فنرجوا الله تعالى ان يقبلها منه ويخلفها عليه من مكر بها فالله خير الماكرين وكذلك الربا تفهمون انه من أكبر الكبائر وان مرتكبه محارب من الله ورسوله . قال تعالى « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله » . وقال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من

المس » .... الآية . وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه فلعنهم سواء » فدل هذا الحديث ان الرضى بالمعصية معصية وان من لم ينكر على العاصي كالمرابي فهو مثله . وفي حديث آخر : « الربا سبعون بابا ايسرها مثل من ينكح امه » . وفي الحديث ايضاً « اربعة حق على الله الا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا وآكل مال اليتيم بغير حق والعاق لوالديه » . وفي حديث آخر : « ما ظهر الربا والزنى في قرية الا اذن الله بهلاكها » . ومن انواع الربا بيع الطعام بالطعام إلى اجل وبيع الملح بالطعام قبل القبض وبيع الذهب بالفضة والفضة بالذهب والتفرق قبل القبض . وفي الحديث : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح يداً بيد وزناً بوزن كيلا بكيل فمن زاد أو استزاد فقد اربى الآخذ والمعطي ، فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم اذا كان يداً بيد » ومنه القرض الذي يجر منفعة ، وفي الحديث : « كل قرض جر نفعاً فهو ربا » وكذلك قلب الدين بالدين على المعسر اذا كان في ذمته دراهم فعجز عن وفائها اسلمها اليه بطعام وهذا يشبه ربا الجاهلية ، اما ان تقضى واما ان تربى وكذلك بيع العينة وهي حرام إذا كان عند رجل سلفة فاشتراها منه انسان إلى أجل ثم اشتراها منه صاحبها الذي باعها بنقد بدون ثمنها ، وانواع الربا لا يمكن حصرها فيلزم على المسلم الذي له معاملة ان يفهم انواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه ، والجاهل يسأل العالم والخطر عظيم يسخط الرب ويمحق المال فاستعينوا بالله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ، وكذلك المكاييل والموازين وانا ملزم كل أمير ان يحضر مكاييل بلده وموازينها وينظر فيها لابعاد الخلل وتكون على مكيال واحد وتفقدوا الناس في كل شهر ، ولا يحل بخس الميزان ولو كانت المعاملة مع ذمي كما في الحديث « أد الامانة إلى من ائتمنك ولا تخن من

خانك » وكذلك تفقدوا الناس عن المعاشر الردية والذين يجتمعون على شرب التتن « التبغ » والنشوق به ، وكل أهل بلد يرتبون مجالس للدرس في المجامع ، فان كانت خاربة يعمرونها والذي يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه لنا وانا آذن للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر إذا كان عن علم ينصح أولا ويؤدب ثانياً ومن عارضه من خاص أو عام فأدبه الجلاء عن وطنه . هذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر وانا اشهد الله عليكم اني بريء من ظلم من ظلمكم وأنا نصرة لكل صاحب حق وعون لكل مظلوم « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، واعزكم بعد الذلة وجمعكم بعد الفرقة وكثركم بعد القلة وامنكم بعد الخوف وبالاسلام اعطى الله ما رأيتم والسلام » .

وبعد ، ارأيت إلى هذه النصيحة ما اسماها ، وما انفعها وما ابعد صوابها عن الخطأ والضلال ؟

أليست كل جملة ، بل كل كلمة منها تساوي مجموعة من دساتير الأمم العريقة في المدنية والمجد والسؤدد ؟ وهل سمع الانسان من ملك سلطان أو أمير ، مهما علت مكانته ، وتسامت فضائله بنصيحة اشتملت على مثل هذه الاحكام والدعوة إلى الله والشفقة على عباد الله ؟

إن مثل هذه النصائح كان يبعث بها الامام الشهيد تركي ابن عبد الله آل سعود في كل سنة ، إلى كل ناحية من نواحي ملكه العتيد ، وعلى هذه الخطة درج خليفته الامام فيصل ابن تركي عندما تسلم زمام الامامة اثر مصرع ابيه تغمدهما الله بواسع رحمته .

قضاة وأمراء الإمام تركي:

ولقد كان – رحمه الله – يعنى عناية خاصة بانتقاء القضاة والامراء الذين يمثلونه في أقاليم ملكه الوطيد ، لتكون رعيته في نجوة من الظلم والاجحاف وحاصلة على حقوقها كاملة غير منقوصة . وكان امراؤه على الاقاليم كما يلي :

١ – عمر بن محمد بن عفيصان أميراً على الاحساء .
٢ – عبد الله بن غانم – القطيف .
٣ – سلطان بن صقر رئيس القواسم – عمان .
٤ – عبد الله بن الحصين على وادي الدواسر ثم استعفاه وجعل مكانه محمد بن عبد الله بن جلاجل .
٥ – محمد بن الأمير صاحب ضرمى على سدير ثم عزله وجعل مكانه محمد بن عبدان من أهل الاحساء ، فلما توفي صار مكانه أحمد بن ناصر الصانع وكان ايضاً وكيلا على بيت المال .
٦ – يحيى بن سليمان بن زامل على عنيزة ثم عزله وجعل مكانه محمد بن ناهض .
٧ – عبد العزيز بن عبد الله بن حسن على بريدة وبقية القصيم.
٨ – صالح بن عبد المحسن بن علي على جبل شمر .
٩ – حمد بن يحيى بن غيهب على الوشم ثم جعله أميرا على سدير وجعل مكانه على الوشم محمد بن عبد الكريم البواردي .
١٠ – علي بن محمد بن عفيصان على الخرج .
١١ – يحيى بن ساري على المحمل ثم عزله وجعل مكانه عبد الله ابن دخيل .

القضاة في الأقاليم :

١ – وكان قاضيه على الرياض الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٢ – الشيخ عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الخرج .

٣ – الشيخ سعد العجيري على حوطة بني تميم ولما توفي جعل مكانه الشيخ علي بن حسين ثم رجع إلى الرياض وجعل مكانه الشيخ عبد الملك بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

٤ – الشيخ جمعان بن ناصر على وادي الدواسر .

٥ – الشيخ محمد بن مقرن على المحمل .

٦ – الشيخ عبد الله الوهيبي على الاحساء .

٧ – الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابا بطين على الوشم .

٨ – الشيخ عبد الله بن سليمان بن عبيد على سدير وبعد وفاته نقل اليها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابا بطين فكان يقضي شهرين في سدير ثم يعود إلى الوشم ، ثم جعل مكانه الشيخ عبد الرحمن بن حمد النميري .

٩ – الشيخ عثمان بن عبد الجبار بن شبانه على منيخ والغاط والزلفى ولما توفي جعل مكانه ابنه عبد العزيز .

١٠ – الشيخ قرناس صاحب الرس على القطيف .

١١ – الشيخ محمود الفارسي على القصيم .

وكان الامام – رحمه الله – يبعث إلى جبل شمر وعمان والقطيف قضاة يقيمون سنة أو نحوها ثم يأذن لهم بالرجوع إلى ذويهم في بلدهم .

فيصل إمام البلاد:

ما ان قتل مشاري واعوانه ، وانتهت هذه الحادثة عند هذا القدر ودخلت سنة ١٢٥٠ ، حتى كان الامام فيصل قد تربع على اريكة الأمامة خلفاً لوالده الامام الشهيد تركي بن عبد الله آل سعود ، ووزع العدل بين الرعية ، وكان - رحمه الله - سر يلتجيء في الشدائد اليه ، وثقة به في كل نازلة يرجوه ويعول عليه ، وكان قد حفظ القرآن المجيد على ظهر قلبه وهو صغير ، وحافظ على تلاوته والتهجد به شاب وكبير ، ولقد تعرض ، في حياته لمصائب كثيرة ، ورزايا عديدة ، فسلمه الله تعالى منها ، ونجاه من أخطارها ليوطد الملك خلفاً لوالده الامام الشهيد ، وقد كان أباً لاربعة أولاد ، هم الامراء : محمد وعبد الله وسعود وعبد الرحمن ، ولما استقر بالامام الجديد المقام ، راح يعظ الناس ويحضهم على طاعة الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتب إلى قضاته بالحضور اليه ، فقدموا وهنؤوه بما بلغه الله ، وأقاموا عنده مدة شهر ، ثم كتب إلى رعيته النصيحة التالية .

نصيحة الإمام فيصل :

بسم الله الرحمن الرحيم : من فيصل بن تركي الى من يراه من المسلمين . سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : فموجب هذا الخط (اي الداعي إلى هذا الكتاب) ابلاغكم السلام ، لا زلتم في خير وعافية والذي اوصيكم به تقوى الله في الغيب والشهادة والعمل بما يرضيه ، وتجنب معاصيه ، والمعاداة والموالاة فيه . قال تعالى .

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » الآية : واهم الأمور تعلم ما فرض الله سبحانه من معرفة أصل دين الاسلام واركانه وواجباته ومعرفة شرائعه ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة ، وقوام ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا بد في كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الامر كما قال تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وقال تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير » الآية . وانا ملزم كل من يخاف الله سبحانه وتعالى ويرغب في الفلاح ان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وان يكون الآمر مراعياً للشروط في ذلك بأن يكون عليماً فيما يأمر به . عليماً في ما ينهى عنه والزم كل أمير أن يكون عوناً لهم وهم خاصته في الحقيقة عوناً له على ما حمله الله من الامانة ويكون لديكم معلوم اني واضع الجوائز عن المسلمين الحادر منهم والظاهر إذا كانوا معروفين باداء الزكاة من اموالهم الظاهرة والباطنة وهي راجعة اليهم على الوجه المشروع ان شاء الله تعالى والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين والاجتماع عليه وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة وما في التفرق من الشر في أمر الدين والدنيا . أسأل الله تعالى ان يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية في الدنيا والآخرة » .

رؤساء البلاد يبايعون الإمام :

وبعد ذلك وفد أمراء البلاد ورؤساء القبائل والعشائر على الامام فيصل بن تركي آل سعود فهنؤه وبايعوه ، فأقرهم في مناصبهم وأعطاهم وحباهم وكساهم ، واقر القضاة على اعمالهم واذن لهم

بالرجوع إلى بلدانهم ، وامر على عماله ان يخرجوا مع الرؤساء لقبض زكاة عربانهم فركب مع كل رئيس قبيلة عامله لهذا الغرض .

الخلاف مع الدواسر :

وفي هذه السنة ، وقع بين أهل وادي الدواسر خلاف شديد ، وخشي الأمام مغبة الأمر ، فأصدر أوامره إلى الاقاليم بوجوب الاستعداد للقتال ، ودلفت القوات السعودية إلى الرياض ، وأصدر الامام أمره بتعيين أحمد بن عبد الله عياف قائداً عاماً لهذه القوات وتحرك بها إلى بلدة « اللدام » حيث اشتبك الفريقان بالقتال ، واقام احمد ابن عياف مع قواته في هذه الجهات مدة شهر حيث تمكن من تأديب العصاة ، واقبل رؤساء أهل الوادي إلى الرياض فبايعوا الامام فيصل على السمع والطاعة .

وما كاد الوضع يستقر بعض الشيء في هذا الوادي حتى علم الامام ان فريقاً من الدواسر قد شقوا ايضاً عصا الطاعة ، فتحرك الامام بذاته ، على رأس قوة من جيوشه ، ومعه ابراهيم بن سيف ، واغار على هذا الفريق من « الدواسر » وكانوا ينزلون في أرض « العرمة » فادبهم واحسن تأديبهم ، ثم نزل الامام بقواته بالقرب من بلدة » ثمير « حيث وافته قوة اخرى من جنوده ، فتحرك من هذا الموقع إلى بلدة « الشعرا » حيث عقد اجتماعاً حضره رؤساء العشائر والقبائل ، بعد صلاة العصر ، ودرسوا معاً الموقف من جميع وجوهه ، ثم أوفد الامام عماله لقبض الزكاة من العربان ، فبلغه ان « ابن الدجما » وعربانه ، من قحطان ، قد هربوا ورفضوا دفع

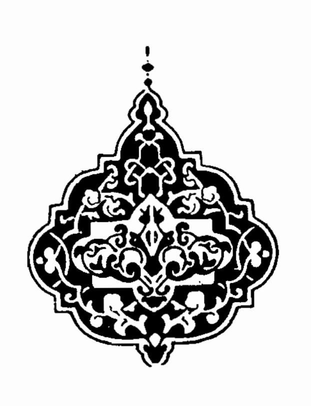
الزكاة ، فركب بقوة اليهم وقاتلهم ، وقتل منهم حوالي ستين رجلا وغنم الجنود السعوديون عدداً وافراً من الابل والغنم ، ثم رجع إلى مكانه في « الشعرا » ، وهنا وفد اليه رؤساء العربان بينهم محمد بن فيصل الدويش رئيس مطير ، ومحمد بن قرملة رئيس قحطان وغيرهما ، ثم اتى اليه وفد من أهل وادي الدواسر وطلب اليه العفو والصفح عن ما جرى منهم فعفا عنهم جميعاً وبايعوه على دين الله ورسوله وارسل معهم أميراً عليهم من قبله .

ابن الرشيد أمير الجبل :

دخلت سنة ١٢٥١ هجرية والامام فيصل بن تركي لا يزال في بلدة الشعرا ، فعزل صالح بن عبد المحسن بن علي عن امارة جبل شمر وعين مكانه عبدالله بن علي بن الرشيد وبعث معه الشيخ عبد العزيز بن عثمان ابن عبد الجبار قاضياً للأقليم .

ولما وصل عبد الله المذكور إلى حائل عاصمة جبل شمر كثر القال والقيل واشتدت الفتن بينه وبين صالح بن عبد المحسن بن علي المذكور واعوانه من آل علي ، فادت الحال إلى اصطدام الطرفين في يوم الجمعة داخل المسجد ، واشهر الفريقان السيوف على بعضهم ، ولكن المصلين حجزوهم وفرقوهم في داخل المسجد ، وخرج صالح واتباعه منه إلى قصرهم ، فحشد ابن الرشيد رجاله حول القصر واخرجوا صالح وجماعته بالامان وشرّدهم من ديارهم ، وهدم قصرهم ، ثم التجأ صالح وجماعته إلى بلدة « بريدة » وكتب عبد الله بن الرشيد إلى الامام فيصل يخبره

بالذي وقع وزعم ان آل علي هم الذين بادروه بالشر ، فصدقه الامام ، مما شجع ابن الرشيد على استئصال هذا البيت ولحق بافراده حتى ابادهم في اقليم القصيم ! !



الفصل الثاني والعشرون

حمْلَة مصْرِيَّة جَدِيدَة وَٱحتِلَال ٱلرِّيَاض

لقد كانت بعض القوات المصرية لا تزال مقيمة ، طيلة هذه المدة ، في مكة المكرمة ، واستفز الطمع الشريف احمد بن عون ، لاحتلال اقليم عسير ، وكانت صلته بالباب العالي العثماني وطيدة الاركان ، ويتلقى تعليماته منه باستمرار ، فتحرك هذا الشريف ومعه احمد باشا على رأس القوات المصرية المرابطة في مكة ، فملأت السهل والجبل ، وما كادت تشرف على اقليم عسير ، حتى أرسل الشريف إلى أهل الاقليم بانه لا يريد بهم شراً ، ولكنه يطلب اليهم دفع رسوم الطاعة ، فاذعنوا لهذا الطلب حقناً للدماء . وتقدمت القوات المصرية كأنها الجراد المنتشر ، واحتلت ثغور الاقليم ومراكزه المهمة ، وتمكنت من البلاد ، وهنا أظهر قائد الحملة حقيقة نواياه ، فقد راح الجنود يطلبون المال ... والنساء ... الأمر الذي أغضب الشعب ، فتنادى زعماء الاقليم ، وقرروا محاربة القوات المصرية مهما كانت النتائج ، وكما خدعهم قائد الحملة ،

فقد استعمل قادة الاقليم ذات الاسلوب اذ اعلنوا ان الشعب حضر مع النساء والاطفال ليلعب ويلهوا ولا يريد القتال ، واقدمت الجموع بالغناء والطبول ، والقوات المصرية لا تحرك ساكناً ، فما عتمت حتى داهمها أهل عسير بحملة موحدة صادقة ، وراحوا يفتكون بها فتكاً ذريعاً ، مما اذهل القوات المصرية فولت الأدبار منهزمة لا تلوي على شيء بعد ان سقط منها عدد كبير من القتلى ناهيك عن الجرحى ، وغنم الأهلون سلاحها ومدافعها وأموالها ، ولم يبق من تلك القوات الغازية سوى ١٥٠ رجلا قصد الشريف ابن عون واحمد باشا بهم مكة ، وارسل أمير عسير إلى الامام فيصل عدداً من مدافعهم وسلاحهم وخيولهم ، وانتدب أهل كل بلدة من عسير لقتل من بقي حياً من القوات المصرية ، وهكذا كان ، خشية استفحال أمرهم ...

وحيال هذه الهزيمة ارسل محمد علي باشا صاحب مصر إلى شريف مكة محمد بن عون وإلى احمد باشا بالحضور اليه ، ففعلا ، وما ان وصلا مصر ، حتى اعتقل محمد علي باشا الشريف واعاد احمد باشا إلى مكة ثانية ، وقد استعمل محمد علي باشا هذا الاسلوب باستدعاء الاثنين خشية ان يتمرد شريف مكة على الحضور لو استدعاه محمد علي باشا لوحده .

مهاجمة الديار النجدية :

وفي هذه الاثناء وصل دوسري بن عبد الوهاب ابو نقطة إلى الرياض قادماً من قبل محمد علي باشا ، وكان ابراهيم باشا نقله معه إلى مصر أثناء زحفه على نجد وهدمه الدرعية ، وقد بقي دوسري في مصر إلى هذا الحين ، واراد محمد علي باشا أن يكون وسيطاً بينه وبين الامام

فيصل آل سعود ، وطلب منه أن يبلغ الامام بوجوب ارسال الخراج اليه ، كما أراد مطالب اخرى ، وكان محمد علي باشا قرر مهاجمة الديار النجدية مجدداً بقيادة خالد بن السعود ، فارسل الامام اخاه جلوي إلى رئيس مكة احمد باشا يحمل هدية ثمينة ، قدمها اليه ، واقام جلوي في مكة ريثما أدى فريضة الحج ثم رجع إلى دياره ، وكان ذلك لكسب بعض الوقت ! !

وفي هذه الفترة علم الامام فيصل : ان بعض العربان في « روضة التنهات » الواقعة في الدهناء قد امتنعوا عن اداء الزكاة فتحرك بقواته نحوهم ، وما ان علم رؤساء هؤلاء العربان بوصوله حتى توافدوا عليه فأرسل معهم رسله لقبض الزكاة ، والى هذا الموقع وصل الامير جلوي شقيق الامام ، فعاد الامام إلى دياره ، واوفد خادمه خير الله مملوك سعود وعدداً من رجاله إلى القصيم وقبضوا الزكاة من العشائر وفي مقدمتها عنزة وفي هذه الاثناء أمر الامام بتعيين الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابي بطين قاضياً على هذه البلاد ومدرساً لطلبة العلم !

وبينما الامور تسير على هذه الوتيرة دخلت سنة ١٢٥٢ وفيها اطبقت القوات المصرية مع اسماعيل آغا وخالد بن سعود على ميناء الينبع ، وعلم الامام فيصل بذلك وان عدد أفراد القوة يقدر بحوالي الفين من الرجال بين فارس وراجل ، واراد الامام ان يسبر اغوار هذه الحملة فأرسل إلى قائدها رسولا اسمه محمد بن ناهض الحربي (كان رئيساً لقصر بسام) يحمل هدية نفيسة وطلب الامام اليه الوقوف على حقيقة اغراض هذه القوة ولما عاد الرسول اطلع الامام على هذه الحقيقة وتلخص في . ان محمد علي باشا صاحب مصر يريد مهاجمة البلاد ، فاستشار الامام رؤساء المسلمين في الزحف على هذه القوات أو عدمه ، وكان عبد الله بن علي بن الرشيد رئيس جبل شمر حاضراً لديه واشار

على الامام بالنفير العام والزحف لملاقاة المعتدين والنزول في القصيم قبل وصولهم اليه ، خشية ان يلتحـق أهل هذا الاقليم بالعدو الزاحف .

وتنفيذاً لهذا الرأي ، استنفر الامام رعيته في الاحساء والجنوب والوشم وسدير ، وركب في آخر شوال من هذه السنة ، من الرياض ، ونزل مع قواته في موقع الخفيسة « ماء معروف بالدهناء » وبعد تنسيق هذه القوات تحرك الامام بهـا إلى موقع الصريف « ماء معروف قرب بلدة التنومة » في القصيم حيث اقـام مدة شهر ، وكان خالد بن سعود واسماعيل آغا وقواتهما قد وصلوا إلى بلدة الرس ، فرحل الامـام وقواته إلى بلدة عنيزة واستنفر أهلها ، وكان أميرها يحيى بن سليمان أول من لبى نداءه وركب مـع الامام إلى بريدة حيث استنفر ايضـاً هلها فركب معه أميرها عبد العزيز بجميـع رجاله ، وتحركت هذه القوات مجتمعة إلى رياض الخبرا فأقاموا حوالي عشرين يوماً دون أن يحصل اي قتال مع القوات الغازية .

وفي هذه البرهة كتب الامام إلى أهل بلدة « الشنانة » مستنفراً اياهم ، فطلبوا اليه ارسال سرية من جنده اليهم فأوفد مائة مطية يتقدمها زويـد العبد ، وما ان وصل البلدة حتى علم ان اميرها في بلدة الرس ، ورفض الاهلون قبول المطايا معتذرين بعدم وجود أميرهم ، فعاد العبد رويد مع المطايا إلى الامام فيصل ، واستشار أهل الرأي من رجاله بالموقف ، فأشاروا بأن يرسل اثقاله من طعام وشراب وذخيرة وغير ذلك إلى بلدة عنيزة ثم يرحل بقواته الصامدة ، خفيفة الحمل ، إلى منازلة العشائر التي انضمت إلى القوات المصرية الغازية ، ويعود بعدها إلى بريدة أو إلى عنيزة !

الإمام ينزح عن الرياض :

نفذ الامام فيصل هذا الرأي بحذافيره ، مما حمل قادة الحملة على الظن بأن هزيمة قد منيت بها قوات الامام الأمر الذي أوقع البلبلة في الصفوف ، وجعل الامام يجنح إلى الحزم ، فاوعز إلى طائفة من رجاله بوجوب تهدئة الخواطر بأي شكل كان وتأديب من انهزم ، إلى ان استقرت الامور في نصابها ، وعند طلوع الفجر ركب الامام فيصل بقواته نحو عنيزة ، وذلك في الرابع والعشرين من شهر ذي الحجة من هذه السنة ، وكان لا بد من استشارة قادة الرأي في الموقف مجدداً ، فأشاروا بالرحيل وان يعود الامام إلى بلده ، وليقضي الله بعدها ما يريد من تدبيره ، ورحل الامام من عنيزة واذن لأهل النواحي من قواته بالرجوع إلى أوطانهم وقصد بذاته الرياض ومعه أهل الخرج والفرع ومحمد بن قرملة رئيس قحطان فاذن له بالرجوع إلى بلده حين وصل بلدة ثادق ، ووصل الامام إلى الرياض ونزل في خيامه خارج البلدة ومعه أهل الخرج وغيرهم ، وفي اليوم التالي دخل الامام المدينة فرابه أمر سكانها ، وبعضهم جاهره بالعداوة فراح الامام يهيء أمواله وسلاحه المدخر في القصر للنزوح به ، ولكن عدداً من رجال المدينة دخلوا عليه وارادوا منعه عن عمله ، فاستعان برشوتهم ، وقبلوا بها ، وتمكن بذلك من اخراج جميع ما يحتويه القصر من مال وسلاح ، ووضعه ، في خارج البلدة ولحق به حوالي اربعمائة فارس من رجاله الابطال وقصد ناحية الخرج ! !

احتلال الرياض:

لقد اقام الامام ومن معه في الخرج حوالي عشرة أيام حيث تمكن

فريق من أهله من اللحاق به يحملون ما تبقى من أمواله ، ونزح بهم جميعاً إلى الاحساء ونزل في « الرقيعة » واستقبله عمر بن عفيصان ورؤساء الاحساء وبايعوه على النصرة والقيام معه في كل مكروه ، وكان ذلك في آخر عاشوراء وشهري صفر وربيع الاول من سنة ١٢٥٣ ووفد عليه رؤساء العربان من مطير والعجمان والسهول وسبيع وغيرهم لنصرته بدون قيد ولا شرط .

ما كاد الامام فيصل يتحرك من عنيزة حتى أوعز اسماعيل آغا وخالد بن سعود إلى الجنود المصريين بالسفر اليها ، وما ان وصلوها حتى اغلق سكانها الابواب في وجوههم ونازلوا القوات المصرية بقسوة وعنف ، ثم عقدوا الصلح مع قادتها ، وخرج امير البلد يحيى ورؤساء سكانها إلى خالد واسماعيل ، وفي هذه الاثناء وصل أمير « بريدة » عبد العزيز واعلن طاعته ، وتبعه بقية أهل القصيم .

ودخلت سنة ١٢٥٣ ، فأوعز اسماعيل آغا إلى يحيى بن سليمان أمير عنيزة ورجاله معه بالذهاب إلى جبل شمر يصحبه عيسى بن علي رئيس الجبل السابق ، وركب معهم ابراهيم مساعد قائد الحملة المصرية وبصحبته اربعمائة فارس وذلك لمداهمة عبد الله بن الرشيد في بلده واعتقاله ، ولكن انباء هذه الحملة كانت قد وصلت اليه فهرب من حايل قبل وصولها ، ودخل قائد الحملة البلدة ونزل في القصر بمن معه وعلم بالواقع ، الأمر الذي أرغمه في النهاية على ترك البلدة وابقى فيها مائة رجل من الجند المصري ، وفي هذه الاثناء قدم رؤساء أهل الرياض على خالد بن سعود في عنيزة وبايعوه ، وأعلن أهل نجد طاعتهم له باستثناء أهل الخرج والفرع ومن والاهم ، وفي يوم السبت السابع من شهر صفر من هذه السنة دخل خالد بن سعود واسماعيل آغا العاصمة الرياض ونزلا في القصر ونزل الجند خارج المدينة ، وقدم رؤساء البلدان اليها فأعلنوا الولاء

الطاعة لهما ، وارسلوا إلى الهزاني وأهل الحوطة بالقدوم اليهم واعلان الطاعة فرفضوا ذلك شريطة ان يمنع جند مصر عنهم فيعلنون الطاعة ، فقرر اسماعيل آغا وخالد منازلة هؤلاء ونهب اموالهم وابادتهم .

محاولة تأديب أهل الحوطة :

لقد أوعز اسماعيل آغا إلى الحدادين بصنع الفؤوس والقواريع وامر بالزحف على أهل الحوطة وتركي الهزاني أمير الحريق ، وكتب خالد ابن سعود إلى أهل البلاد مستنفراً اياهم لقتال هؤلاء « الخوارج » في نظره ، واستعمل أحمد بن محمد السديري أميراً على سدير وكان رجلا عاقلا سمحاً جواداً محبوباً لدى الرؤساء ، وسار غزو أهل الوشم بقيادة أميرهم محمد بن عبد الكريم البواردي وغزو أهل المحمل وأميرهم حمد ابن مبارك ، ولم يتخلف سوى أحمد السديري ، واستنفر خالد بن سعود أهل الرياض والحقهم بخدامه وهم نحو اربعمائة رجل ، ثم ركب هو واسماعيل آغا بالجنود المصريين وساروا على الرياض في أول شهر ربيع الثاني من تلك السنة فلما وصلوا إلى الخرج ركب معهم فهد بن عفيصان واجتمعوا عند ماء « الخفس » للتشاور ، فأشار ابراهيم المعاون بجمع الغرائر واملائها تبناً وتراباً وبدفن حفر اعدائهم (أي خنادق الدفاع) وبأن تكر القوات عليهم كرة واحدة . بينما اشار مضفي المريخي رئيس عربان بريدة بالذهاب إلى بلدة « الحلوة » ومداهمة أهلها ، واخراجهم منها واحتلالها وعندها يعلن جميع أهل الحوطة والحريق طاعتهم ويأتون صاغرين ، واجمعوا على هذا الرأي وساروا من الخفس وهم سبعة آلاف مقاتل من المصريين والموالين نحو الحلوة وكان أهلها قد أخرجوا نساءهم وابناءهم إلى الحوطة ، وقد شاء الله ان يفقد قادة الحملة صوابهم فضلوا

الطريق السالك نحو البلدة وساروا في طريق آخر أوصلهم إلى أرض حرة قرب البلدة ، وكان الشيخ عبد الرحمن بن حسن والشيخ علي بن حسين والشيخ عبد الملك بن حسين والشيخ حسين بن حمد بن حسين ابناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، قد غادروا الرياض عندما دخلتها القوات المصرية الغازية وقطنوا في بلدة الحوطة وبلدة الحريق ، وكان الاهلون يعودون اليهم بكل أمر جلل ويعملون برأيهم ، ولما أقبلت تلك القوات الغازية نحوهم عقد الاهلون مؤتمراً تعاهدوا فيه على محاربة الغزاة وأتباعهم من أهل البلاد ، وتبع أهل الحريق أميرهم تركي الهزاني كما تبع أهل الحوطة أميرهم الفارس البطل ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم رئيس آل سعود وفوزان بن محمد رئيس آل مرشد وتبع أهل نعام رئيسهم زيد بن هلال ، وتبع أهل الحلوة رئيسهم محمد بن خريف ، وصعد أهل الحلوة الجبل لقتال القوات الغازية ، ودارت المعارك من الصباح إلى ما بعد الظهر وقام أهل الحريق واهل الحوطة باسعاف أهل الحلوة واشتد اوار المعركة وعظم وقعها على القوات الغازية ، بينما قام عدد من أهل تلك المنطقة وزعمائها بالقرب من الخنادق التي حفرت لقطع سبل النجدة عن القوات المصرية . هذا وأهل الحلوة وانصارهم في ميدان المعركة الحمراء ، إلى أن تمكنوا من دحر الغزاة المعتدين ، ولم يقف صناديد أهل الحلوة الا عند الجبل الشمالي حيث أقبل تركي الهزاني بجمع كبير ضرب به ميمنة القوات المصرية المنهزمة ، وأقبل البطل الشجاع ابراهيم بن عبد الله بجموعه من أهل الحوطة ضارباً بهم ميسرة العدو وهي في رأس الجبل تحمل المدافع فاستولى عليها وقذفها من رأس الجبل . وتابع أهل الحلوة زحفهم في أعقاب الذين دخلوا البلدة ودارت بين الفريقين معارك تشيب رأس الطفل الوليد وانتهت باندحار المعتدين !

لقد اسفرت هذه المعركة العنيفة عن انهزام الاعداء بفقد عدد

كبير منهم ، وسلم خالد بن سعود ولحق به اسماعيل آغا ومعاونه وشرذمة من الخيالة ، وغنم أهل الحوطة جميع الأموال والسلاح والخيام وغيرها مما كان لدى الحملة المعتدية ، وذلك في الخامس عشر من شهر ربيع الثاني من هذه السنة ، وعاد خالد واسماعيل إلى الرياض ومعهما حوالي مائتي فارس فقط ، وتمكن الاعراب من الهرب على مطايا القتلى من القوات المصرية ، وكان معهم فهد بن عفيصان قائداً للغزاة من أهل الخرج ، فهرب في الليل ، ووصل إلى بلده ودعا سكانها إلى الخرج لكسب ما تبقى لدى بقية الحملة المصرية ولكن شراذم من أهل نجد التقت بهم وأعادتهم إلى ديارهم .

الإمام فيصل يهاجم الرياض :

لقد كان اسماعيل آغا ترك في قصر الرياض حوالي مائتي جندي من المصريين والمغاربة ، ثم رحل إلى الحوطة ، ولما علم الامام فيصل بالهزيمة التي لحقت بالحملة المصرية ، وهو في الاحساء ، خرج منها ، بجميع قواته ، يتقدمها رجال عشيرته ووصل إلى الخرج ، وأمر أهلها بالمسير معه ، وارسل إلى أهل الحوطة والحريق والفرع مستنفراً اياهم ، فلبوا نداءه يتقدمهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن ، وداهم بهذه القوات عاصمة ملكه الرياض ، وما ان وصل بها المصانع حتى برز امامها خالد بن سعود وبعض أهل الرياض العاملين في صفوف قادة الحملة المصرية وما تبقى من جنود هذه الحملة ، ودارت المعارك بين الفريقين قاسية عنيفة ، وكان الامام فيصل وضع فريقاً من قومه بشكل كمين ، فما ان اشتدت الحرب ، حتى برز الكمين واعمل ابطاله سيوفهم في المعتدين والخوارج ، إلى أن ولوا الادبار ، بعد ان سقط

منهم عدد كبير بين قتيل وجريح ، وانهزم من أهل الرياض نحو مائتي فارس ومعهم عدد من جنود الحملة المصرية قاصدين بلدة منفوحة ، ذلك لأن بعضاً من رجال الامام حالوا دون دخولهم الرياض ، وقد داهمهم الامام في تلك البلدة واعطاهم الامان فخرجوا اليه مع أهل البلدة وبايعوه على السمع والطاعة .

ثم عاد الامام ونازل أهل الرياض وطوقها جنوده من كل حدب وصوب ، بعد ان نزلوا في بيوت النخيل ، وكان ذلك في اليوم الأول من شهر جمادي الآخرة من هذه السنة .

واستدعى الامام فيصل المجاهدين من أهل المحمل وسدير ، فلبوا دعوته يتقدمهم رؤساؤهم وقضاتهم ، بينما رابط خالد بن سعود واعوانه في داخل العاصمة وسدوا ابوابها بالطين ، ونظموا الحاميات العسكرية للدفاع في قلب العاصمة من اهلها فقط ، يتفقدهم « آغا » من « اغوات » الحملة المصرية ، وشددوا الرقابة جداً على رجال هذه الحاميات خشية استسلامها لقوات الامام ، ودامت هذه الحال مدة طويلة ، رغم وجود قوات كبيرة لدى الامام ، ورغم ما يتمتع به من سيرة عاطرة ومزايا لا تحصر ولا توصف ، وفي طليعتها كرمه المطلق ونفسه الشمّاء ، وقد تمكن من فرض الحصار على العاصمة بقوة وعناد كبيرين ، إلى ان استنفد سكان العاصمة وافراد الحملة المصرية واتباعهم جميع المدخر من وسائل العيش ، إلى درجة انهم اكلوا عدداً كبيراً من خيول الحملة . وضاقت السبل في وجه خالد بن سعود واعوانه فامروا بهدم البيوت الخاصة باعوان الامام فيصل واوقدوا أخشابها ، وضاقت صدور أصحاب العاصمة بكثرة المخاليق الذين لا يستفاد منهم في الحرب وهم اغراب عن العاصمة ، ففتحوا لهم بابها واخرجوهم منها ودام القتال بين الفريقين حتى اليوم السابع من شهر شعبان من السنة ، أي حوالي شهرين وسبعة أيام .

مداهمة العاصمة بالتسلق :

لقد رأى الامام فيصل – رحمه الله – ان الحرب طالت على المجاهدين من رجاله الابرار ، فجمع رؤساء حملته وشاورهم بالأمر ، فأجمعو على وجوب مداهمة العاصمة بالتسلق على أسوارها وجدرانها بواسطة السلالم ، مهما كانت النتائج ، ونفذ الامام رأيهم ، ووضعت المفارز المجاهدة السلالم على الاسوار والجدران ، وتسلقها الكماة المغاوير وراحوا يعملون بها هدماً ، ولكن رجال الحملة المصرية واعوانهم هاجموا هؤلاء الأبطال من كل حدب وصوب ودارت المعارك بين الفريقين ضارية فأسفرت عن عودة المجاهدين السعوديين إلى مكانهم ، بعد ان استشهد منهم عدة رجال !!

ومما زاد في حراجة موقف المجاهدين : ان فهيد الصيفي رئيس عشيرة سبيع وصل على رأس قوة من عشيرته ، لمساعدة خالد بن سعود وحشد معه قاسي بن غيهب وعربانه من قحطان ، وشنوا الغارة على الامام فيصل وجنوده امل ارغامهم على النزوح عن الرياض ، فلم يفلحوا بذلك ، وارسل الامام اليهم رسالة طالباً فيها نزوحهم عن العاصمة ، فلم يلبوا طلبه ، وهنا كان لا بد للامام من تدبير الأمر ، فلما كان آخر الليل في اليوم الثاني عشر من شهر شعبان من السنة ذاتها ، رحل الامام وقواته إلى منفوحة .

فشل مفاوضات الصلح :

شعر خالد بن سعود واركان قواته بأن الوقت إذا طال لا يكون في مصلحتهم ، فارسل إلى الامام فيصل طالباً عقد الصلح ، وفي السابع

عشر من شعبان التقى خالد بن سعود بالامام ، في مكان يقع بين الرياض ومنفوحة ، وطال الاجتماع من الظهر حتى المساء ، دون الوصول إلى نتيجة ، ذلك لأن أهل نجد لم يقبلوا بولاية الاتراك ولا اتباعهم ، ودارت الحرب مجدداً بين الفريقين .

وفي آخر شهر شعبان ارسلت عشائر سبيع وقحطان كميات من المواشي إلى الرياض ، فاغار عليها بعض الفرسان من المجاهدين اصحاب الامام ، ولكن القوات المرابطة في الرياض استردت المواشي بعد قتال عنيف دار بين الطرفين .

وفي اليوم الثاني عشر من شهر رمضان اضطر سكان العاصمة للوقود واخرجوا عدداً من رجالهم لقطع الحطب ، فأغار عليهم رجال الامام ، والتحم الفريقان بقتال مرير سقط فيه من الطرفين عدة قتلى بينهم بداح الفارس المشهور وهو من عشيرة العجمان ومن اخلص المخلصين للامام .

نجدات مصرية للرياض :

وفي آخر رمضان أقبل ابن عمران السبيعي من القصيم ومعه خمسة عشر رجلا من قومه ومن جماعة خالد بن سعود ، وكان ابن عمران هذا يعمل ساعياً لقادة الحملة المصرية بين الرياض والقصيم ، فبذل الامام جهده ليحول دون وصوله إلى خالد ولكنها ذهبت سدى ، وكان ابن عمران يحمل مبالغ كبيرة من المال لجنود الحملة المصرية خراجاً لهم ، فلما وصل إلى سبيع وهم في أرض « عشيرة البلد » المعروفة في سدير ، ركب معه فهد الصيبفي وقاسي بن عضيب ومعهما ثلاثمائة هجان وخمسة وعشرون فارساً ، وتمكن هؤلاء جميعاً من دخول

الرياض في اليوم الخامس من شهر شوال واقاموا فيها ستة أيام ، تشاور بعدها خالد بن سعود واساعيل آغا واعوانها في كيفية وصول النجدات اللازمة لهم من القصيم ، وكانت هذه النجدات وصلت اراضي القصيم ولكنها تحيرت في المسير إلى الرياض خشية من الامام وقواته ان يلقاها في الطريق قبل وصولها الرياض ، وقد استقر الرأي – بعد التشاور – على ارسال المعـــاون ابراهيم الصيبفي واصحـــابه إلى القصيم فيتولون نقل النجدات المذكورة إلى الرياض ، ونفقذوا هذه الخطة بحذافيرها ، وما ان وصلوا إلى القصيم حتى جاءتهم الاخبار تفيد : بأن خورشيد باشا مع الشريف عبدالله صاحب الينبـــع قد اقبلا ومعهما هدايا ثمينة ورسائل إلى الامام فيصل وانهما تمكنا من حمله على الاقلاع عن الحرب بعد ان وعداه بتقرير وتثبيت ملكه ، ولما لم يحصل فهيد الصيبفي ومن معه على نتيجة في القصيم رحلوا جميعهم إلى جبل شمر .

التقاء الشريف بالإمام :

ولما كانت تلك الأخبار صحيحة ، فقد وصل الشريف عبد الله إلى منفوحة في شهر شوال من هذه السنة ، حاملا معه تلك الهدايا والرسائل إلى الامام فيصل ، وراح يتودد اليه ويعده ويمنيه وقرر الامام في سريرة نفسه الوصول إلى عمل حاسم ، فرحل عن منفوحة في أول شهر ذي القعدة ، ونقل جميـــع ما يملكه في الرياض من خزائن وغيرها ، واذن لأهل النواحي بالرجوع الى أوطانهم ، بينا قصد هو الخرج ونزل في بلدة « الدلم » ومعه اهل الفرع وعمر بن عفيصان واتباعه وعبد الله بن عفيصان وعدد من الرجال المخلصين له ، وفي اول شهر ذي الحجـــة ارسل اخاه جلوي حاملا الى خورشيد باشا وهو في المدينة المنورة هدية

من الخيل والمطايا العمانية ، ولما تسلم هذه الهدايا ، غادر ومعه جلوي المدينة الى القصيم .

ولما استقر الامام فيصل في الدلم أوعز الى عمر بن عفيصان بالسفر الى الاحساء ، وارسل حمد بن يحيى بن غيهب الى عمان ليكون ناظـــراً للثغور البحرية ، وارسل الزهيري أميراً على وادي الدواسر ومحمد ابن عبد الله بن جلاجل أميراً على الافلاج .

خورشيد باشا في عنيزة :

دخلت سنة ١٢٥٤ والقحط والغلاء يعمان البـــلاد وخـــالد بن سعود واسماعيل آغا وقواتهما وانصارهما لا يزالون في الرياض . ووفـد أهل ضرمـى والمحمل ومن جـاورهم عليهما وارسلا معهما عمالا لقبض الزكاة !

وهنا وصل إلى الرياض عدد كبير من القوات العسكرية بعث بهـــا خورشيد باشا من القصيم وعلى رأسها رجل كردي يدعى « منلا سليمان » يصحبه معاون اسمه « حسن » وبوصول منلا سليمان إلى الرياض اوعز الى اسماعيل آغا بان يرحل بمن معه من الجنود الى مصر فنفذ الأمر حـالا يصحبه المعاون حسن المذكور وحضروا الى القصيم ومنه سافروا الى الديار المصرية ..

وفي آخر شهر صفر من هذه السنة وصل خورشيد باشا من الحناكية الى عنيزة يصحبـه جلوي بن تركي شقيق الامام فيصل ،. وعـــدد كبير كبير من الجند ، فوفـد عليه كثير من رؤساء العربـان وامراء القصيم .

وفي ربيـع الأول وقع القتال بين أهل عنيزة وجنود خورشيد بسبب

ان ناقتين عمانيتين قد سرقتا من ابله وحضر إلى خورشيد من قال : إن السارقين هم من اللصوص الذين يتجولون بين الجند نهاراً ويسرقون متاعهم ليلا ، فأقام خورشيد باشا عدداً من الحراس يتجولون خارج المعسكر ليلا ، وقد اعتقلوا في الليل رجلا من أهل عنيزة خارجاً من البلدة لتفقد نخله ، واخبرهم بذلك ، فساروا معه ووصلوا فعلا الى نخله وتكلم الرجل مع والده بالأمر ، ولكن الجنود الحراس قتلوهما ذبحاً ونقلوهما إلى النفود ودفنوهما في التراب ، وفي الصباح شعر أفراد عائلة الذبيحين بفقد ابيهما واخيهما ، وتتبعوا الاثر إلى أن قادهم إلى الحفرة حيث دفنوهما ، فاخرجوا جثتيهما ، واوعز يحيى أمير عنيزة بالقائهما عند خيمة خورشيد باشا وحضر يحيى إلى الخيمة لزيارة الباشا ، ولكن الحراس أخذوا سيفه منه بداعي انه لا يجوز دخوله على الباشا والسلاح معه ، ولما شاهد خادم يحيى ذلك اسرع بالهرب إلى البلدة واخبر أهلها صائحاً : « ان اميركم قتل » ، وكان في البلدة عدد من الجنود لشراء بعض الحاجيات ، فنهض الاهلون اليهم وقتلوا كل من تمكنوا من اعتقاله ، وسمع الباشا الصيحة وقد تعالت في المدينة ، فقال لاميرها يحيى وهو لديه : « لقد وقعت الفتنة في بلدكم » ! وتمكن يحيى من الهرب بعد ان اطلق الجند عليه النرصاص ولكن الله سلمه ، ودخل البلدة فاذا به يجد أهلها قد تمكنوا من قتل تسعين جندياً من حملة خورشيد باشا ، وهبّ الجنود على كل مخلوق كان خارج عنيزة يقضي مصالحه فأبادوا حوالي خمسين رجلا ونهبوا محتويات قصر أهل الضبط ، ودام القتال ثلاثة أيام وقع الصلح بعدها بين الفريقين ! ! !

جلوي يلتحق بالإمام :

بقي خورشيد باشا في عنيزة خمسة أشهر بطولها ، وقد وفد عليه أثنائها عبد الله بن علي بن الرشيد رئيس جبل شمر ، فأكرمه خورشيد اكراماً زائداً ثم غادره إلى مكان يعرف باسم « البصيري » وارسل بعض رجاله على ثلاثة من الهجن إلى بريدة ، وكان فيها رجل من أهل الجبل هرب اليها لأنه من أعوان آل علي ، فخاف على نفسه واولاده من ابن الرشيد ، فطرق ثلاثة من هؤلاء الرجال باب منزله وخرج اليهم ، ولما أمسكوه صاح ولد صغير من أولاده خوفاً ورعباً ، مما اهاج أهل البلدة وانقضوا على جماعة ابن الرشيد فقتلوا منهم اثنين واعتقلوا ثالثاً فأخبرهم بالأمر الواقع وارشدهم على مقر عبد الله بن الرشيد ، فاوعز عبد العزيز آل محمد رئيس بريدة إلى سكان بلدته بمهاجمته ، وكان ذلك وابن الرشيد في غفلة عنه ، ومعه ٤٥ مطية وكثير من اللباس والسلاح ، وبعد مناوشة قليلة وقعت بين الطرفين بعد المغرب تمكن ابن الرشيد من الهرب على ظهر فرسه إلى خورشيد باشا ، وقتل اهل بريدة من جماعته ستة رجال وغنموا جميع ما تركه ابن الرشيد في مخيمه . وبعد ان حصل ابن الرشيد من الباشا على شيء من الماء والكساء رحل إلى بلده .

وفي هذه الاثناء قدم محمد الدويش رئيس مطير وفهد الصيفي رئيس سبيع على خورشيد باشا ، فأكرمهما ، وكان جلوي بن الامام تركي يقيم طيلة هذه المدة لدى الباشا في عنيزة ويقف على حقيقة مجرى الحوادث والامور وما يريد خورشيد باشا فعله إلى ان شعر بان نيته انصرفت إلى محاربة الامام فيصل بن تركي بعد ان تكون البلاد دانت اليه بالطاعة ، فاغتنم الفرصة المؤاتية ، واستأذن الباشا بالسفر إلى بريدة لقضاء حاجة له ، فكان ذلك ، ولما وصلها تابع سيره سراً إلى الخرج لاحقاً بأخيه الامام

فيصل واطلعه على نوايا خورشيد باشا بحذافيرها !.

وقعة الخراب :

لقد تمكن خورشيد باشا أثناء وجوده في عنيزة من بناء قصر الصفا المعروف في هذه البلدة وجعله مقراً لجنوده وذخيرته ، وفي آخر شهر رجب من تلك السنة رحل الباشا بجنوده إلى الوشم ثم سار إلى الرياض وركب معه خالد بن سعود بأهل العارض نحو الدلم وفيها الامام فيصل ، فصمد بقواته امام تلك الحملة المصرية الدافقة واعوانها ودارت بين الفريقين بعض المعارك ، وفي الثاني عشر من شهر شعبان وصلت قوات خورشيد باشا إلى بلدة « نعجان » فاذا بها خالية من سكانها فقد نزحوا بأولادهم ونسائهم إلى الدلم والتحقوا بقوات الامام .

وحيال هذه الحال نسق خورشيد باشا قواته وجعلها صفاً واحـــداً مؤلفة من المصريين واتباعهم وتركوا ذخيرتهم ومطاياهم ومن معهم من الاعراب خلفهم ، وذلك خشية الهزيمة ، وكان الامام فيصل أتمّ بدوره تنسيق قواته فداهم بهـا القوات المصرية الغازية ودارت المعارك بشدة بين الفريقين .

وكان خورشيد باشا وضع كميناً من الفرسان والمشاة وعندما اشتـد الكرب على القوات المصرية ظهرت القوات الكامنة من وراء مكامنها ، وشدت أزر القوات الغازية ، مما اضطر قوات الامام إلى الانسحاب نحو البلدة بعد ان قتل منهم عدد من الفرسان بينهم الشيخ عيد بن حمد قاضي الحوطة وعيسى بن عبد الله بن سرحان ومحمد بن ناصر الحكير وحمد ابن عيسى بن سرحان قاضي منفوحة وفيصل بن ناصر وعبد الله بن زامل وعبد العزيز بن سليمان الباهلي رحمهم الله ، بينما قتل من الحمـــلة

المصرية واتباعها عدد كبير جداً واشتهرت هذه المعركة باسم « معركة الخراب » ثم نزل خورشيد باشا بجنوده ، في « الخراب » وهي بلدة قديمة بالقرب من الدلم ، وحيال هذه الهزيمة المريرة أوعز الامام فيصل ببناء سور وحفر خندق حول البلدة ، فتم ذلك باسرع وقت واحسن حـــال .

معركة فرعية :

لم يكن هذا النصر الذي احرزته حملة خورشيد باشا بمثابة المنّ والسلوى على قلوب رجالها ، فقد نفد ما لديهم من اسباب الاعاشة مما اضطرهم لأكل مطاياهم .

ولما تم بناء سور البلدة وحفر الخنادق حولها اقاموا حول الماء الذي تستقي البلدة منه ، وهو خارج السور ، المتاريس المنيعة ، للمحافظة على سلامة الماء وامكان الوصول اليه ، ثم رتب الامام فيصل جنوده فجعل أهل الحوطة شمال الماء ومعهم جماعة من أهل منفوحة وغيرهم ،وجعل زويد العبد ومعه أهل العارض في سمحة « هي نخل لابن زامل » وجعل ابراهيم بن معيقل أمير زميقة ومعه أهل الحريق ونعام مع رئيسهم سعد ابن تركي الهزاني مقابل نخل سمحة ، وكان يقابل هذا الحشد السعودي حشد مصري اكثر عدداً وعدة ، ودارت معركة بين قوات الهزاني وبين من يليه من القوات المصرية سقط فيها من الطرفين عدة قتلى ، وبعدها بأيام حصلت موقعة بين زويد العبد واتباعه واهل قصر هينة ، فقـــد حملت القوات المصرية على القوات السعودية عند طلوع الفجر ، ودار القتال على أشده بين الفريقين وتكاثر عدد الاعداء على زويد وجماعته مما أرغمهم على الانسحاب من مراكزهم ، واحتلتها القوات الغازية بعد ان

سقط عدد من القتلى !

وهنا جمع الامام فيصل ابطال قومه وفرسانهم الاشداء وامرهم بالهجوم على القصر « اي القلعة » التي ارغم زويد على الانسحاب منها ، فحمل هؤلاء الاشاوس حملة صدق على القوات التي رابطت في القصر واستبسل الابطال الاشاوس في خوض غمار المعركة إلى أن ارغموا القوات الغازية على الانسحاب من القصر ودخلوه ظافرين بعد ان قتلوا من الحملة المصرية ٢٥ رجلا واسروا ٢٢ آخرين ! !

ولما علم خورشيد باشا بانهزام جماعته واحتلال القصر ساق قواته وحشد حول القصر أمل استرجاعه ، ودار القتال المرير بين الطرفين إلى أن حجز الظلام بينهما ، واضطرت جماعة الامام إلى الانسحاب من القصر واحتلته القوات المصرية مجدداً ، وسقط عدد من القتلى من الطرفين .

فتن تجلب الكوارث :

لقد علم عمر بن عفيصان أمير الاحساء بما حل بقوات الامام ، فاستنفر أهل بلاده وجمع عدداً كبيراً من الجند ، ونزل بلدة السلمية المعروفة في الخرج ، وارسل يعلم الامام فيصل بوصوله ووعده بان يحمل بقواته على القوات الغازية من كل ناحية وصوب ، وفي صباح يوم الاحد السابع من شهر رمضان من تلك السنة ، داهمت قوات أمير الأحساء تلك القوات الغازية بشدة وعنف مما اوقع الذعر في صفوفها واوشكت على الهزيمة ، ولكن خورشيد باشا راح يمنيها بالنصر إذا هي صمدت في قتالها . واستمر القتال حتى ارتفاع النهار وسقط من الطرفين عدد كبير بين قتيل وجريح ، ورجع ابن عفيصان إلى السلمية وفريق

من جماعته ذهب إلى بلدة زميقة .

وفي هذه الاثناء علم عمر بن عفيصان ان قافلة كبيرة أقبلت من الرياض لاسعاف قوات خورشيد باشا ، وتتألف هذه النجدة من جنود مصريين وجماعة من أهل المحمل وسدير ، فقام ابن عفيصان باستنفار هل الحريق والحوطة وقصدوا جميعهم الحائر ، ورصدوا للقافلة ، وعلم خورشيد باشا بذلك ، فاضطر لارسال قوة من جنوده لاستقبال النجدة حمايتها ، وعندما وصلت القافلة أراد ابن عفيصان مهاجمتها ولكنه فوجيء بالجنود الذين اوفدهم الباشا مما ارغمه وجماعته على ترك القافلة والرحيل من ذلك الموقع ووصلت النجدة الى خورشيد باشا واشتد ساعده بها .

وقصد ابن عفيصان ومن معه ، بعد هذا الحادث ، بلدة زميقة ، بين سكانها تخاذل وفتن رحل أهل الحوطة ، على اثرها ، إلى بلادهم وتبعهم أهل الحريق ، وعندها رحل ابن عفيصان وجماعته الى السلمية واخرج أهله وعشيرته منها ونزل في سديرة « ماء معروف في تلك الناحية » ووقع الذعر في قلوب أهل زميقة فهربوا منها بنسائهم واطفالهم وتركوها خاوية على عروشها وفيها من مواد الاعاشة والامتعة والمواشي ما لا يعد ولا يحصى .

الفصل الثالث والعشرون :

آسْتِسْلاَمُ آلإمَامُ فَيْصَل وَآرْسَالِهِ لِمِصْر

لقد كانت هذه الفواجع والمآسي أشبه بالماء القراح على قلب خورشيد باشا ، فقد وصله البشير واطلعه على ما حدث في زميقة ، فارسل الباشا اليها حسين اليازجي ومعه قوة من الجند المصري والاعراب الموالين ونهبوا جميع ما فيها من خير ورزق ، وانتقلت عدوى الفتن إلى بلدة الدلم فقد اصيب سكانها بهزة عنيفة في معنوياتهم ، مما شجع فريقاً منهم على مكاتبة خورشيد باشا بطلب الصلح ، وفي العشر الأواخر من شهر رمضان تلك السنة توجه فريق من آل شريم « أهل الحوطة » بينهم راشد بن حسين وفوزان بن رشود ومعهما حوالي ثلاثين رجلا إلى خورشيد باشا فنالوا منه الأمان ، وكان في قصر « موافق » المعروف في الدلم حوالي مائة رجل من أهل الحوطة يتبعون تعليمات الامام فيصل ابن تركي ورئيسهم يدعى فوزان بن محمد ومعه ابراهيم بن عبد الله بن حسين الملقب « ابو ظهير » فتراسل هؤلاء مع جماعتهم الذين استسلموا

للباشا وحصلوا منه على الامان لهم ، وعندما علم الامام فيصل بذلك طلب اليهم اما البقاء إلى جانبه في الحرب واما النزوح عنه فلا يفسدون ضمائر بقية المخلصين ، فاختاروا الرحيل ، وعندها استمهلهم الامام للحصول على الامان بحيث يشمل البلدة والاموال ، فارسل الامام فيصل ابراهيم ابو ظهير إلى خورشيد باشا طالباً الصلح فأجابه إلى جميع طلباته مشترطاً سفر الامام إلى مصر حيث يستسلم لصاحبها محمد علي باشه الكبير فيبقى لديه مع بقية افراد البيت السعودي الموجودين في مصر ، وعلى هذا الاساس استسلم الامام فيصل إلى خورشيد باشا وصالحه على حقن دماء أهل الدلم وحفظ أموالهم وعلى سلامة جميع من كان معه من أهل العارض وغيرهم ودخل الامام فيصل الدلم وقضى حاجاته منها ، ثم حضر الى مقر خورشيد باشا واقام عنده حوالي اربعة اشهر ، جهز الباشا بعدها حسن اليازجي وجنوده وارسلهم مع الامام فيصل بن تركي واخيه جلوي وابن اخيه عبد الله بن ابراهيم بن عبد الله وولدي الامام فيصل عبد الله ومحمد ووصل الجميع الى مصر حيث انزلوا الامام فيصل في بيت تحت حراسة الجند ، فاعتكف رحمه الله مواصلا الصلاة والصوم ، وكان يقضي نهاره وغالب ليله في التجهد وقراءة القرآن مما جعله موضع احترام واعزاز الجميع .

نهاية ابن عفيصان :

أما عمر بن عفيصان فقد رحل الى الاحساء ، فبعث خورشيد باشا اليه والى رؤساء أهل الاحساء بعدة رسائل تضمنت الامان وامرهم بالقدوم اليه ، والمحافظة على بيت المال ، وكان عبد الرحمن الحملي هو الوسيط ، فأذعن ابن عفيصان للطلب وراح يجمع أمواله الموجودة في

الاحساء ، ودفع إلى وكيل الباشا جميع الاموال العائدة لبيت المال ، وتحرك ابن عفيصان وزعماء الاقليم بطريقهم إلى مقر الباشا ، وهنا طلب عمر بن عفيصان الى زملائه ان يذهبوا بانفسهم الى الباشا لأنه شخصياً يعلم النتيجة التي تنتظره واقلها قتله ، وهكذا ترك رفاقه وقصد البحرين حيث التجأ إلى آل خليفة ، ثم نزح عنهم إلى الكويت واقام فيها .

أما بقية رؤساء أهل الاحساء فقد وصلوا الى خورشيد باشا فاعطاهم الامان واذن لهم بالعودة الى بلادهم وذلك في آخر شهر شوال من تلك السنة « ١٢٥٤ » .

ثم أمر خورشيد باشا بتعيين احمد السديري أميراً على اقليم الاحساء ، وذهب مع عدد من أهل سدير الى الاحساء يرافقه حوالي ١٣٠ فارساً من المصريين بقيادة ابي خزام المغربي ، وهنا اطمأنت نفوس أهل الاحساء لما يتمتع احمد السديري من سمعة حسنة وادارة فذة وحكم عادل ، وقد حل في قصر الكويت ووزع الجنود بين القصور « القلاع » والثغور ، وبعد مرور شهر واحد على هذا الاجراء ارسل الباشا خمسين رجلا إلى الاحساء برئاسة مغربي لقبه « الفاخري » وامرهم بالنزول في قصر الكوت ، وامر احمد السديري باصلاح المدافع المدخرة في هذا القصر فاصلحت ووضعت في مراكزها ، وكتب الى رؤساء القطيف فقدم اليه كل من علي بن عبد الرحيم أمير سيهات وسعد بن غانم واخوه وابو السعود وبايعوه ، وارسل خورشيد باشا رجلا من جيشه لقبه « ابو طاهر » وجعله رئيساً لقواته في القطيف ، واوفد رجلا من جماعته يدعى « محمد افندي » الى البحرين للاتفاق معهم فعاد دون الحصول منهم على نتيجة . وعاد هذا « الافندي » الى الاحساء وكتب الى خورشيد بالنتيجة ، فرد الباشا عليه بوجوب العودة الى البحرين لمصالحة آل خليفة على شروط أنسب واشرف من الأولى ، وتمّ له ذلك ، وعاد

الى البحرين واعلم الباشا بما حصل فعيّنه أميراً على الاحساء وعين أحمد السديري رئيساً لبيت المال ، فاستقل « محمد افندي » بأمره وسلك في مناهج الظلم والقسوة ، ووضع المكوس الباهظة على الشعب بجميع مراتبه ودرجاته ، الأمر الذي لم يعد بوسع الاهلين احتماله !!

مصرع محمد أفندي :

وفي الليل من غرة شهر شعبان من سنة ١٢٥٥ ، قدم هذا الافندي من عين نجم المعروفة في الاحساء ومعه من اعوانه الشجعان خمسة وغلامه بين يديه حاملا المصباح لانارة الطريق وكان يقصد الهفوف ، فكمن له في الطريق ثلاثة رجال يحملون ثلاث بنادق ، وما ان وصل الافندي اليهم حتى أطلقوا النار من بنادقهم الثلاث فاصيب برأسه وقلبه بينما اصيب حامل المصباح فخرّ صريعاً وتحطم المصباح الذي بيده فانهزم أصحابه وتركوا « افنديهم » مضرجاً بدمائه ، وتمكن الذين قتلوه من الهرب ، وبعد برهة عاد بعض خدامه اليه فوجدوه فاقد الروح وحملوه إلى بيته !!

ولما علم أحمد السديري بالأمر خشي ان يتهمه خورشيد بالحادث ظلماً وعدواناً ، فأمر بأن ينادي المنادي : ان من يعرف قتلة محمد افندي له خمسماية ريال ، فقيل له ان القتلة هم ثلاثة من العوازم من أعوان آل عريعر وقدموا أسماءهم فأحضرهم ، ووضعهم بالسجن .

وكان في الاحساء من رؤساء بني خالد برغش بن زيد بن عريعر وابن عمه مشرف بن دويحي بن عريعر وطلال وكانوا طلبوا من خورشيد اقطاعهم ولاية الاحساء فابى عليهم ذلك ، وظلوا في البلاد

بدون ايـة وظيفـة ، وكان غرضهـم انقاذ وطنهم من الفوضى التي دهمته بشدة .

وكان الفاخري رئيس الجند يجمع الاموال من عشيرة العجمان فلمـا بلغه خبر مقتل « الافندي » اتى مسرعاً إلى الاحساء ، ولما دخل بيته جاء رؤساء بني خالد للسلام عليه ، فتمكن من سلب سلاحهم ووضعهم في السجن ثم عاد واطلق سراحهم !!

ودري خورشيد باشا بمصرع « محمد افندي » فخشي مغبة الأمـر وارسل شخصاً آخر اسمه « محمد افندي » ايضاً وولاه امارة الاحساء وسمح لاحمد السديري بالعودة إلى بلده لمشاهدة أهله وراح « محمـد افندي » الجديد يستبد بالرعية كما يحب ويريد !!

الفتنة بين أهل القصيم :

دخلت سنة ١٢٥٥ وخورشيد باشا في الدلم ، والمظالم تنصب على أهل البلاد اشكالا والواناً ، وفي سنة ١٢٥٦ كان خورشيد في ثرمدا ، وفيها تلقى من مصر أمراً بوجوب الحضور اليها باسرع وقت ، فأصدر أمره بجمع المطايا من العشائر ، ومنهم من اطاعه ومنهم من رفض أمره ، فارسل إلى محمد بن احمد السديري بأن يذهب إلى عبد الله بن علي بن الرشيد رئيس شمر ويطلب اليه ارسال عدد من المطايا ، فوصل فعلا واعطاه سبعماية بعير وعاد بها الى الباشا .

وفي شهر محرم من تلك السنة أوعز خورشيد وخالد بن سعود إلى أهل الوشم وسدير والمحمل والعارض بوجوب الغزو ، وقادهم خـالد المذكور إلى الخرج ومعه عبد الله بن ثنيان وقاسي بن عضيب وعشائره من قحطان ، فأغاروا على آل شامر في البياض المعروف عند اليمامه

فلم يفوزوا من غزوهم بطائـل واصيب عـــدد من رجال الغـــزو بجراح .

وفي شهر صفر عين الباشا حمد بن مبارك رئيس حريملا أميراً على الاحســـاء .

وفي شهر ربيع الاول سار خورشيد باشا وبعض رجـاله من ثرمدا ونزلوا عين ابي قتور حيث تزوج ابنة الصوينـع الهتيمـي ، وقيل انها كانت متزوجـة وزوجهـا حـي يرزق .... واوعز خورشيد إلى رئيس جنوده في شقرا بكير آغا بأن يتبعه ومعه جنوده فنفذ هذا الامر في ١٢ ربيع الثاني ، وفعل ذات الشيء مع البصيلي وجنوده في الزلفى ، فتحركوا اليه ، وسار الباشا بهذه القوات إلى الشنانة حيث طلب إلى عربان حرب اسعافه بعدد من الابل ، وترسل إلى الجنود في ثرمدا لتنقلها مع أثقالها وفي منتصف جماد الأول رحلت الجنود منها ولم يبق فيها سوى عشرين رجلا ، وارسل الباشا من الشنانة إلى خالد بن سعود يأمره بالحضور حالا فلبى طلبه ومعه اكثر من ٢٠٠ مطية واقام عنده اياماً ثم رجـع ودخل بلدة بريدة ثم عنيزة ثم قصد الرياض ، وما ان صل إلى شقرا حتى وافاه أمير الجبل عبد الله بن الرشيد ومعه اكثر من ٢٠٠ مطية جمعها من أهل الجبل وسار معه إلى الرياض ، وقـــدم عليه بعده أمير بريدة عبد العزيز بن محمد فحصل بينه وبين أمير الجبل ابن الرشيد نزاع من أجل عدد من الابل اخذها ابن الرشيد من أهـل بريدة ، ثم قصد كلا منهما بلده .

وفي شهر رمضان اوعز خالد بن سعود الى أهل البلدان التي بادارته بوجوب الاستعداد للغزو ، كما اوعز الى امراء البلاد بالحضور اليه ، فلبى كل من احمد السديري وجميـع امراء سدير الطلب ، وجمعهـــم خالد في بعض البيوت ، بينما انزل الغزاة القادمين بحسب اوامره خارج لمدينة ثم دعا الامراء اليه ، وقال لهم : « اني اريد ان ازيل عنكم

المظالم وقد بلغني ان احمد السديري ظلمكم وأخذ منكم أموالكم » .
فراح فريق يتكلم لمصلحة احمد السديري وبعضهم ضده واسفرت هذه الحملة عن عزل احمد السديري عن أمارة سدير وعزل امراء البلاد الذين من اعوانه واستعمل أميراً على غزو أهل سدير والوشم عبد العزيز بن الشيخ عبد الله ابي بطين ، وقدم عليه وهو في الرياض محمد بن عفيصان قادماً من الكويت فعينه أميراً لهذا الغزو فقاده على آل روق من قحطان واخذ ابلم واغنامم .

وفي آخر هذه السنة اوعز خالد بن سعود الى عبد الله الحصين بأن يكون أميراً في سدير وان يخرج عائلة احمد السديري من قصر المجمعة .

وفي شهر صفر من سنة ١٢٥٧ قدم رؤساء أهل الاحساء موسى الحملي وعبد الرحمن بن مانع ورؤساء السياسب على خالد في الرياض ومعهم حمد ابن مبارك فأقاموا عنده أياماً واستعمل الحملي أميراً على الاحساء وابن مانع على بيت المال وبقي حمد بن مبارك عنده في الرياض .

انتصار ابن الرشيد :

وفي شهر جماد الاول من هذه السنة وقعت الفتنة العمياء بين أهل القصيم واتباعهم من عربان عنزة وبين عبد الله بن علي بن الرشيد واتباعه من شمر وحرب . وذلك ان عبد العزيز امير بريدة وعبدالله بن الرشيد عندما رحلا من الرياض كل الى بلده كما سبقت الاشارة ، اغار غازي ابن ضبيان رئيس الدهامشة من عنزة على ابن طواله من شمر فأخذهم ومعهم ابل كثيرة لأهل الجبل ، وكان غازي هذا من اتباع اهل القصيم فأغار عبد الله بن الرشيد على غازي وعربانه واخذ منهم ابلا كثيرة ، وغضب أمير بريدة من هذا الحادث وانتدب لمحاربة ابن الرشيد . وكان

أهل القصيم متعاقدين على محاربة كل عدو يريد بهم السوء ، واجمعوا على محاربة ابن الرشيد ، وركب يحيى بن سليمان بجنوده الكثيرة من أهل عنزة واتباعهم كما ركب عبد العزيز بأهل بريدة وجميع بلدان القصيم واجتمعوا على « بقعا » وعندهم حوالي ٦٠٠ مطية مردوفة ، « اي كل مطية تحمل اثنين » ومعهم غازي بن ضبيان واتباعه من عنزة وقاعد بن مجلاد وعربانه من عنزة وابن صبر من السلاطين والصقور من عنزة ، واغار هؤلاء جميعاً على عربان وجعان الرأس من شمر وحصلوا على ما لديهم من أموال وابل وغنم واثاث ، واقترح يحيى على عبد العزيز الرجوع الى بلادهم بعد هذا الكسب ، فحلف عبد العزيز بانه لا يرجع حتى يقاتل ابن الرشيد في بلده حائل ، وهكذا ساروا الى الجبل ونزلوا بقعا المعروفة في جبل شمر ، فخرج أهلها اليهم ، فأمسكوهم لديهم ، ونزلت عربان عنزة على ساعدة الماء المعروف بالقرب من بقعا .

ولما علم ابن الرشيد بذلك أوعز لأخيه عبيد بأن يغير على عربان عنزة في ساعدة ، ففعل وهو على رأس عدة مفارز من الفرسان ، واصطدم الطرفان بقتال عنيف ، طوراً تكون نتائجه لصالح عربان عنزة وحيناً لصالح عبيد بن الرشيد ، هذا ويحيى وعبد العزيز على رأس قوات أهل القصيم في بقعا ينتظرون الغارة عليهم من آل الرشيد ، ولما لم يأتهم أحد ، زحف يحيى على رأس عدد من أهل الشجاعة مشياً على أقدامهم نحو مواقع ، عبد الله بن الرشيد ، فاذا بابن الرشيد ومعه عدد كبير من جنوده قد دهمهم في ساقة اخيه عبيد ، وانهزم عربان أهل القصيم ، وتبعهم فرسان شمر على خيولهم يأخذون ابلهم واغنامهم وتركوا يحيى ابن سليمان ومن معه مسمرين مكانهم لا ماء لديهم ولا مطايا لركوبهم . وحيال هذا الموقف الدقيق انهزم عبد العزيز وجماعته وتركوا يحيى وجماعته مكانهم ايضاً ، الامر الذي ارغم يحيى على مقاتلة ابن الرشيد وصبر

يحيى ورجاله حتى الظهر فادركهم العطش ، مما سهل على ابن الرشيد قتلَ اكثرهم ، أما يحيى فقد أخذ من رجل شمري فرسه للنجاة بنفسه وكان استند إلى صداقة قديمة بينه وبين ابن الرشيد فطلب بالحاح الاجتماع اليه ، فوصل وجلس لديه ، ودخل ، في هذه الاثناء ، ولد لعبد الله بن الرشيد واعلمه بان عمه قد قتل في هذه المعركة ، فأخذ ابن الرشيد ثأره من يحيى بأن قتله في السجن ، وقتل من أهل القصيم في هذه المعارك عدد من الرؤساء والاعيان والتجار ، وقتل من بريدة اكثر من سبعين رجلا بينهم ابن عبد العزيز وحمد بن عدوان وابن شايع ، وقتل من أهل عنيزة نحو ثمانين رجلا بينهم احمد بن فهيد القضلي ويحيى بن سليمان واخوه ، واخذ ابن الرشيد ما لديهم من سلاح وذخيرة ومؤنة ومطايا . وكان عبد الله بن سليمان شقيق يحيى يقيم في الرياض لدى خالد بن سعود فحضر إلى عنيزة وأصبح أميراً عليها .

وأما عبد العزيز عندما وصل إلى بريدة حضر أهل القصيم اليه وتشاوروا بأمر الفاجعة التي حلت بهم وقرروا استنفار جميع اهل بلاد القصيم لأخذ الثأر ، وتجمع لديهم نحو اربعة آلاف فارس ، قصدوا بها في شهر ذي القعدة ، جبلَ شمر ، ولكنهم عادوا من « الكهفة » دون الوصول الى نتيجة !!

الفصل الرابع والعشرون

إخرَاجُ ٱلْحَمْلَة ٱلْمَصْرِيَّة وَعَوْدَة ٱلإمَام

لقد تمكن عبدالله بن ثنيان في هذه السنة « ١٢٥٧ هـ » من الهرب من الرياض وقصد المنتفق ، فقد اراد خالد بن سعود ان يذهب إلى خورشيد باشا « قبيل سفره إلى مصر » أثناء وجوده في الشنانة واراد من ابن ثنيان أن يذهب معه ، فرفض ، في نفسه ذلك وما ان تحرك ركب خالد ، حتى كان ابن ثنيان قد تمكن من الهرب والتجأ إلى عيسى بن محمد رئيس المنتفق ، ولما عاد خالد ارسل بطلبه واعطاه الامان ، فعاد إلى نجد في آخر شهر رجب من هذه السنة ، ولما أقبل إلى الرياض ارسل امامه رجلا من أصحابه إلى خالد يخبره بقدومه ، واتجه هو نحو البنية « موضع معروف خارج البلدة » وما ان ظهر عليه رسول خالد بن سعود لاحضاره حتى ركب مطيته واسرع بها قاصداً حائر سبيع ، واقام لدى راشد بن جفران السبيعي ، وكان بينهما مصاهرة فوعده بالقيام معه والانتصار له ، وقد اراد الله ان ينقذ الديار النجدية

من الغزاة المصريين على يديه ! ! !

لقد كان ابن ثنيان رجل عقيدة وحزم وعزم وثبات ، فكتب إلى أهل الحريق والحوطة والحلوة ذاكراً اليهم انه يريد اخراج الحملة المصرية من الديار النجدية ، وكان الشيخ عبد الرحمن بن حسن وعلي بن حسين وعبد الملك بن حسين وبنوهم ، عامذاك ، في الحوطة ، والحريق هاربين من الحملة المصرية ، فوعدوه بالنصرة له ، ودري خالد بن سعود بذلك ، فكتب إلى رؤساء سبيع باعطاء ابن ثنيان الامان ، فنفذوا رأيه ولكن ابن ثنيان رفض ذلك وقال : « لا بد من محاربته » ! ! !

خالد يستعد للحرب :

حقاً ان هذه المرحلة من حياة الديار النجدية كانت حاسمة بالنسبة لانقاذها من الغزاة العتاة . وشعر أهل البلاد بوجوب العمل الجدي لتنفيذ هذا الغرض الاسمى وراح ابن ثنيان يدعو الناس إلى القيام معه في حرب ضروس لا تبقي على الغزاة ولا تذر ، فقدم اليه رجال من آل شامر وغيرهم ، وعلم خالد بأن ابن ثنيان مصمم على محاربته فداخله الجبن وركبه الذعر ، وكتب إلى أهل البلاد يأمرهم بالغزو ، فتثاقلوا عليه ولم يأته سوى نفر قليل من أهل الخرج وأهل سدير وأهل المحمل ، وخرج من الرياض يصحبه أمير منفوحة سليمان بن سعيد ، واقام حمد بن عياف أميراً على الرياض وعنده عمر بن عفيصان ، وتارك عدداً من خدامه فيها واميرهم سعد بن علي ابن دغيثر ، واعتصم المصريون والمغاربة في القصر ، وفي شهر شعبان قصد خالد ومن معه الاحساء .

ابن ثنيان في الميدان :

أما ابن ثنيان فقد سار الى ضرمى يرافقه ستون رجلا فاطاعه أهل المزاحميات ، وكان في هذه البلدة بقايا من الجنود المصريين ، فارسل ابن ثنيان الى الأمير علي بن عبد الله بن عبد الرحمن وإلى أهل بلده يدعوهم لنصرته فاعتذروا لوجود اولئك الجنود في بلدتهم ، فسار ابن ثنيان اليهم وقاتل هؤلاء الجنود وهزمهم إلى البلدة فاعتصموا بها ، ثم وقع الصلح بين الطرفين على ان ينسحب الجنود المصريون إلى ثرمدا ، ودخل ابن ثنيان البلدة واستقر فيها ، وقتل الصائغ احد رؤساء أهل ضرمى وصادر امواله الكثيرة .

وكتب ابن ثنيان إلى أمير حريملا حمد بن مبارك والشيخ محمد بن مقرن وأمير المحمل سعد بن محمد بن يحيى يدعوهم اليه ، فحضر عدد من أهل العمارية وابي الكباش اليه وهو في ضرمى ، ثم رحل بقوته منها إلى عرقة ، وكان حمد بن عياف قد جعل فيها قوة للمحافظة عليها ، ولما وصلها ابن ثنيان طلب إلى أهلها اطاعته فرفضوا ، وهنا وصل اليه سعد بن تركي الهزاني على رأس سبعين رجلا من أهل الحريق مما شد ساعد ابن ثنيان وزحف على البلدة واحتلها عنوة وصادر اموال أهلها ، الا اهل الصنع فقد امتعوا على بعض اموالهم .

من نصر إلى نصر!

هكذا كان ابن ثنيان ينتقل من نصر إلى نصر بسرعة ، فكتب بعد هذا الحادث إلى أهل البلدان يدعوهم لنصرته ، وارسل إلى أمير منفوحة عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بذلك فأجابه حالا وارسل ابن ثنيان

اليها ثلاثين فارساً في الليل يتقدمهم أمير ضرمى وراشد بن جفوان ، فدخلوا منفوحة ، ثم حضر ابن ثنيان بجنوده اليها ونزل فيها .

لقد كان أهل الرياض خلال هذه المدة يتابعون الرسل إلى خالد بن سعود وهو في الاحساء ، وهو لا يكترث بهم ولا يرفع لهم رأساً ، فأتى رؤساء أهل الرياض الذين يؤيدونه اليه ، وطلبوا منه اما ان يخرج معهم لمحاربة ابن ثنيان واما ان يأذن لهم بالخروج ، فأوعز خالد إلى العبد زويد بالسير معهم ، وتحركوا من الاحساء في ٣٠٠ مطية ووصلوا إلى الرياض في شهر شوال ووقع بينهم وبين ابن ثنيان قتال شديد ، وارسل أهل الرياض إلى منفوحة قوة منهم حيث نازلت ايضاً قوات ابن ثنيان ، وكتب أهل الرياض إلى النواحي والاقاليم يبشرون سكانها بأن ابن ثنيان هو محصور في منفوحة ، وفي الليل عاد أهل الرياض عن منفوحة إلى بلدهم ، فاستغل ابن ثنيان هذه الفرصة ولحق بهم وهم لا يعلمون ، ولما اقترب من جدران العاصمة طلب إلى رجاله الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء ، وبعدها ، اعلمهم بانهم سيدخلون الرياض واوصاهم بالصدق في القتال ، وسار الجميع خلسة فوافاهم بعض الرجال من أهل دخنة وادخلوهم العاصمة ، ووضع ابن ثنيان أهل العمارية وابي الكباش في بيت مساعد بن تركي واهل منفوحة في بيت بلال الحرق واهل الحريق في المرابيع ! !

ابن ثنيان يحتل الرياض:

اما اهل القتال من سكان الرياض وجنودهم فقد انصرفوا إلى اللهو والغناء دون ان يعلموا بدخول ابن ثنيان وجنوده مدينتهم ، وفي هذه الاثناء هاجم ابن ثنيان اولئك المقاتلين والجنود وسيفه في يده وحوله

طائفة من الرجال الابطال الصناديد ، فهرب اكثر الناس إلى منازلهم ، واضطر افراد الحملة المصرية والمغاربة لخوض المعركة ، وباشر ابن ثنيان بنفسه القتال واصيب بشج في رأسه ، واذا بالمغربي الكبير الشهير باسم « الابعج » يصبح امام ابن ثنيان ورماه بنار بندقيته فاخطأه وتلقاه ابن ثنيان بضربة سيف أصابت البندقية التي يحملها فانكسر السيف ، ولكن الابعج انصدع من هول الضربة وصرخ ، وما ان سمع المغاربة صراخ « بطلهم » حتى ولوا مدبرين ، واعتصموا بالقصر واغلقوا أبوابه عليهم .

مبايعة ابن ثنيان :

لقد دخل ابن ثنيان بيت ابراهيم بن سيف فبايعه ، ثم دخل بيت آل عياف وجلس فيه ، وراح رؤساء البلد يبايعونه ، وارسل إلى ابن عفيصان ومن معه بالحضور ، فأتوا اليه واطاعوه ، ثم ارسل الامان إلى المصريين والمغاربة المحاصرين في القصر على ان يرحلوا من الرياض ، وفي اليوم الثاني وقع خلاف بن رجل من خدام ابن ثنيان وجندي مصري واطلق الثاني على الاول نار مسدسه « طبنجه » فاخطأه وخشي الجنود مغبة الأمر فعادوا إلى القصر وراحوا يطلقون الرصاص من بنادقهم على المنازل المجاورة للقصر ، فارسل ابن ثنيان عدداً من الرجال للمحافظة على هذه المنازل ، ثم ارسل الى زويد العبد واثنين معه فقتلهم ، وفي آخر النهار صالح أهل القصر على ان يخرجوا فوراً من العاصمة ، وهكذا كان واستراحت الرياض واهلها من ذلك الاحتلال الذي طال عليه الأمد ! !

لقد سكنت البلاد بعد انقاذ الرياض بقدر الامكان . ووفد امراء

البلدان ورؤساء العربان على ابن ثنيان يعاهدونه على السمع والطاعة ، واتى اليه آل الشيخ من الحريق وبعدها قدم امراء سدير ، واوفد عبد العزيز بن مشاري أميراً على سدير وزوده بعدد من رجاله ، ووصل اليه أهل الدواسر وأميرهم محمد بن جلاجل ، فاستعفاهم عن أمارتهم وبعث معهم عبد الرحمن بن عبيكان اميراً !!

انهزام خالد بن سعود :

أما خالد بن سعود ، فانه عندما رأى ان الأمر قد انتقل إلى غيره ، وهو يومذاك في الاحساء ، أمر على من بقي معه باجتماع عام ، وقال لهم : « نريد ان نؤلف قوة تخوض غمار الحرب فاحضروا بخيلكم ومطاياكم » وخرج بهم من الاحساء هارباً الى الدمام ، تاركاً وراءه كميات وافرة من المؤن والعتاد والذخيرة ، واعتصم في هذا البلد على الخليج العربي « الفارسي » الذي أصبح اليوم أعظم مركز لتصدير النفط ، وشاهد أهله القطار الفخم يخترق الصحراء بين بلدهم والعاصمة الرياض . ولما شاهد رجال خالد ذلك علموا بانه ولى الادبار ، فانفض اكثرهم عنه ، ثم تمكن خالد من الوصول الى الكويت ومنها عاد الى القصيم سراً ومنه رحل الى مكة المكرمة .

وفي شهر محرم من سنة ١٢٥٨ أرسل ابن ثنيان عبد الله بن بتال المطيري إلى الاحساء ليصبح بامرة اميرها ، وبعد ان احكموا امرهم في البلاد وضبطوها جيداً ارسل ابن ثنيان عمر بن عفيصان آميراً على الاحساء ، ورافقه حوالي مائة رجل ، وحل في قصر الكوت وتوافد عليه الخلائق والرؤساء يبايعونه ، فأمرهم بالذهاب إلى عبد الله بن ثنيان

في الرياض ، فقدموا عليه وبايعوه ثم اذن لهم بالرجوع وابقى عنده اربعة من رؤسائهم .

ومنذ ذلك الحين وابن ثنيان يبذل جهده ، طوراً بالشدة ، وحيناً باللين ، لتستقر الاوضاع في البلاد وما جاورها ، ومن اعماله انه ارسل محمد بن جلاجل إلى مكة يحمل هدية ثمينة إلى الشريف ابن عون وعثمان باشا والي مكة ، واجابه الشريف والوالي على هديته بمثلها .

الإمام فيصل يهرب لبلاده :

دخلت سنة ١٢٥٩ ، وفيها اراد الله الفرج للديار النجدية مما هي فيه من ضيق ومحن ، ففي أول هذه السنة تمكن الامام فيصل بن تركي واخوه جلوي وابن عمه عبد الله بن ابراهيم وابناه عبد الله ومحمد من الهرب من القصر الذي اتخذه حكام مصر مقراً لهم تحت الحراسة الشديدة ، فقد استطاع الامام ومن معه الخروج من فرجة في المنزل علوها سبعون ذراعاً ، وتدلوا بالحبال سرا إلى أن وصلوا إلى الارض سالمين ، وكانوا قد اعدوا الركائب وامتطوها ليلا إلى أن وصلوا جبل شمر ، وارسلوا إلى عبد الله بن الرشيد يعلمونه بوصولهم ، فاستقبلهم بالترحاب العظيم واوصلهم إلى حائل ومناهم بالمال والرجال والمسير معهم للقتال » ! !

هكذا يقول العلامة ابن بشر في كتابه « عنوان المجد في تاريخ نجد » ، ولكن الريحاني في كتابه « نجد الحديث وملحقاته » يقول : « ان محمد علي اطلقه من السجن ليعيده حاكماً إلى نجد » وقول ابن بشر المعاصر لزمن الامام فيصل هو الصواب .

ولما علم ابن ثنيان بنبأ وصول الامام فيصل وصحبه الى حائل استشار خاصته بماذا يفعل حيال هذا الامر الواقع ، فلم يوفقوا بالنصيحة بالنسبة الى ابن ثنيان فقد أشاروا عليه باستنفار الامة ، وخرج من الرياض في يوم الجمعة ومعه قوات من أهل العارض ونزل بها في ببان واقام فيها عدة أيام ورده أثنائها مراسلات من الامام فيصل بن تركي وعلم بعض الرجال من جماعة ابن ثنيان بأمر هذه المراسلات فهربوا الى جبل شمر والتحقوا بالامام ، وخشي ابن ثنيان مغبة الأمر ، فأرسل علي بن عبد الله أمير ضرمى يحمل الى الامام هدية قيمة وسلمه الرسول المذكور اياها في الجبل ، فأخذها الامام ولم يعبأ بقوة مرسلها واهدافه ، ورحل ابن ثنيان من الخفس ونزل ارض السدير فوافاه بها عبد العزيز بن محمد رئيس بريدة واقطعه المواثيق ليكون بجانبه وذلك بسبب العداء المستحكم بين أهل القصيم وبين ابن الرشيد ، وقصد ابن ثنيان وجنوده بريدة ونزل بقواته خارج البلدة ، وخرج عبد العزيز اليه وبايعه على النصرة ، ولما علم رئيس عنزة عبدالله ابن سليمان بذلك جمع رؤساء بلده وشاورهم بالامر وكان فيهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن ابي بطين وابنه عبد العزيز فكان الرأي باكثره يقول بوجوب ارسال عبد العزيز المذكور الى الامام فيصل لمبايعته وتكليفه بالحضور اليهم ، وركب عبد العزيز فعلا وقصد الجبل فوافاه الامام إلى الكهفة وطلب اليه عبد العزيز ان يذهب الى عنيزة لأن أهلها بايعوه على السمع والطاعة ، فرحل الامام من مكانه الى عنيزة ، بينما اوعز الى أخيه جلوي وإلى عبيد ابن الرشيد ومعهما مائة رجل بالذهاب الى محمد بن فيصل الدويش وعربانه . وكان بينه وبين ابن ثنيان عداوة قديمة ، وقصد جلوي ومن معه فعلا الدويش وقصد الامام فيصل بلدة عنيزة ومعه عبد الله بن الرشيد رئيس الجبل ورجال من قومه وعبدالعزيز ابن الشيخ يصحبه عدد من الرجال ، ولما علم ابن ثنيان بذلك نهض

بجنوده من بريدة تاركاً أثقاله وخيامه فيها وكمن للقادمين في طريقهم ، ولم تصلهم هذه الانباء ، وسار الامام وصحبه ودخلوا عنيزة في آخر الليل ، فكان ذلك مفاجأة مرعبة لابن ثنيان فقد انصرف أهل البلدة الى اللعب والغناء واطلاق الرصاص ابتهاجاً ، فادرك ان الوقت قد فاته ، وعاد الى خيامه ، وهنا تركه عدد كبير من زؤساء أهل الجنوب وسدير وغيرهم وقصدوا الامام فيصل في عنيزة .

ابن ثنيان يطلب الحرب :

أما ابن ثنيان فقد أمر جنوده ، لدى وصوله بريدة بالرحيل حـالا الى عنيزة لانه يريد الحرب ، ولكنه في حقيقته قصد المذنب منهزماً الى الرياض خوفاً من الامير جلوي بن تركي واتباعه ومن الدويش ورجاله وحثّ ابن ثنيان قواته على السير ليلا نهاراً ، ولمـا علم الدويش واتباعه بذلك ، وهم يومذاك في اسفل الغاط ، شدوا الرحال في أثر ابن ثنيان ومن معه وادركوهم في ارض الوشم وقد تعبت خيول ومطايا الدويش وصحبه ، فلم يكسبوا من جماعة ابن ثنيان الا قليلا من المطايا ، ولما وصل ابن ثنيان الى الوشم تفرقت عنه جماعته ، والتحق كل ببلده ، وقصد ابن ثنيان الرياض .

أما الامير جلوي بن تركي فقد رحل مع جماعته الى بلدة ثادق ، ونزلوا في قصورها ، وارسلوا الى الامام فيصل يدعونه بالحاح للحضور وارسلوا عبد الله بن ابراهيم ابن عم الامام إلى سدير يدعوهم إلى اتباعهم ، فوصل الى بلد المجمعة وركب معه أهلها لشد ازر الامام .

ولما دخل ابن ثنيان الرياض حاصر مع عائله في القصر وكان فـرق السلاح والذخيرة على الاهلين ، وهدم البيوت القائمة حول القصر ،

وتأهب للحصار .

أما الامام فيصل ، فبعد مبايعة أهل عنيزة له ووفود رجال القصيم ورؤساء العربان عليه ومبايعته ، رحل في شهر ربيع الأول من هـذه السنة إلى الوشم ومعه أمير عنيزة عبد الله بن سليمان وحوالي ٢٠٠ مطية ، ونزل الامام في بلدة شقرا فبايعه أهلها وأهل الوشم ثم رحل منهـا وركب معه أمير الوشم محمد بن عبد الكريم البواري برجاله الغـزاة ، ووصلوا إلى حزيملا ، واقام الامام فيها عدة ايام ، قدم عليه خلالهـا امراء سدير بقواتهم الغازية ، واجتمع اخوه الامير جلوي اليه ومعـه ابن عمـه وعبيد بن الرشيد واتباعهم ، كما وفد عليه رؤساء السهول وسبيع والعجمان وغيرهم وكتب الامام إلى ابن ثنيان يدعوه للمصالحـة وحقن دماء المسلمين على ان يخرج من الرياض بما عنده من الخيـل والمطايا والسلاح والاموال والرجال دون ان يكون له معارض وينزل البلد الذي يشاء في نجد أو غيرها وله مع ذلك من الخراج كل سنة ما يكفيه ، فأبى ابن ثنيان ذلك واصرّ على الحرب .

اعتقال ابن ثنيان ووفاته :

وحيال اصرار ابن ثنيان على الحرب ، رحل الامام فيصل مـن حريملا ومعـه أميرها حمد بن مبارك والشيخ محمد بن مقرن ونزل بلدة سدوس وكتب إلى أمير منفوحة سليمان بن ابراهيم بن سعيد يطلبه اليه فأجابه بالايجاب ، ورحل الامام من سدوس ونزل منفوحة في الدويرية « وهي منزله وقت محاصرته لخالد بن سعود في الرياض » واقام فيها اياماً وراح يكاتب أهل الرياض خفية .

ولما كانت ليلة الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني جهز

الامام قوة من رجاله الشجعان وجعل على رأسهم الأمير جلوي وامرهم بدخول العاصمة ، وذلك بموافقة رؤسائها ، ودخل جلوي وصحبه العاصمة من باب دخنة ، وكان ابن ثنيان يخرج مع بعض رجاله من القصر فيدور في البلدة ، ولما بلغه خبر دخول الامير جلوي بن تركي العاصمة انصرف إلى القصر وحاصر بداخله ، وذهب جلوي وصحبه إلى البيوت المقابلة للقصر ، واعتصموا في بيت مساعد بن تركي وفي بيت ابن دغيثر وراحوا يطلقون على القصر النيران من بنادقهم ، فسد ابن ثنيان باب القصر بالطين ، وفي هذه الاثناء دخل الامام الرياض ونزل في منزل مشاري بن عبد الرحمن وجعل أهلَ الحريق في بيت ابن ثنيان واهل القريعية في بيت الشيخ عبد الله بن نصير ، ونزل جلوي في منزل زويد العبد مملوك سعود ، ودار القتال بين الفريقين حوالي عشرين يوماً قدم خلالها على الامام أهلُ الخرج والفرع ومعهم الشيخ عبدالرحمن بن حسن وبايعوه على السمع والطاعة .

وقد أدرك ابن ثنيان مغبة الأمر ، إذا طال أجل هذا الصراع فأرسل إلى عبيد بن الرشيد بأن يطلب إلى الامام القبول بالمصالحة فلم يوافقه الامام بسبب ما بدى من اصرار ابن ثنيان على القتال ، وقد صادف وخرج ابن ثنيان ذات ليلة من القصر فاعتقله بعض جماعة الامام واحضروه اليه فأخذ سلاحه وحبسه واحتل القصر عنوة وعفا عن الذين كانوا بداخله ، واطلق الامام سراح الذين حبسهم ابن ثنيان ورد عليهم ما عثر عليه من أموالهم ، ونزل الامام في القصر وبايعه المسلمون وسكنت الفتنة واستقامت الامور . واذن الامام لمن معه من المجاهدين بالرجوع إلى بلدانهم ، واستعمل عبد الله بن بتال المطيري أميراً على الاحساء وابن عثيمين في وادي الدواسر أميراً واقر كل أمير في بلده ، وفي يوم الجمعة منتصف جماد الثاني توفي عبد الله بن ثنيان في الحبس فجهزه الامام وصلى عليه المسلمون وساروا في جنازته ودفن في مقبرة الرياض ، وابن

ثنيان هو عبد الله بن ثنيان بن ابراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن رحمه الله ، وكتب الامام إلى أهل البلاد نصيحة يحضهم فيها على فعل الخير واطاعة الله وترك المحرمات والتمسك باهداب الدين الحنيف والتوحيد ، وهذا نص النصيحة :

نص نصيحة الإمام :

بسم الله الرحمن الرحيم :

من فيصل بن تركي إلى من يصل اليه هذا الكتاب من المسلمين :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد : فان انجع الوصايات وانفعها الوصية بتقوى الله تعالى . قال تعالى : « ولقد وصينا الذين أوتوا الكتابَ من قبلكم واياكم أنِ اتقوا الله » وتقوى الله ان يعمل العبدُ بطاعة الله على نور من الله ، يرجو ثواب الله وان يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله ، ومعظم التقوى والمصحح لأعمالها توحيد الله بالعبادة ، وهي دين الرسل الذي بعثوا به إلى العالمين وهو مبدأ دعوتهم لأممهم وهو معنى كلمة الاخلاص شهادة أن لا اله إلا الله ، فان مدلولها نفيُ الشرك في العبادة والبراءة منه واخلاص العبادة لله وحده كما قال تعالى « فاعبد الله مخلصاً له الدين ، الا الله الدين الخالص » وقد بيّن الله تعالى معنى هذه الكلمة في كثير من الآيات المحكمات ، قال تعالى : « واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني » فهذا معنى لا اله إلا الله . وقوله « الا الذي فطرني » فهو معنى الا الله ، وقد عبر عنها بمعناها من النفي والاثبات . قال تعالى : « وما امروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين » ... الأية . الآيات في بيان توحيد العبادة اكثر من ان تحصر ، وهذا التوحيد هو الذي جحدته الامم

المكذبة للرسل ، قال تعالى عن قوم هود : « أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباءنا » وجحده مشركو العرب ومن ضاهاهم من مشركي هذه الأمة ، قال تعالى : « الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود » ... الآية . واما مشركو العرب فاخبر الله عنهم انهم قالوا « أجعل الآلهة الهاً واحداً هذا لشيء عجاب » . إلى قوله . « ان هذا الا اختلاق » واحتج عليهم تعالى بما اقروا به من توحيد الربوبية فانه من أقوى الحجج عليهم فيما جحدوه من توحيد الآلهة كما قال تعالى : « قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت » إلى قوله : « فسيقولون الله فقل افلا تتقون » واكثر الناس في هذه الازمنة وقبلها وقع منهم ما وقع من اولئك المشركين وهم يقرؤون القرآن فعموا وصموا عن هذا التوحيد وادلته التي هي ابين في قلب المؤمن من الشمس في وقت الظهيرة فيا من يدعي معرفة هذا التوحيد أعرف هذه النعمة وقدرها فانها اعظم نعمة انعم الله بها على من عرفها واحبها وقبلها وعمل بها والزمها فقابلوها بالشكر ولا تكفروها بالاعراض عنها واحذروا ان يصدّكم الشيطان عن ذلك واعلموا انه قد غلط في هذا طوائف لهم علوم وزهد وورع وعبادة ، فيما حصل لهم من العلوم الا القشور ، وقد حرموا لبه وذوقه ، وقلدوا اسلافاً قد ضلوا من قبل واضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل ، فيا لها من مصيبة ما اعظمها وخسارة ما اكبرها فلا حول ولا قوة إلا بالله . واحذر النفوس الامارة بالسوء وفتنة الدنيا والهوى ، فان الاكثر قد افتتن بذلك وظنوا انهم قد سلموا وتمنوا النجاة ، والتمني رأس مال المفلس ، نعوذ بالله من سخطه وعقابه . وانت ترى اكثر الناس معبوده دنياه ، لها يوالي وعليها يعادي ولها يحب ويبغض ، ويقرب ويبعد قد اشتغل بها عما خُلق لأجله يبتهج بها ويفرح ، وقد ذم الله تعالى ذلك كما قال تعالى عن ذكره قارون :

« اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا » والصحيح انه الايمان والعمل الصالح والاسلام والقرآن هما النعمتان العظيمتان والفرح بهم محبوب ومحمود إلى الله تعالى ، قد أوجبه على عباده المؤمنين كما قال الله تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما تجمعون » فسر الاول بالاسلام والثاني بالقرآن . وقال بعض الصحابة : فضل الله الاسلامُ ، ورحمتُه ان جعلكم من أهله فلا غنى لكم عن تعلم هذا التوحيد وحقوقه من فرائض الله تعالى وواجباته وان يكون ذلك اكبر همكم ومحصل علمكم ، ومن اهم ذلك المحافظة على الصلوات الخمس حيث يُنادى لها كما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعون بعدهم ولذلك عمرت المساجد وشرع الاذان فيها كما قال تعالى : « حافظوا على الصلوات » الآية . فلا بد في المحافظة من استكمال شروطها واركانها وواجباتها فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع . والزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله كما سبق في الآية ونحوها جعلها الله تعالى طهرة للأنفس والاموال وزيادة وبركة وحجاباً من النار . فالتزموا بما فرضه الله وشرعه فان فيه صلاح قلوبكم ودنياكم واحوالكم نسأل الله التوفيق . واعلموا ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فرائض الدين واركانه . قال السلف : اركان الاسلام عشرة الشهادتان والصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله ، والجماعة ، والسمع والطاعة . وهذه العشرة لا يقوم الاسلام حق القيام إلا بجميعها والقرآن يرشد إلى ذلك جملة وتفصيلا كما قال تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . وقال تعالى : « ولتكن منكم امة يدعون إلى الخير » الآية . فالله الله عباد الله في مراجعة دينكم الذي نلتم به ما نلتم من النعيم وسلمتم به من النقم

وقهرتم به من قهرتم فقوموا به حق القيام ، فجاهدوا في الله حق جهاده وعظّموا أمره ونهيه واعملوا بما شرعه وتعطفوا على الفقراء والمساكين وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، كما قال تعالى : « وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وتوبوا إلى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون ولا تكونوا كالذين نسوا الله » ، إلى قوله : « لعلهم يتفكرون » فاقرأوا هذه النصيحة في جميع مساجد البلدان واعيدوا قراءتها في كل شهرين . نسأل الله ان يوفقنا واياكم للخير أجمعين » .

ولقد كان لهذه النصيحة في نفوس أهل البلاد ابلغ الاثر المستحب وتلقى الامام مجموعة من القصائد في مدحه وتهنئته بسلامة الاياب وانتصاره على أعدائه .

الإمام يؤدب العصاة :

وبعد ان استقر بالامام فيصل المقام ، علم ان بعض زعماء العشائر لا يزال تحت تأثير الدعايات الباطلة ، مما يوجب تأديبها لسلامة البلاد والعباد ، فسار حالاً بجنوده نحو القطيف حيث هاجم المناصير ، ثم اغار على آل مرة ورئيسهم ابن نقادان ، وعلى بني هاجر ورئيسهم ابن شعبان فهربوا وتبعتهم قوات الامام ، إلى أن تمكن بسرعة من اعادة السكينة إلى النفوس ، وضرب حبل الامن أطنابه ، ثم توجه بقواته نحو الدمام ، وكان شيوخ البحرين عبدالله بن خليفة واولاده قد احتلوا قصرها فحاصرهم ١٢ يوماً ثم طلبوا المصالحة » وخرجوا اليه فمن عليهم بدمائهم ووضع عندهم كل ما يحتاجون اليه .

ودخلت سنة ١٢٦٠ والامام فيصل في هاتيك الجهات ينشر ظلال الامن في ربوعها الشاسعة الواسعة ، ثم رحل من الدمام إلى الاحساء واقام

فيها اربعين يوماً وفد عليه خلالها وفود عديدة من جميع الجهات بينها رؤساء عمان وابن صويط ورئيس الظفير حاملين له الهدايا النفيسة ، واستعمل الامامُ عبدَ الله بن سعد المداوي أميراً على القطيف واحمدَ بن محمد السديري أميراً على الاحساء وكان برأي ثاقب وشهامة كبيرة وشجاعة نادرة كما كان سخياً سمحاً ليناً .

ثم رحل الامام إلى عاصمة ملكه واذن لافراد قواته بالانصراف كل إلى وطنه وديرته .

وفي هذه السنة بعث الامام فيصل سريةً من جنوده إلى عمان يقودهم المطيري وارسل معه الشيخ ناصر بن علي العريني لاشغال منصب القضاء في تلك الديار .

الإمام ينشر الطمأنينة :

دخلت سنة ١٢٦١ هجرية والامام فيصل دائب العمل على نشر الطمأنينة والسلامة والحرية والعدل في طول البلاد وعرضها ، وكان اخوه جلوي السيف القاطع بيده ، ومع هذا فلم تسلم البلاد من بعض الفتن والقلاقل ، فقد دلفت قوافل الحجاج في هذه السنة من كل فج وصوب لا سيما من الاحساء والبحرين والقطيف وبلاد فارس « ايران » وكان رئيس العجمان فلاح بن حثلين ومعه قومه واناس من سبيع بين قوافل الحجيج وسولت له نفسه ان يغزو قافلة منه ، فرصد لها في الطريق وامعن بها سلباً ونهباً ، الى ان تمكن من القضاء على نصف الحجاج وانهزم النصف الآخر إلى الاحساء ، وعلم الامام فيصل بذلك ، فثار غضبه وامر أهل البلاد بوجوب الاستعداد للقتال ، وفي آخر شهر ذي

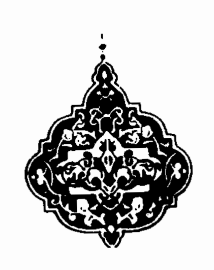
القعدة من هذه السنة خرج الامام من الرياض يصحبه الشيخ عبد الرحمن ابن حسن ، ونزل بقواته قرب حريملا حيث تكاملت سرايا المجاهدين ، فرحل بها إلى الكظيمة ، حيث وصل اليه متعب بن عبدالله بن الرشيد رئيس جبل شمر يقود عدداً كبيراً من رجاله ويحمل هدية إلى الامام فيصل عبارة عن ١٢ فرساً اصيلة وعدداً من الهجن النجيبة . ولما علم ابن حثلين بخروج الامام انهزم إلى ديار بني خالد ، ورحل الامام إلى مجزل حيث توافد عليه علماء سدير ، ورحل بعدها إلى ربيدا « ماء معروف في ديار بني خالد » فاقبل رؤساء العجمان وسبيع اليه وسألوه أن لا يأخذ البريء بالمذنب ، وطلبوا ان ينسلخوا عن ابن حثلين فوافق على ذلك وامهلهم عشرة ايام لتنفيذ هذا الشرط مع الخروج من ديرة بني خالد ، وتم ذلك في وقته ، مما ارغم ابن حثلين على الهرب والالتجاء إلى محمد بن هادي بن قرملة وكان نازلا بالخفس « ماء معروف في العرمة » فلحق به الامام بقواته فهرب مرة اخرى ، وعاد الامام إلى عاصمته واذن لقواته المجاهدة بالانصراف ، وامكن فيما بعد القبض على ابن حثلين بعد ان احضره الدويش إلى الاحساء واعدم فيها وذلك في سنة ١٢٦٢ .

وفاة ابن الرشيد :

لقد دأب عبدالله بن الرشيد على منازلة عشائر عنيزة وقبائل عنزة ، فقد اغار بجمع كبير من قومه في الثالث من رمضان سنة ١٢٦١ على أهل عنيزة وسلب أموالهم ومطاياهم ، وقتل عبدالله بن سليمان أمير عنيزة واخوته وبني عمه في سجن ابن الرشيد بعد اسرهم . وفي سنة ١٢٦٣ « محرم » أرسل عبد الله بن الرشيد إلى الامام فيصل طالباً نصرته

على قبائل عنزة ، بعد ان كان اصابهم بعدة وقائع واخذ اكثر اموالهم وما لديهم من الخيل والابل والاغنام فخرجت قبائل عنزة المرابطـة في الديار السورية لمحاربة ابن الرشيد انتصاراً لاخوانهم من عنزة النازلين في نجد فأمر الامام عبـــد العزيز بن مشاري بن عياف أمير سدير بالحملة على عشائر عنزة وارسل اليه من الرياض نحو ١٥٠ مطيـة تحمل قوةً من رجاله لاسعافه في هذا الغرض ، ونزل ابن مشاري بها في الصمان ولكن ابن الرشيد كان قد قضى على اولئك الغزاة قبل وصول هذه النجدة من الامام .

وفي جماد الأول من هذه السنة عشية يوم الجمعة توفي عبد الله بن علي بن الرشيد بعد ما رجع من هذه الغزوة وتسلم امارة الجبل خلفاً له ولده طلال .



الفصل الخامس والعشرون

فِتَن وَمَذابحُ جَدِيدَة

لقد تمكن فريق من رؤساء أهل القصيم من الوصول في مطلع سنة ١٢٦٣ إلى مكة المكرمة والاجتماع إلى شريفها محمد بن عون وراحوا يشجعونه على اكتساح الديار النجدية ، ويصورون له امامها بانه ضعيف لا يملك القوة الكافية لرد اي هجوم منظم على دياره ، بسبب ان هذا الفريق من رؤساء القصيم كان يحمل الحقد والغل والحسد لامراء البيت السعودي وفي مقدمتهم الامام فيصل بن تركي ، فارادوا ان يجددوا الفتن والمذابح في البلاد لتسود الفوضى مكان الامن الطمأنينة ، وقد طمع الشريف محمد بن عون باحتلال الديار النجدية وخرج من مكة في ربيع الثاني من هذه السنة ومعه خالد بن سعود الذي كان تمكن من الهرب من الرياض أثر احتلالها من قبل ابن ثنيان ، والتجأ إلى مكة كما سبق البحث آنفاً ، وقد انضمت القوات المصرية التي كانت لديه في مكة إلى حملته ، وقصد بها القصيم ، فاطاعه أهل الاقليم بأجمعهم ،

ووفد عليه كثير من رؤساء العربان بينهم شقير بن محمد الدويش وكاتبه بعض رؤساء البلدان .

ولما دري الامام فيصل بذلك استنفر رعيته من أهل العارض والجنوب والمحمل وسدير وغيرهم واصدر أمره إلى ولده عبد الله بالركوب من الرياض على رأس قوة من الفرسان فخرج منها في شهر جماد الاول من هذه السنة قاصداً سدير ونزل في المجمعة حيث تكاملت قواته . وعلم الشريف بهذا الحشد السعودي فوقع الذعر في قلبه ونفسه ، ذلك لأن اولئك الذين اوقعوا الفتنة اقنعوه في مكة بان الامام لا يستطيع ان يتحرك من مقره في الرياض ، فأرسل الشريف إلى الامام فيصل رسولا يدعى عبد الله بن لؤي يطلب الصلح وقدم هذا الرسول على الامام في الرياض وقال له : « ان الشريف يريد ان يركب اليه واحد من اخوتك بهديه تزيح عنه ظاهر الفشل » فلبى الامام هذا الطلب ، لأنه كان – رحمه الله – يغار على دماء المسلمين من أن تهدر وتسفك جزافاً دونما سبب أو نتيجة تكون لصالح المسلمين ، واوفد الامام أخاه عبد الله يصحبه محمد بن عبد الله بن جلاجل في عشرين رجلا ومعهم ثماني نجائب عمانيات واربعة رؤوس من اطايب الخيل ، وقدموها اليه وهو في عنيزة فأكرمهم واخذ الهدية ، ولكن عناصر الشر والدس والوقيعة ابت ان تحقن الدماء فراحت تقنع الشريف بعدم قبول الهدية وردها بداعي : ان الواجب يقضي باعلام أهل نجد بقوته وان لا يخضع إلا بمكاتبته وارسال الوفود اليه ، فاذعن لهذه الدسيسة الجديدة ، ورد الهدية إلى إلى عبد الله وابن جلاجل وقدم إلى عبد الله فرساً كهدية منه اليه ، فردها عبد الله بدوره ، وعاد الرسولان الى شقرا حيث تلقاهما أهلها بالاحترام والاكرام واتفقوا على ارسال الخبر بما حصل الى الامام فيصل ، ودري الامام بذلك وامر حالا ولده عبد الله بالرحيل مع المجاهدين عن المجمع الى شقرا ، فنفذ عبد الله ذلك فوراً ولقي من الاهلين كل اكرام

وركب الامام من الرياض بأهل الخرج والجنوب والعـــارض ونزل « شمس » ، الماء المعروف قرب الوشم ، وهنا حل الرعب مرة اخرى في قلب شريف مكة واوفـد رسوله ابن لؤي مرة ثانية الى الامام فيصل للمصالحـة ، فقبل الامام وكتب الى الشريف يقـول : « ان لك عندي الاجلال والسماحة والاحتمال وقولك مقبول وما طلبت فهو مبذول بشرط انـه ليس لك في رعيتنا نهي ولا امر لا في القصيم ولا في العربان ولا في غيرهم وانك تدفـع الينا ما وصل اليك من مراسلات أهل نجد » ، فاعطاه الشريف ما اراد وارسل الامام اليه هدية من الخيل والمطايا ومبلغاً من المال ، فاخذها الشريف ورحل من القصيم في منتصف شهر رجب من هذه السنة عائداً الى مكة .

لقد اخذت البلاد تتنفس عن الخلود للراحة والاطمئنان على اموالهـا وارواحها بعد تلك الفتن العمياء ، ولكن القدر شاء ان لا يطول هـذا الشعور الكريم ، فقد ابى بعض العشائر ورؤساء للبلاد الا السير وراء الفتنة يوقظونها من مرقدها لاغراض في نفوسهم ، وكان الامام يبـذل الجهد في سبيل اقلاعهم عن غيهم ، واستعداداً لكل طارىء فقد امـر بتعيين ولده الأمير سعود أميراً على الخرج ، وقام الامام بحركـة اصلاح عام اثر تلك الفتن والحروب .

وبينما الكل منصرف الى العمل الحاسم لجعل البلاد والعباد ترفـل باثواب النعيم المقيم والعز والمجد والسؤدد ، ودخلت سنة ١٢٦٤ فـاذا بالامام يعلم ان الدعاجين من عتيبة قد اعتدوا على موكب الحج ، فسار بجنوده الى نفود السر ، وهاجم عشائر الروقة وعلمت الدعاجين بالامر وكانت مشتبكة مع الروقة بقتال فانهزمت ، ولما علم الامام بالواقع اعاد للروقة جميع ما اخذ منها .

فتنة القصيم الكبرى :

دخلت سنة ١٢٧٥ ، وبعض رؤساء أهل القصيم يحترقون كالهشيم في النيران ، غيظاً وحسداً وبغضاً للامام العادل والبطل المجاهد الأمير فيصل ابن تركي ، وقد زاد غيظهم وحسدهم وبغضهم بعد فشلهم في اشعال نار الحرب ، بين شريف مكة والامام ، وما كاد شريف مكة يعود الى مكة المكرمة وترك عنيزة الى أهلها ، حتى شعر الإمام بان اميرها ابراهيم بن سليمان بن زامل ليس من المخلصين في أعماله وادارته وسياسته للأمام ذلك لأن شريف مكة محمد بن عون لم يدخلها الا باذنه ، وقدم الى الامام ناصر بن عبد الرحمن السحيمي من أهل سوق العقيلية المعروفة في عنيزة فاعلم الامام بانه مع عشيرته طوعاً له ويرجو ان يعينه أميراً على البلدة فيكون له عوناً وظهيراً فاستعمله الامام أميراً عليها وعزل ابراهيم وكتب معه إلى أهل عنيزة قائلا : « اني استعملته عليكم أميراً فاسمعوا له واطيعوا » وحضهم على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمحافظة على الصلوات وانواع الطاعات ، وامر الامام السحيمي ان ينزل القصر ، فقدم اليها واخرج آل زامل منه واوعز إلى أخيه الضرير بأن ينزله وجعل فيه عدة رجال فضبطوه واستقام الامر وبايعه أهلها على السمع والطاعة .

وحيال هذا الاجراء اراد عبد الله بن يحيى بن سليمان واعوانه الفتك بالسحيمي ، فرصدوا له وهو في طريقه ورموه بثلاثة عيارات نارية اصيب بواحدة منها دون ان تقتله واستطاع الوصول إلى بيته سالماً واغلق بابه ، وقصد عبد الله بن يحيى واعوانه القصر فوجدوه مغلقاً وضاقت بهم البلد فانهزموا منها الى بريدة واقاموا لدى أميرها عبد العزيز آل محمد ، وبعث إلى الامام يرجوه بعدم مسهم باذى بداعي انهم لم يقوموا بعملهم إلا بسبب امور اتاها السحيمي فكان لعبد العزيز ما اراد .

وفي هذه الاثناء ارسل الضرير مطلق السحيمي بعض رجاله إلى رجل من اعوان آل زامل فضربوه حتى مات ، ولما شفي ناصر السحيمي من جرحه قبض على ابراهيم بن سليمان بن زامل المذكور وقتله وجرح سقيقه علي وهرب السحيمي إلى المذنب ، فكتب الامام إلى السحيمي مهدداً متوعداً والزمه على القدوم اليه والجاوس مع خصمه لدى حاكم الشرع ، وارسل الامام عبد الله المداوي ومعه عدد من الرجال إلى عنيزة وامره باحتلال القصر وذلك بسبب هذه الفتن وامل وضع حد لها ، وذهب المداوي الى عنيزة ولكن الضرير السحيمي رفض اخلاءه ثم عاد وقبل وسلم القصر للمداوي ، فكتب المداوي إلى الامام بذلك .

وفي هذه الاثناء ظهرت من أهل عنيزة علامات التمرد ودلائل العصيان ، ثم رفعوا فعلا راية الحرب واغلقوا باب بلدهم ليلا ، واجتمعوا لدى المداوي باسلحتهم .

ولما علم الامام فيصل بهذه الحركة ، خشي ان تتظاهر البلدان وتجمع على اعلان الحرب ، واستغل السحيمي الفرصة وقال للامام : « اطلقني وانا امزق هذه الفتنة » وعاهده على ذلك ، ثم طلب اليه ان يتجهز بجموع المسلمين وينزل ادنى بلدان القصيم ليكون حامياً له من الخلف ، فاطلقه الامام وسار السحيمي إلى عنيزة وذلك في شهر جماد الاول من هذه السنة ، وما ان وصل البلدة حتى وجد اهلها قد اجمعوا على الحرب ، فدخل فيما دخلوا فيه واخلف وعده ونقض عهده ... وقال لرؤساء عنيزة بان لا طاقة لهم على الحرب لينكث عبدالعزيز بن محمد ميثاقه ونكون في الحرب سواء ، وكان يومذاك قد غزا اهل القصيم ونزل على جراب « ماء معروف قرب سدير » واقام مدة شهر يزرع الخوف في قلوب الاهلين فارسل اهل عنيزة اليه ورحل من مكانه وقدم الى عنيزة برجاله وعاهد أهلها وعاهدوه ،

واعلموه بانه الأمير على الجميع ، فنقض بدوره عهده واخلف وعده وقال لهم جملته المأثورة : « الحرب الي وعندي . والصلح الي ومني » فجمعوا جموعاً كثيرة من جميع ديارهم وممن حولهم واستعدوا للحرب .

حملة الإمام فيصل :

وكان الامام فيصل قد اصدر اوامره لرعيته بالاستعداد للحرب وخرج بجموعه من الرياض ، في يوم الخميس السادس والعشرين من شهر ربيع الثاني من هذه السنة ، وركب معه ولداه عبد الله ومحمد ثم لحق به ولده سعود يقود أهل الخرج ، وكان في مقدمة سرايا الجهاد اخوه جاوي بن تركي وكبار عشيرته والشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبدالرحمن ابن حسن اماماً له وقاضياً ، والشيخ عبد الله بن جبر قاضي بلدة منفوحة اماماً لابنه عبد الله واستخلف اخاه عبد الله أميراً على الرياض وامره بعدم الخروج من القصر ، وامر الشيخ عبد العزيز بن عيبان بان يكون عنده مذكراً ، وسار الامام فيصل بمن معه من المسلمين المجاهدين إلى الاحساء حيث التحق بــه عدد كبير من رجال القتال ، ولما استقر عنده العلم بان أهل القصيم قرروا نهائياً قتاله رحل عن الاحساء الى ارض سدير ومنها الى المجمعة ، وفي صلاة الصبح رحل الامام بجنوده وانزلهم في رأس وادي المجمعة ثم دخلها ومعه اكثر من ٣٠٠ فارس ونزل لدى الأمير محمد السديري ودخل عبد الله بن فيصل بلدة حرمه ومعه الشيخ عبد الله بن جبر ونزل لدى محمد بن عبد الله بن جلاجل ، ثم ركب الامام بعد صلاة الظهر وبات ليله لدى جنوده ثم رحل ونزل قرب بلدة الجريفة ، ورحل منها الى بلدة اشيقر ومنها ذهب الى السر ثم الى ساجر واقام اياماً وامر اولاد يحيى بن سليمان بالرحيل الى العوشزيات لعل

فرصة تحصل لهم للعمل المفيد في البلدة ، ورحل الامام الى المذنب فبايعه أهلها ، واوعز كذلك إلى محمد السديري ومنْ معه من رجال سدير بالرحيل إلى العوشزيات ايضاً ، واستنفر هو اهالي بلدان الوشم وسدير والمحمل فخفوا اليه طائعين مختارين ، ثم كتب الامام إلى أهل القصيم ذاكراً لهم : انه لا يستقيم دين إلا بجماعة ولا تكون جماعة إلا بالسمع والطاعة وقال لهم : « لقد نبذتم امرنا وخرجتم عن طاعتنا ، وقد علمتم ان الحرب وقودها الرجال وانه ليعزّ عليكم قتل رجل من المسلمينْ فلا تكونوا سبباً في اهراق دمائكم وادخلوا فيما دخلتم فيه انتم وآباؤكم » .

ولما تلقى رؤساء القوم هذا الكتاب ارسلوا إلى الامام رجلا من رؤساء أهل بريدة اسمه مهنا الصالح ، وقال للامام انه اتى يطلب الصلح ، وما زال يتودد إلى الامام حتى كتب معه رسالة قال الامام فيها : ان على القوم دفع الزكاة والركوب معه غزاة ويدخلون في الجماعة والسمع والطاعة » وعاد الرسول المذكور اليهم بذلك ، وتحقق لدى الامام قبولهم بمطالبه وشروطه لكثرة ما تحدث به الرسول عن قبولهم النصح والارشاد .

وفي هذه الاثناء علم الامام ان عرباناً من الدهامشة « عنزة » ورئيسهم ثلاب الفنتشة قد نزلوا على الطرفيه « الماء المعروف في القصيم » ، فارسل ولده عبدالله بقوة من جنوده لتأديبهم واعلم ولده بعدم التحرش بأهل القصيم زاعماً ان الامان قد صدر عنه لهم واوصاه بعدم التعرض لهم بسوء ، وتحركْ عبدالله بن الامام ومعه الشيخ عبد الله بن جبر وقوته عبارة عن ٣٠٠ هجان ، وفي الطريق شاهد قافلة لأهل القصيم ، فتركها وهنا سبقه النذير الى عربان الدهامشة فهربوا وتبعهم الأمير عبد الله بقوته واخذوا بعض الاغنام والاموال ، وتمكن بعضهم من الهرب الى عنيزة فاستصرخ عبد العزيز جنوده وحرض أهل البلدة على مهاجمة عبد الله

الفيصل ، وسار من عنيزة بقوة يضيق بها السهل والجبل ، ولما تجاوز بريدة استنفر أهلها وتبعه فريق منهم ، وهنا صادفه فريق من جنود عبد الله الفيصل ومعهم بعض الاغنام التي اخذوها من العربان فاستردها واعتقل ذلك العدد الضئيل من الجند ، فنصحه بعض عقلاء قومه بان يكتفي بما حصل ، ولكنه رفض ذلك وسار بقواته ونزل النفود الشهيرة باسم اليتيمة وتقع بين الشماسية والطعمة وكمن للقوات السعودية فيها .

وقعة اليتيمة :

وكان عبد الله لما رحل عن الطرفية أرسل إلى والده يبشره بما أخذ من اولئك الاعراب ، ولكن البشير كان عثر على آثار أهل القصيم فرجع إلى عبد الله واخبره بذلك وتشاور مع رؤساء قومه وكان فيهم هذال بن بصيص رئيس عربان برية فاقترح ان يترك العدو يميناً أو شمالا فان لحق بهم قاتلوه وان تركهم تركوه ، فقال عبد الله الفيصل : « لا والله لا بد أن يطأهم جيشنا » ، وراح يحث المجاهدين ويشجعهم ، ثم اشاروا عليه بجمع الغنائم التي معهم وطردها بالخيل ويكون القتال في اعقابها ، فركب عبد الله الفيصل وهو البطل الاروع الاغلب وصال وجال وهلل وكبر ، وحمل حملة صدق واولئك الابطال معه ، فانقضوا على العصاة كالنسور ، وراحوا يفتكون بهم بشجاعة وبسالة إلى أن اظلم النهار من نقع الغبار ، وراحت سنابك خيول المجاهدين تطأ هامات الاعداء وكأنها الاكر تتدحرج على الحصباء ، وما عتم أهل الشر حتى ولوا الادبار منهزمين وذهل الوالد عن ولده وطلب المنهزم السلامة ورمى ما بيده ودام الضرب في

اقفيتهم بعد ان كان في صدورهم ، وكان البطل الواحد من مجاهدي الامام يفتك في أكثر من عشرين رجلا ، ولما رأى عبد الله الفيصل ما حل بالقوم اشفق عليهم وكف عنهم ، وانهزم رئيسهم عبد العزيز وشرذمة من جماعته معه إلى قصر الطعمية وحاصروا فيه ، واخذ عبد الله وصحبه جميع ما تركه المنهزمون من خيل وابل وأموال وغنائم وسلاح ، ثم تمكن عبد العزيز من الخروج مع جماعته من القصر وهربوا إلى عنيزة ، ومن شرد من قومه وصل إلى بريدة .

ولما وصلت أنباء هذه الموقعة إلى الامام فيصل حمد الله تعالى وارسل إلى ولده بالامتناع عن الغناء واللعب بحيث لا يأخذه الكبرياء وتسابق القوم إلى الامام يطلبون العفو والاحسان .

واراد عبد العزيز ان يستنفر أهل عنيزة مرة اخرى فلم يفلح ورحل إلى بريدة ، بعد ان هربت عنه جنوده ورجاله ، وزحف سكان عنيزة إلى الامير عبد الله الفيصل يرجونه التوسط لدى الامام والده ، وخاف عبد الله مغبة تدخله فطلب اليهم ان يتقدم محمد بن عبد الرحمن ابن بسام بكفالتهم عن المخالفات ، وكان ابن بسام من خيار رؤسائهم مقبول القول فيهم ، فركب ابن بسام إلى الامام وهو في المذنب وعرض عليه طلب العفو فأجابه إلى طلبه وصفح عن الجميع ، ثم قدم الامام إلى عنيزة وضبطها وبايعه المسلمون على السمع والطاعة ، وخشي الاهلون من قيام الامام بحركة تبعد بعض الرؤساء عن أهلهم وذويهم ، فاعلن الامام بصريح عبارته : « زلة مغفورة وخطيئة مستورة ولكم منا الامان ولنا عليكم الاحسان » .

ثم تدخل أهل الخير لدى الامام واولاده فأصدر عفوه عن عبد العزيز بن محمد وسمح له بأن يسكن بريدة وجعله أميراً عليها مرة اخرى .

الفصل السادس والعشرون

الإِمَامُ يَحتَلُّ قَطَر وَٱلْبَحْرَين

لقد رحل الامام فيصل إلى عاصمة ملكه بعد ان قام بتأديب بعض العصاة ، ودخلت سنة ١٢٦٦ ، وقد عظم الامر على عبد العزيز ابن محمد أمير بريدة « وابت نفسه الجاحدة ان تستكن فتريح وتستريح فما ان استقر كامير في بريدة حتى اوعز لرجاله بالاستعداد لقتال الامير فيصل ، وخرج على رأسهم لهذا الغرض ، ولكنه في الطريق ترك رجاله ونساءه وامواله وقصد شريف مكة ابن عون يصحبه اولاده .

ولما علم الامام بذلك رحل بقواته إلى بريدة واستدعى اخوة عبد العزيز اليه واعلمهم : بأن أخاهم هرب من البلد بلا سبب اتاه من الامام فلذا لم يبق له في ذمته أي شيء ، وخشي اخوته على اموال اخيهم ان يصادرها الامام فتلطفوا لديه بالكلام وطلبوا الصفح والاحسان ، فترك الامام لهم جميع امواله واستعمل في بريدة اخاه

المحسن بن محمد أميراً واستعمل على بيت مال القصيم عبد العزيز بن الشيخ عبد الله ابي بطين وعاد إلى عاصمة ملكه ، وصرف قواته المجاهدة إلى بلادها .

واما عبد العزيز بن محمد فانه لما وصل إلى مكة اهدى إلى شريفها ما كان معه من خيل وسلاح ، فوعده الشريف ومناه وبعد الحصول على هداياه جفاه وقلاه وقطع بعض الخراجْ الذي كان اجراه وذلك بسبب ان الشريف علم بأن الأمير عبد الله نجل الامام فيصل قد تحرك إلى الحجاز .

وفي اول هذه السنة عزل الامام فيصل سعد بن مطلق السديري عن أمارة الاحساء لسوء تدبيره نحو عمان ، وعين مكانه غيره ، وفي آخر السنة تحرك الأمير عبد الله بن فيصل بقواته ، باستثناء أهل القصيم ، فأن الشريف محمد بن عون أخذ يراسل الامام في موضوع عبد العزيز الموجود لديه ، فامرهم بعدم اشتراكهم في القتال حتى يبت بأمر عبد العزيز ، فخرج عبد الله من الرياض في يوم الجمعة التاسع عشر من ذي الحجة من هذه السنة وتبعه عدد كبير من عربان قحطان وسبيع والسهول وغيرهم ونزل بلد القريعية واجتمع اليه فيها جميع المجاهدين ، ثم رحل بقواته إلى « الشبكة » ثم ورد ماء المصلوب في النير ، ومنه تحرك إلى الحنايج ، ومنها ذهب إلى الوشم ونزل بلدة شقرا واقام فيها بأمر من والده الامام .

وفي الثامن من شهر محرم سنة ١٢٦٧ تحرك الامام فيصل من الرياض ومعه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن قاضياً للمسلمين ومذكراً ومدرساً لهم ، واستدعى الامام ولده عبد الله وقواته من شقرا ، وسار بجميع هذه القوات إلى جهة الاحساء ، واشترك في الحملة جماعات الاحساء والقطيف وقدم عليه الأمير أحمد بن محمد السديري ، وجماعات من بني هاجر وآخرين من آل مرة ووصل اليه حزام بن حثلين ورؤساء

العجمان ، وأقام الامام بهذه القوات مدة شهر على ماء النجيبة الكائن بين الاحساء والقطيف .

وكان الامام قصد البحرين ، فقد بلغه ان أهلها ارتكبوا بعض المخالفات وقطعوا شيئاً من الخراج الموضوع عليهم وعبثاً حاول شيوخ البحرين المصالحة فقد اصر الامام على رفضه ذلك وتحرك إلى اقليم قطر ونزل القارة « ماء معروف على شاطىء البحر » ثم نزل على « عريق سلوة » الماء المعروف قرب قطر .

وكان علي بن خليفة شقيق رئيس البحرين قد نزل في قصر البدع المعروف في اقليم قطر ومعه عدد من رجاله وجعل فيه كميات من مواد الغذاء والبارود والرصاص والمدافع وآلات الحصار . فأوعز الامام فيصل إلى ولده عبد الله بمحاصرة هذا القصر ، وتحرك عبد الله بسرية من قواته نحو القصر وضرب الحصار حوله فهرب علي بن خليفة ومن معه منه وركبوا السفن تاركين فيه جميع متاعهم وطعامهم والسلاح المذكور ، ولما علم أهل قطر بذلك طلبوا الامان من الامام فامنهم وبايعوه على السمع والطاعة .

وفي هذه الاثناء كانت رسائل شريف مكة لا تزال ترد إلى الامام فيصل طالباً فيها العفو عن عبد العزيز بن محمد ، فقبل الامام ذلك لما فطر عليه من حقن دماء المسلمين والرغبة في فعل الخير . واشترط الامام عليه أن يأتي عبد العزيز في ركاب الامير جلوي إلى قطر ومعها أهل القصيم وذلك بعد خروج عبد العزيز من مكة المكرمة والعودة إلى بريدة ، وفي ربيع الاول من هذه السنة قدم عبد العزيز على الامام فيصل واعترف باخطائه ، فغفرها الامام له واستعمله أميراً على بريدة .

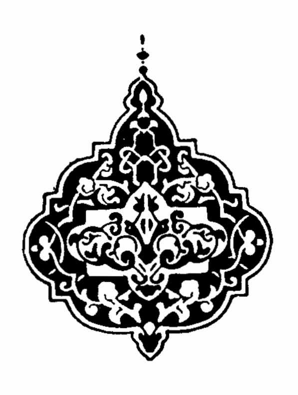
احتلال البحرين :

لقد اطاع أهل قطر الامام وبايعوه بامانة واخلاص ، فرحل من العريق ونزل مسيمير « ماء معروف في قطر على سيف البحر » وارسل الامام أحمد السديري ومعه بعض القوات للمحافظة على القصر ، وامر على ربابنة السفن التي يملكها أهل قطر وعددها نحو ٣٠٠ سفينة بوجوب تجهيزها ، ثم وضع فيها قوات من رجاله واوعز إلى اولاد عبد الله بن خليفة الجالين عن البحرين بالركوب في سفنهم والسفر فيها إلى بلادهم .

وكان أهل البحرين قد أرسلوا إلى سعيد بن طحنون رئيس اقليم في ظبي قرب عمان يستحثونه ويطلبون منه النصرة وكان يملك قوة ومالا ومجموعة من السفن ، فقدم عليهم بعدد منها مليئة بالرجال ، وما ان وصل إلى المكان الذي يحتله الامام فيصل حتى داخله الخوف ، فارسل إلى الامام يطلب الصلح لأهل البحرين ، فقبل الامام ذلك مشترطاً قدوم بن طحنون بدائه اليه واعطائه الامان على يدي احمد السديري ، فركب ومعه هدايا غالية قدمها إلى الامام ، واعترف بما صدر عنه من اخطاء مطالباً بالسماح ، فكان ذلك ، وطلب المصالحة من أهل البحرين فقبل الامام بذلك شريطة ان يتابعوا دفع الخراج النابق واللاحق فدفع أهل البحرين ذلك بسرعة ، وعمت الافراح جميع الجهات لما من الله على هذه الاقاليم بالاجتماع إلى امام واحد .

واوعز الامام إلى الامير أحمد السديري بأن يصلح الثغور ويقوم بمصالحة الجميع ، فتم له ما اراد ، وعينه أميراً على الاحساء ثم على عمان وعين ابنه تركي بعد ابيه أميراً للاحساء ، وابنه الثاني محمد أميراً على سدير ومنيخ وما يليه وعبد المحسن أميراً على بلدهم الغاط .

وبعد ان أقام الامام عشرين يوماً في الاحساء قفل راجعاً إلى عاصمته وارجع المجاهدين من رجاله إلى اوطانهم ، وقدمت عليه الوفود من كل مكان فبايعته على السمع والطاعة واسبل الله على ديار نجد ستار الأمن والدعة والخير والبركة .



الفصل السابع والعشرون

حَمْلَةٌ مِصْرِيَّة جَدِيْدَة وَٱنْدِحَارِهَا

دخلت سنة ١٢٦٨ والبلاد في راحة وعز وامان ، ولكن دسائس الباب العالي لم تترك الوضع على ما هو عليه خشية قيام البيت السعودي بأداء رسالته القومية العالية في اعادة تأسيس الامبراطورية العربية ، فهذا البيت العربي العريق المجيد ، هو الذي عمل دائماً وابداً في هذا السبيل القويم ، كما تدل وتشهد وقائع هذا الكتاب ، وكما اثبت مؤرخو القضية العربية أصحاب الضمائر الحية ، لا كما اراد اصحاب الغايات والمأجورون اثباته في بعض مؤلفاتهم ، بأن الغرض من اكتساح محمد علي باشا والي مصر الديار النجدية والحجازية هو تأسيس امبراطورية عربية جديدة أو بعث الامبراطورية القديمة ، ولو كان محمد علي صاحب مصر صادقاً في دعواه لسلك هذا السبيل اثناء احتلاله البلاد بكاملها . ولما اقدم على احراق وتدمير العاصمة وغيرها من البلدان النجدية ، والحقيقة الثابتة ثبوت اليقين هي : ان محمد علي باشا ، وهو

الرجل الالباني الأصل ، والعامل في خدمة الجيش العثماني ، اراد تمزيق شمل البيت السعودي « تنفيذاً لسياسة البـــاب العـالي فـــي القسطنطينية ابان سيطرة سلاطين آل عثمان على دنيـــا العرب من حد إلى حد !!!

لقد قدم المدينة المنورة في هذه السنة قوات عسكرية مصرية جديـدة أوفدها والي مصر عباس باشا ابن أحمد طوسون بن محمد علي باشا ، وسرت الاخبار بسرعة تفيد : ان هــذه القوات تريـد احتلال نجـد مرة اخرى .

وفي شهر جماد الثاني من هذه السنة خرج محمد بن ناصر على رأس حملة مصرية من المدينة المنورة وانضم اليه عدد كبير من عربان حرب فاغار على ابن سقيان من بني عبد الله ، على الفوارة ، وبعد سلب عشيرته عاد إلى المدينة المنورة ، وهنا كثرت الاراجيف من الاعداء ، وبعد ذلك بايام أعاد محمد بن ناصر سيرته بالهجوم على عرب الضيط من عتيبـــة فسلبهم وعاد إلى المدينة .

ولما وصلت هذه الأخبار إلى الامام فيصل أمر على رعاياه بالجهـاد وخرج من الرياض بقواته ونزل المجمعة حيث اجتمع اليه المجاهدون من بلدان سدير والمحمل والوشم والقصيم .

وفي شهر رمضان جاءت الاخبار الى الامام تقول : ان عباس باشا والي مصر قد جهز قوات عسكرية كبيرة إلى بلدان عسير ، وانه اوعز إلى قواته التي في المدينة المنورة باللحاق بها ، وان القوات تحركت فعلا نحو عسير ، فاطمأن بال الامام والعباد ، وارتحل الامام بجنوده إلى الرياض واعاد المجاهدين إلى أوطانهم .

ودخلت سنة ١٢٦٩ والقوات المصرية تنـــازل فعـلا أهـالي اقليـم عسير ورئيسها عامذاك عائض بن مرعي ، فتمكـــن هــــذا بفضـــل مـــا اظهره شعبه من التضامن والتـكاتف من استئصـــال القوات الغازية ،

ففي كل موقعة كان أهل عسير ينتصرون على الغازين المعتدين إلى أن ولوا الادبار غانمين من جميع حروبهم بالاياب !!!

فتن ومفاسد جديدة :

وفي شهر شعبان من سنة ١٢٧٠ هجرية قام أهل عنيزة على الأمير جلوي بن تركي أمير البلدة واخرجوه منها ، وكان أخوه الامام فيصل عينه أميراً لها في سنة ١٢٦٥ ، فسار جلوي وجماعته إلى بريدة وكتب إلى أخيه الامام فيصل يعلمه بما حدث ، وكان العالم عبدالله بن عبد الرحمن ابي بطين قاضياً في عنيزة وعلى بلدان القصيم ، فلما دري بابعاد جلوي خرج هو من تلقاء نفسه ومعه حرمه إلى بريدة ، وجعل عبدالله بن يحيى بن سليم نفسه أميراً على البلدة .

ولما تلقى الامام فيصل هذه الاخبار كتب إلى جميع البلدان بالجهاد ، وارسل عبد الرحمن بن ابراهيم إلى بريدة ومعه سرية من أهل الرياض ، ورافقه في الجهاد جميع اهالي ضرمى والقويعية ، وامره بقطع سابلة أهل عنيزة ، فتوجه عبد الرحمن وقواته واغار على اطراف عنيزة واخذ ما وجده من المواشي ، ثم توجه إلى بريدة .

وفي الثالث من شهر ذي الحجة خرج عبد الله بن الامام فيصل من الرياض إلى شقرا فوجد المجاهدين من أهل سدير والوشم ينتظرونه ، وذلك في يوم عيد الاضحى ، فسار بهذه القوات الى عنيزة ، وفي الخامس والعشرين من الشهر ذاته أغار على أهل الوادي وانزل بهم القصاص الذي يستحقونه ، وفي هذه الاثناء خرج أهل عنيزة ومعهم عدد كبير من أهل القصيم ومن عربان البادية ، ووقعت بين الطرفين معركة عنيفة ، قتل فيها من الطرفين عدد كبير بينهم أمير بلدة ثادق سعد

بن محمد بن سويلم ، وبعد هذه المعركة رحل عبد الله بن الامام فيصل بقواته إلى العوشزية ومنها إلى روضة الربيعية ، وهنا قدم عليه طلال بن عبد الله بن الرشيد يقود قوات من أهل جبل شمر الحضر والبادية .

وفي سنة ١٢٧١ التحق عدد آخر من المجاهدين بقوات عبد الله الفيصل ، وسار بهم لقتال أهل عنيزة ونزل الحميدية ومنها إلى الغزيلية ، وحيال هذه القوات الدافقة من المجاهدين طلب أهل عنيزة الصلح ، وكان والده الامام اعلمه بتلبية طلبهم الصلح فيما اذا تقدموا به اليه ، حقناً لدماء المسلمين شريطة أن يكون على يدي الامام فيصل ومعرفته بذاته ، وقبل عبد الله الفيصل ذلك على هذا الشرط ، وكتب رؤساء البلدة إلى الامام بذلك واجابهم على طلبهم بما عرف عنه من تسامح ، واشفاق على المسلمين ، واعطاهم الامان على ان يقدم عبد الله اليحيى بن سليم إلى الرياض ، فلبى عبد الله ذلك وطلب من الامام العفو فصفح عنه لقاء امور التزم بها عبد الله ل يحيى المذكور ورجع إلى بلده ، وامر الامام ولده بالعودة إلى الرياض واعادة المجاهدين إلى ديارهم . فعاد عبد الله ومعه عمه جلوي .

لقد استمر الامام فيصل بن تركي على العمل الجدي المفيد لنشر الوية السلام في مختلف ديار مملكته ، سحابة سنة ١٢٧٢ و ١٢٧٣ هـ ، وفي الثالث عشر من شعبان ١٢٧٤ توفي الحميدي بن فيصل بن وطبان الدويش شيخ عشائر مطير ، كما توفي الشريف محمد بن عبدالمعين بن عون بن محسن بن عبدالله بن حسين بن عبدالله بن حسن بن ابي نمي وعمره نحو سبعين سنة وقد خلف ستة اولاد هم : عبد الله وعلي وحسين وعون وسلطان وعون الله ، وتولى امارة مكة بعده ولده عبد الله .

وفي سنة ١٢٧٥ قتل عبد الله آل يحيى السليم ، ناصر بن عبد

الرحمن بن عبد الله السحيمي بسبب ان السحيمي ايام امــارتــه علــى عنيزة قــد قتل ابراهيم بن سليم ، وذلــك في سنة ١٢٦٥ كمـــا سبق ذكره .

عصيان العجمان وتأديبهم :

عشيرة العجمان هي في الأصل من همدان من قحطان وينتسب قادتها ورؤساؤها إلى مذكر بن يام بن اصبا بن رافع بن مالك بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان ، وذلك معروف في كتب الانساب العربية وقد كانت مساكنهم قبلا في نجران ثم ساروا إلى نجد ولم يكن لهم في ذلك الوقت قوة يعتصمون بها امام العشائر والقبائل ، فلذا كانوا يحالفون العربان وينزلون ويرحلون معهم ، وفي عهد الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود اخذ رؤساء هذه العشيرة يحضرون مجلس الامام ، ويبدون من الاخلاص ما جعله يبذل لهم الاحسان ، وجمعهم على رئيسهم فلاح بن حثلين وانزلهم ديرة بني خالد ، فأصبحت لهم شوكة ، وكبر امرهم ، ولمــا تولى الامام فيصل منصب الامامة خلفاً لأبيه – رحمه الله – عاملهم برفق ومعروف ولين ، ولكنهم وقد كبر امرهم ، لم يبقوا على عهدهم ، فقد سلبوا قوافل الحجيج في سنة ١٢٦١ ممـــا ارغم الامام فيصل على تأديب رئيسهم ابن حثلين ولكنه عاد وعفا عنه ، كما ورد ايضاحه .

وفي سنة ١٢٧٦ ، نفخ الشيطان في انف راكان بن فلاح بن حثلين فتنكر للبيت الذي آواه كما آوى والده من قبله وجعل له كياناً يعتد به بين القبــائل والعشائر ، فقد أصبح أمهر من أبيه واغار على ابل الامام فيصــل ونهــب بعضهــا ورحل بهــا من ديرة بني خالد وعربانـــه معــه إلى جهة الشمال ونزلوا على مــاء الصبيحــة المعروف بالقرب من

الكويت .

وفي شهر شعبان من هـذه السنة امر الامام فيصل على رعـايـاه من بدو وحضر بالجهـاد ، وقـاد الحملة الامير عبد الله الفيصل ، في آخر هذا الشهر ، وفي موقع « الدجاني » وافاه ابطال الكفـاح من الوشم وسدير والمحمـل ، وبعد ثلاثة ايام رحل وتبعه عربان مطير الى ماء الوفراء وعليه عربان من العجمان ، فداهمهم ليلا وفتك بهم ، ولكن بقاياهم شردوا إلى الصبيحـة ، وعليها آل سليمان وابن سريعة من العجمان ، ثم ارتحل عبد الله من الوفراء ، وهاجم القوم على الصبيحة المذكورة وفتك بهم ، ووصلت شرائدهم إلى مقر ابن حثلين وجماعته وهم نزولا على « الجهراء » وتابـع الامير عبد الله سيره إلى « ملح » وهنا عمـد رؤساء العجمان إلى تشجيع بعضهم بعضاً ، وذلك بوضع سبعة هوادج على سبع من المطايا ، واركبوا في كل هودج فتاة جميلة من بنات الرؤساء محلاة بالزينة ، وذلك لتشجيع الفتيان وايقاد نار الحماسة في صدور الفرسان والابطال ، فيقاتلون العدو قتال المتهالك اليائس ، وهي عادة جاهلية بقيت حتى قبل مدة وجيزة من الزمن .

وقد قرن العجمان هذه الهوادج السبعة إلى بعضها وساقوها امامهـم وقصدوا قتال عبد الله الفيصل ومن معه من المجاهدين ، والتقى الطرفان ، في قتال مرير شديد الوقع استبسل فيه المجاهدون وباعوا أنفسهم بيـع السماح ، إلى ان تمكنوا من الفتك بالعجمان فشردوا دون أن يلوون على شيء وتركوا الهوادج ومن فيها ، وقتل منهم في هذه الوقعة حوالي ٧٠٠ رجل ، وغنمت قوات الأمير عبد الله جميـع ما يملكه العجمان من مال وطعام وكساء واغنام وابل وخيول وكانت هذه الوقعة في السابـع عشر من رمضان هذه السنة ، وانهزمت شرائدهم إلى الكويت وعبد الله الفيصل بقي على « الجهرا » عدة أيام ارسل خلالها البشارة إلى والده الامـام فيصل بانهزام العجمان فحصل الفرح والسرور ، ووصلت أنباء هـذه

الوقعة إلى الزبير والبصرة في العراق ففرح الاهلون بها ايضاً لأن العجمان كانوا قد اكثروا من الغارات عليهم وعلى جيرانهم وارسل والي البصرة إلى الأمير عبد الله الفيصل هدايا كثيرة صحبة النقيب محمد سعيد وارسل اليه رئيس بلدية الزبير سليمان عبـــــد الرزاق بن زهير هدية سنية ، ورحل عبدالله من الجهراء إلى الرياض واذن لمن معه من المجاهـديـن بالعودة إلى ديارهم .

فتن العجمان الجديدة :

لقد اذهلت هذه الضربة القاصمة رؤساء العجمان ، ودخلـــت سنة ١٢٧٧ ، وهم في حيرة ووجوم ، ثم عقدوا اجتماعاً تشاوروا فيـه بأمرهم ، وقرروا في النهاية السير إلى عربان المنتفق والالتجاء اليهم وطلب مساعدتهم ، ونفذوا قرارهم هذا بالفعل ، وقبل عربان المنتفق ضيوفهم بسرور ، وتحالف الفريقان وتعاهدا على التعاون معاً ضد كل من قصدهما بحرب ، وعلى محاربة أهل نجد من البدو والحضر باستثناء من يدخل في طاعة رؤساء الفريقين ، وراح الفرسان منهم يشنون الغارة تلو الغاره على اطراف الاحساء وعلى اهل نجد ، مما جعل للعجمان ولعربان المنتفـق أهمية وعزة ومنعة ، وخشي منهم أهل البصرة والزبير وكثرت الاغارات منهم على اطراف الزبير والبصرة والكويت ، مما ارغم والي البصرة سليمان باشا على تدارك الموقف باستدعاء سليمان بن عبد الرزاق بن زهير رئيس بلدة الزبير وتكليفه بجميع الجنود من الموجودين في تلك الديار من أهل نجد ، ودفع اليه مبالغ جيدة من المـال لهـذا الغرض ، وراح سليمان ينفق بسخاء ، إلى أن تجمع لديه عدد كبير من الخلق ورجال الحرب ، ومن ناحية اخرى ، فقد اجمع عربان العجـمان وعربان المنتفق رأيهـم

على الرحيل إلى البصرة والنزول بالقرب منها ، واخذ كميات من التمر تكفيهم سنتهم تلك ، ويتوجهون بعد ذلك إلى محاربة أهل نجد في داخل ديارهم ، وتوجهت قوات الطرفين فعلاً إلى البصرة ، ونزلت قربها ثم انتشرت بين نخيلها وراح فرسانها ينهبون ويعيثون فيه فساداً ، فخرج سليمان بن عبد الرزاق بن زهير بمن معه من أهل نجد ومن أهل الزبير ووالي البصرة يرافقه جنده ، ونازلوا عربان المنتفق ومن معهم من العجمان ودار بين الفريقين قتال شديد اضطر العجمان ورفاقهم بنتائجه إلى الانهزام من النخيل ، ودارت رحى المعركة بينهما في الصحراء ، فاذا بالعجمان وانصارهم يولون الادبار ، بعد سقوط عدد كبير منهم بين قتيل وجريح ونزحوا إلى « كويبدة » و « كابدة » و « الجهرا » ولما وصل خبر هذه الموقعة إلى ناصر بن راشد بن تامر بن سعدون رئيس المنتفق في سوق الشيوخ « من اعمال العراق » اتى من يخبره ايضاً : ان والي البصرة يعتزم مصادرة املاك أهل المنتفق الكائنة في ولايته « البصرة » وهي كثيرة ورثها آل السعدون عن آبائهم واجدادهم ، الامر الذي ارغمه على ارسال رسالة إلى والي البصرة واخرى إلى سليمان بن عبد الرزاق بن زهير يقول فيها : ان الاعراب الذين قاموا بهذه الحوادث من بادية السعدون وانما هم من بادية نجد ونزلوا بجوار بعض عربان المنتفق ثم عادوا إلى بلادهم والذين معهم من بادية العراق حضروا يطلبون المرعى لمواشيهم ، ووقعت الحوادث من عربان العجمان وشملت من كان معهم ، إلى أن قال في رسالته : « أما نحن فعلى ما تعهدون من الصداقة بيننا وبينكم والطاعة للدولة » وتبادل الطرفان مثل هذه الرسائل إلى أن صلح أمر آل السعدون ولم يتعرض والي البصرة لاملاكهم فيها .

ووصلت انباء هذه الحوادث إلى الامام فيصل واضيف اليها : ان العجمان ساروا مع عربان المنتفق الى أرض الكويت وقصدهم محاربة المسلمين ، فاوعز الى رعايا مملكته بوجوب الجهاد وطلب اليهم

ان يكون الاجتماع العام في الخفنة « وهي خبراء – أي بقعة ترقد فيها المياه » وفي آخر شهر شعبان من هذه السنة امر الامام ولده عبدالله بالسير على رأس القوات التي تجمعت لديه لقتال العدو فتحرك الأمير عبدالله الفيصل من الرياض ومعه أهلها وأهل الخرج وضرمى والجنوب وعشائر الرياض من سبيع والسهول ، إلى الخفنة وبعد بضعة ايام تحرك بقواته منها إلى « الوفراء » حيث التحق به عدد كبير من عربان مطير وبني هاجر ، ثم حث السير نحو « الخبراء » « قرب الكويت » ودهم العجمان ومن معهم من أهل المنتفق في الصباح ودارت المعركة عنيفة بين الطرفين ، واستبسل صناديد الأمير عبد الله الفيصل وراحوا يكرون على العجمان بقلوب لا تعرف الذعر ، مما ارغم العجمان على الهزيمة فولوا الادبار لا يلوون على شيء ، وظلوا في هزيمتهم إلى أن وصلوا شاطىء البحر في وقت جزره فخاضوا فيه ، ورابطت القوات السعودية على الساحل ، إلى أن حصل المد وتلاطمت الامواج ، فجرفت اولئك الذين دخلوا البحر في وقت جزره وقتل غرقاً حوالي ١٥٠٠ رجل من العجمان ورفاقهم ، وغنم الأمير عبد الله الفيصل ما لا يعد ولا يحصى من الأموال والمواشي ، وكان ذلك في اليوم الخامس عشر من شهر رمضان من السنة المذكورة ، وبعد ان قسم عبدالله الفيصل الغنائم ارسل إلى والده الامام رسالة طافحة بالبشرى في هذا النصر الاغر المحجل .

ولما وصلت انباء هذه المعركة إلى أهل الزبير والبصرة غمرهم كذلك الفرح والسرور فقد كانوا في أشد الخوف من اولئك القوم الباغين إلى ان ادركوا حتفهم بايديهم ، وارسل والي البصرة إلى عبدالله الفيصل هدية ثمينة كما ارسل عبدالله الفيصل إلى هذا الوالي هدية مقابلة مع السميط ورجع بقواته قاصداً الرياض ، ولما وصل « الدهناء » تمكن من تأديب بعض العصاة ومنهم سحلي بن سقيان وجماعة من

بني عبد الله « من مطير » وقتل في هذه الحركة التأديبية ايضاً حمدي ابن سقيـــان .

مصرع أمير بريدة :

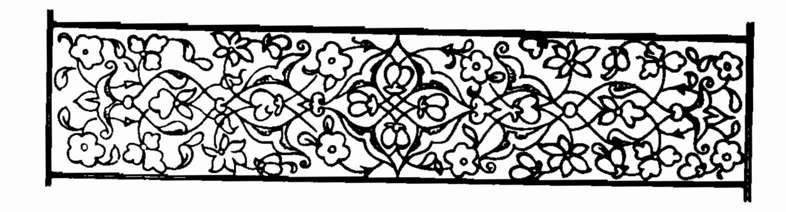
لقد تابــع عبدالله الفيصل طريقه على رأس قواته إلى « روضـــة الربيعية » فلما علم بـــه أمير بريدة عبد العزيز المحمد بن عبدالله بن حسن ركب مع اولاده حجيلان وتركي وعلي يصحبهم عشرون فارساً من عشيرتهم وخدامهم وهربوا من بريدة الى عنيزة ومنهـا ارادوا السفر إلى مكة المكرمة للقيـام بفتنة جديدة بين شريفها والامام فيصل بن تركي ودري عبد الله الفيصل بهذه الحركة وادرك الغـاية منها ، فاسرع بارسال أخيه محمد بن الامام فيصل على رأس سرية من المجاهدين ، وادركهم في موقع الشقيقة وهاجمهم بقوة وقتل منهم سبعة رجال وهم أمير بريدة بذاته عبدالعزيز واولاده حجيلان وتركي وعلي وعثمان الحميضي « من آل ابي عليان » والعبد جابس بن سرور وشقيقه عثمان بن سرور ، وترك الباقين .

أما عبدالله الفيصل فقد انتقل إلى بريدة وكتب إلى أبيه الامام بتفاصيل الحوادث وبمصرع عبد العزيز المذكور والستة الباقين وطلب ارسال أمير يخلف عبدالعزيز ، فارسل الامام الشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم اميراً علـى البلـدة ، فهدم بيوت عبد العزيز واولاده ، وهكذا استراحت هـــذه البلـــدة واستراح الامام واهل البـــلاد من فتن ودسائس هذا الرجـل العنيـد .

ثم تحرك عبد الله الفيصل بقواته قاصداً الرياض ، وفي الطريق بلغه ان ابن عقيل ومعه شراذم من الدعاجين والعصمة والنفعة « من عتيبة »

ينزلون « الدوامي » وهم يعملون في تعكير سلامة الامن والطمأنينة فهاجمهم واديهم ، وقصد الرياض وسمح لجنوده بالعودة إلى اوطانهم ، أما عبد الله بن عبد العزيز المحمد أمير بريدة السابق فقد كان يقيم لدى الامام في العاصمة واشترك مع عبد الله الفيصل في هذه الوقعة ، ولما قرب من الرياض هرب من الغزو ، وبعد البحث عنه عثر عليه في غار بتلك الجهات واعتقلوه وارسلوه إلى القطيف وتوفي في السجن .

وفي هذه السنة توفي احمد بن محمد السديري أمير الاحساء وهو من الدواسر رحمه الله .



الفصل الثامن والعشرون

وفَاة آلإمَام فيصَل وَفِتن دَاخِلَيَّة

دخلت سنة ١٢٧٨ والبلاد ترتع في نعيم مقيم من الخير والسلامة والطمأنينة لما من الله عليها من اسباب الحياة الكريمة ، ولكن أهل الدس والوقيعة وذوي الحسد والاحقاد ابوا أن تبقى البلاد في حالها الرغيدة ، ففي شعبان من هذه السنة قام أهل عنيزة بتحريض وتشويق تلك الفئة من الخوارج بالعصيان على الامام فيصل ، مما ارغمه على الايعاز إلى بعض العشائر بالاغارة على هذه البلدة ، فقام آل عاصم بذلك في آخر الشهر المذكور واخذوا بعض اغنام أهلها ، وارسل الامام سرية بقيادة صالح بن شلهوب (هو مدير المالية في اول عهد تأسيس المملكة العربية السعودية برعاية الفقيد العظيم الملك عبد العزيز آل سعود » إلى بريدة وكتب إلى الأمير عبد الرحمن بن ابراهيم بالاغارة على اطراف عنيزة ، ففعل ذلك وحصل على كميات من الغنم بعد قتال شديد ، ولكن أهل البلدة تكاثروا على عبد الرحمن وجماعته فأرغم على ترك الاغنام

وعاد إلى بريده .

وفي شوال من هذه السنة قدم محمد الغانم من المدينة إلى عنيزة وهو من آل ابي عليان رؤساء بريدة ومن الذين قتلوا ابن عدوان في سنة ١٢٧٦ ، كما تقدم ذكره ، فشجع أهلها على محاربة الامام والسطو على بريدة ، فخرجوا من عنيزة تظلهم خمس رايات كبيرة ودخلوا بريدة في آخر الليل ، وعلا صياحهم في وسطها ، وقصد بعضهم بيت مهنا الصالح ابي الخيل وبعضهم توجه نحو القصر وفيه عبد الرحمن ابن ابراهيم وعدة رجال من الرياض والشيخ صالح بن شلهوب واصحابه ، فانتبه أهل البلدة ، وهبوا من رقادهم ووضعوا السيوف في رقاب المهاجمين وارغموهم على الخروج من البلدة والانهزام إلى بلدهم بعد ان فقدوا عدداً منهم بين قتيل وجريح .

ولما وصل الخبر إلى الامام فيصل بن تركي أوعز إلى الاقاليم بالجهاد وارسل سرية من قواته إلى بريدة والنزول لدى أميرها ، واوعز إلى أهل الوشم وسدير بالمسير إلى بريدة وجعل عبد الله بن عبد العزيز الدغيثر أميراً عليهم ، وهو مع عشيرة آل دغيثر من زعماء البلاد الاشداء المخلصين للبيت السعودي منذ فجر تأسيسه ، فسار الأمير عبد الله الدغيثر برجال الوشم وسدير وتبعه رجاله الصناديد إلى بريدة واجتمع إلى أميرها وازدحمت القوات السعودية المجاهدة لديه من كل فج وصوب ، وراحت هذه الجموع توالي غاراتها على عنيزة ، وهنا حصل ما يوجب الأسف ، فقد حصل بين ابراهيم والامير الدغيثر وبين أهل عنيزة وقعة في قرية صغيرة بين عنيرة وبريدة اسمها « رواق » اضطر فيها ابن ابراهيم إلى الانسحاب بمن معه من القوات واستشهد في هذه الوقعة عبد الله بن عبد العزيز الدغيثر وإلى جانبه حوالي عشرين شهيداً من رجاله ، وقتل من أهل عنيزة عدد كبير .

وبعد هذه الوقعة غضب الامام على ابن ابراهيم أمير بريدة ، واحضره إلى الرياض لبعض الاسباب الوجيهة .

ولما دخلت سنة ١٢٧٩ أمر الامام فيصل ولده محمد بالسير إلى بريدة على رأس قوات من المجاهدين تجمع من الرياض والجنوب وأهل الوشم وسدير لقتال أهل عنيزة ، فنفذ الأمير محمد أمر أبيه ومعه الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد العزيز بن محمد بن علي بن الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ ناصر ابن عيد ، وبوصوله إلى بريدة ، تحرك منها ومعه أهل الوشم وسدير ، فالتقى بقوات من جبل شمر يقودها عبيد بن علي بن الرشيد وابن اخيه محمد بن عبد الله بن علي بن الرشيد ، وقصد الجميع عنيزة ، وكان أهلها استعدوا للحرب ودار القتال بين الطرفين على أشده ، إلى أن بطشت قوات المجاهدين بأهل عنيزة وارغمتهم على الفرار ، ونزل الأمير محمد بن معه من المجاهدين في مقطاع الوادي ، وفي الخامس عشر من شهر جماد الثاني ١٢٧٧ خرج عليهم أهل عنيزة في ضيق وغيظ ، واشتد القتال مجدداً بين الفريقين وهلة ، فاضطر الأمير محمد للانسحاب قليلا ، وكان أهل عنيزة يستعملون البنادق ذات الفتيلة ، فارسل الله الغيث مدراراً مما أعاق حملة هذه البنادق عن استعمالها ، واغتنم محمد بن فيصل هذه الفرصة وهجم على جموع أهل عنيزة بصبر وجلد وايمان فارغمهم على الانهزام بعد ان سقط منهم في ميدان المعركة نحو ٤٠٠ رجل ، وحاصر أهل البلدة في داخلها .

المدفعية تقصف عنيزة :

لقد أقام محمد الفيصل في الوادي حيث قدم عليه طلال بن عبيدالله

بن علي بن الرشيد يقود بقية رجـال أهل جبل شمر ، وفي شعبان من هذه السنة قدم محمد بن أحمد السديري إلى الرياض وهاجم منها أهـل الاحساء ، بينما أوعز الامام إلى ولده عبد الله بالسير بهذه القوات وبقوات اخرى من أهل البلاد إلى عنيزة ، فتحركت جحافله مزودة بعدد مـن المدافـع والقنابل نحو هذه البلدة ، وبوصوله إلى شقرا ارسل المدافـع إلى أخيه محمد ، حيث اضطر لقتال شراذم من عربان عتيبة وهي على الرشاوية فأدبها ، ثم تابـع سيره نحو عنيزة وحاصرها وراح يرميهـــا بقنابل المدافع رمياً متواصلا واشترك محمد الفيصل وقواته بالقتال ، وثارت الحرب بين الطرفين بشكل هائل استمرت عدة ايام مما ارغم أهـــل عنيزة في النهاية إلى طلب الصلح من عبد الله الفيصل ، وكان والـــده الامام – رحمه الله – قد أصر عليه بوجوب قبول الصلح عندما يطلبه أهل البلدة وقال له « اياك وحربهم عندما يطلبون الصلح واقبل به على يدي ومواجهتي » اذ كان الامام – كما أسلفنـــا – اماماً عادلا محباً للخير ، ويغار على دماء رعيته من أن تسفك ظلماً وعدواناً ، وكتب أهل عنيزة اليه بالصلح فأجابهم اليه واعطاهم الامان مشترطـاً ان يحضر عبد الله اليحيى السليم اليه في الرياض ، فكان ذلك واعتذر لدى الامام وطلب العفو والصفح وقبل الامام ذلـك ، وعـاد عبد الله إلى الرياض واستقرت الحـــال بأمان واطمئنـان ، وعين الامام محمد بن احمـــد السديري أميراً على بريدة وسائـر بلدان القصيم ، فحضر ونزل فـي قصرهـا .

وفي سنة ١٢٨٠ وفـد أهل الاحساء على الامـام وطالبوا باعـــادة أميرهم محمد بن أحمد السديري اليهم ، فنفذ طلبهم وعين سليمان الرشيد من آل ابي عليان أميراً على بريدة ، بيد ان الشكايات ضده قد تواترت لدى الامام من أهل البلدة فعزله وجعل مكانه مهنا الصالح من آل ابي الخيل واصلهم من عنيزة .

وفاة الإمام فيصل :

دخلت سنة ١٢٨١ والامن مستقر والحال هادئة ، واعقبتها سنة ١٢٨٢ والامام فيصل بن تركي دائب العمل والجد في سبيل رفع شأن الامة ودعم البلاد بجميع انواع الراحة والرفاه ، وفي العشرين من شهر رجب من هذه السنة انتقل إلى رحمة ربه تعالى وهو ابن الأمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان ابن ابراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي تغمده الله برحمته .

ولقد كان الامام فيصل اماماً عادلا حليماً مهاباً وافر العقل سمحاً كريماً حسن السيرة رفيع الاخلاق محباً للعلماء يجالسهم ويجالسونه كثير الخوف من الله تعالى عفيفاً تقياً نقياً صادقاً ناسكاً كثير العبادة ، ميمون الطالع كثير الصدقات ، ويبحث عن الايتام والفقراء فيعيلهم بيده وعطائه ، وكان كثيراً ما يرسل إلى كل بلد مبراته وصدقاته الجمة فتقسم على الفقراء والمساكين أسكنه الله فسيح جنانه .

عبد الله يخلف والده :

وقد اعقب الامام فيصل – رحمه الله – اربعة أنجال هم : عبد الله ومحمد وسعود وعبد الرحمن ، وبايع المسلمون ولي عهده ابنه عبد الله بالامامة فضبط الامور وساس الملك على اتم وجه ونشر العدل بين الناس ، وكان شجاعاً مقداماً ، ولكنه لم يستطع اتمام ولايته فقد نازعه فيها أخوه سعود وجرت بينهما عدة وقائع .

سعود يغاصب الإمام :

دام الهدوء حتى سنة ١٢٨٣ ، شاملا جميع انحاف البلاد ، وقد توفي طلال بن عبد الله بن الرشيد أمير الجبل في هذا الحين أثر خلل أصابه في عقله ، فقتل نفسه ، وتولى الامارة بعده اخوه متعب .

وفي هذه السنة خرج سعود بن الامام فيصل من الرياض مغاضباً اخاه الامام وتوجه إلى محمد بن عائض بن مرعي رئيس بلدان عسير واقام عنده وطلب منه النصرة على أخيه .

ولما دري الامام عبد الله بوجود اخيه في عسير ارسل إلى ابن عائض هدية حملها اليه الشيخ حسين بن حمد بن حسين بن الشيخ محمد عبد الوهاب والشيخ سعد بن ربيعة وحملهما رسالة قال له فيها : « ان خروج سعود من الرياض كان بلا سبب يوجب ذلك ، ومراده قطيعة الرحم والشقاق » كما حملهما رسالة الى أخيه سعود يأمره بالقدوم اليه ويعطيه ما يطلبه ، فأبى سعود العودة ، وبعد ان اقام الشيخان لدى ابن عائض واكرمهما غاية الاكرام عادا الى الرياض يحملان هدية جليلة ورسالة الى الامام عبد الله الفيصل يقول له فيها : « ان سعود بن فيصل قدم علينا وطلب منا المساعدة والقيام معه ، فلم نوافقه على ذلك واشرنا عليه بالرجوع وترك الشقاق فلم يقبل » .

ولما تحقق سعود بدوره من عدم مساعدة ابن مرعي خرج متوجهاً نحو نجران ونزل لدى رئيسه السيد وطلب اليه النصرة ، فأجابه الى طلبه ، وفي هذه الاثناء قدم على سعود في نجران فيصل المرضف من شيوخ آل مرة وعلي بن سريعة من شيوخ آل شامر ، وكتب اليه مبارك بن رويه رئيس السليل طالباً الحضور اليه ووعده بالقيام معه والانتصار اليه ، واجتمع على سعود عدد كبير من تلك البلاد ، واسعفه رئيس

نجران بمبالغ من المال وارسل معه اثنين من اولاده وعدداً كبيراً من جنده .

انهزام سعود إلى الاحساء :

سار سعود بن فيصل بهذه الجموع نحو مبارك بن رويه في السليل وتلقى الامام عبد الله جميع هذه الانباء فكان لا بد له من مجابهة الأمر الواقع ، واستعد له بتجنيد أهل سدير والمحمل ودعوتهم للحضور إلى الرياض ، فلبوا نداءه ، واوعز الامام إلى أخيه محمد بالسير على رأس هذه القوة لمقاتلة اخيه سعود ، ونفذ محمد الفيصل هذا الامر وتحرك يقود هذه القوة ، إلى أن التقى بقوات اخيه سعود في « المعتلا » ودار القتال بين الفريقين لا هوادة فيه ولا لين إلى أن انهزمت قوات سعود بعد ان قتل منها عدد كبير بينهم علي بن سريعة وابنا رئيس نجران واصيب سعود الفيصل ذاته بجراح كثيرة في يديه وفي سائر جسده فتشوهت أطرافه ورحل مع آل مرة إلى جهة الاحساء وقفل محمد بن فيصل عائداً إلى الرياض واعاد جنوده كل إلى بلده ، أما سعود بن فيصل فقد اقام لدى بني مرة إلى ان شفيت جراحاته ورحل إلى عُمان اقام فيها .

تأديب أنصار سعود :

وفي سنة ١٢٨٤ طلب الامام عبد الله الفيصل إلى عمه عبد الله بن تركي بالسير إلى الاحساء وتأديب الجماعات التي ناصرت سعود الفيصل ،

وان يسجن كل من يلقاه من عشائر العجمان ، فسار عبد الله بن تركي في سرية من أهل الرياض والوشم وسدير ، وقبض على كل من وجده من العجمان في الاحساء ، وكان أمير الاحساء يومئذ محمد بن أحمد السديري فاستدعاه الامام إلى الرياض وعزله عن أمارة الاحساء وعين مكانه ناصر بن جبر الخالدي .

وفي سنة ١٢٨٥ أمر الامام عبد الله الفيصل رعيته بالجهاد ، فتجمعت العشائر والقبائل ، والمجاهدون من أهل الحضر وفي الخامس عشر من شهر محرم من هذه السنة تحرك الامام على رأس قواته إلى « ببان » وبعد استكمال العدد تحرك إلى وادي الدواسر واقام مدة شهرين استطاع خلالها تأديب جميع انصار اخيه سعود بن فيصل وعاد إلى الرياض .

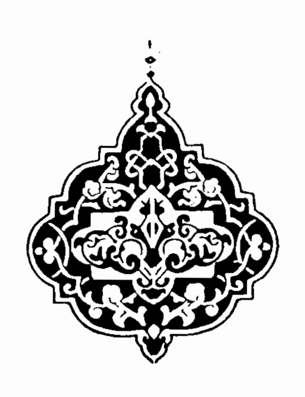
وفي هذه السنة انتقل إلى رحمة ربه كل من الشيخ سعود بن محمد ابن سعود بن حمد بن محمد بن عطية قاضي بلدة القويعية والشيخ أحمد ابن علي بن حسين بن مشرف وهو من المشارفة من تميم وكان عالماً وشاعراً ، وفي عشية يوم السبت الحادي عشر من شهر ذي القعدة توفي الشيخ الفاضل كبير الموحدين عبد الرحمن بن حسن بن المرحوم العالم المجدد وقدوة الاعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد كان ابراهيم باشا المصري نقله معه إلى مصر بعد استيلائه على الدرعية برفقة الذين اخذهم معه من آل سعود وآل عبد الوهاب ، وفي سنة ١٢٤١ تمكن هذا العالم الكبير من الرجوع إلى وطنه فاكرمه الامام تركي ابن عبد الله بن محمد بن سعود غاية الاكرام إلى أن توفاه الله كما أسلفنا .

وفي هذه السنة توفي عبد الله آل يحيى آل سليم أمير بلدة عنيزة ، وتولى الامارة بعده زامل آل عبد الله بن سليم .

فتن بين آل الرشيد :

وفيها قتل متعب بن عبد الله الرشيد أمير جبل شمر ، فقد اتفق اولاد اخيه طلال على قتله بموافقة عمه عبيد بن علي الرشيد وتولى امارة الجبل مكانه بندر بن طلال . وكان اخوه محمد العبد الله الرشيد قد غادر حائل إلى الرياض لزيارة الامام عبد الله الفيصل ، فتلقى نبأ مصرع اخيه متعب وهو في الرياض ، فبقي فيها مدة سنة تقريباً .

. وفي سنة ١٢٨٦ اغار بندر بن طلال الرشيد على الصعران وهم يقيمون في « الشوكي » وسلبهم وقتل رئيسهم هذال بن عليان بن غرير بن بصيص . ثم وفد بندر على الامام عبد الله الفيصل حاملا له هدية نفيسة ، فاكرمه الامام وطلب من عمه محمد العبد الله الرشيد ان يرجع معه إلى حائل واعطاه العهود الكافية لسلامته ، وبعد ايام عادوا إلى حائل .



الفصل التاسع والعشرون

حُرُوب سعُود الفيصَل بَعْدَ إنْشِقَاقِهِ

ووجد الامام عبد الله الفيصل ان الضرورة تقضي ببقائه في الاحساء مـدة من الزمن ، وكان اخوه سعود يقيم في عمـان ، فسار الامام بجنوده إلى الاحساء ونزل على مـاء « دعيلـج » وبقـي حوالي اربعـة اشهر ، وفي شهر ذي القعدة بعث الامام سرية من قواته الى قطر يقودها مساعد الظفيري والعسعوس وامرهما بالبقاء لدى ناصر بن جبر الخالدي ، ثم عاد إلى الرياض .

وفي سنة ١٢٨٧ توجه سعود الفيصل إلى البحرين والتجـأ إلى آل خليفة رؤساء الاقليم طالبـاً نصرتهم على اخيه الامام عبد الله فوعدوه بذلك ، وفي هـذه الاثناء التحق بـه محمد بن عبد الله بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن ، كمـا انضم اليه عـدد كبير من الغزاة ، فتوجه بهم إلى قطر ، وهـاجم السرية التي بعث بهـا الامـام ، واشتبك الطرفـان بمعركـة اسفرت عن انهزام سعود واتباعه بعد ان

سقط منهم عـــدة قتلى بينهم محمد بن عبد الله بن ثنيان ، ورجع سعود ابن فيصل بعدها إلى البحرين وراح يكاتب العجمان فدلف اليه عدد كبير منهم ، وفي شهر رجب من هـــذه السنة سار سعود الفيصل من البحرين ومعه أحمد بن الغتم بن خليفة برأس عـدة رجال من جماعته وتوجهوا إلى الاحساء ، وفي العقير انضم اليهم عـدد من بني مرة والعجمـان ، وكان رؤساء العجمان يراسلون سعود الفيصل ويعدونـه بالنصرة ويطلبون اليه القدوم اليهم ويأمرون عامتهم بالمسير معـه وفي الوقت ذاتـه كانوا يتوددون إلى أمير الاحساء ناصر بن جبر والى البطل فهد بن دغيثر رئيس سرية المجاهدين ، وهكذا كان رؤساء العجمان يظهرون لعامل الامام غير ما يبطنون من المكر والغدر !!!

ورحل سعود الفيصل من موقع العقير إلى بلدة الجفر في الاحســاء يرافقه ذلك العدد الضخم من الغزاة والطامعين بالكسب ... واراد أهل البلدة الامتناع عن سعود ، ولكن قواته الغازية دخلت البلدة وامعنت في سكانها سلباً ونهباً ، كما سلبت ونهبت القرى المجاورة لهـــا ، الامر الذي أخل بسلامة الامن والطمأنينة والقى الذعر في قلوب الاهلين ، والتحق ابن حبيل أمير بلدة الطرف بسعود الفيصل ، وفي هذه الاثنـاء اجتمع حزام بن حثلين وابن اخيه راكان بن فلاح الحثلين ومنصور بن منيخر إلى الأمير ناصر بن جبر وإلى فهد بن دغيثر ورؤساء الاحســاء وطلبوا اليهم الخروج لمقاتلة سعود الفيصل ، واقسموا لهم الايمان المغلظة على التعاون والتناصر في قتال سعود ومن معه ، فخرج أهل الاحساء معهم وبوصولهم إلى موقع الوجاج غدر بهم حزام المذكور من معه من العجمان وانقلبوا عليهم وقتلوا منهم نحو ستين رجلا وانهزم الباقون الى بلدة الهفوف بين جريح وسليب .

لقد تحصن أهل الهفوف أثر هذه الخيانة التي قام بها زعماء العجمان[1] في بلدتهم واستعدوا للحرب ، واغتنم سعود الفيصل الفرصـة فزحف

بجنوده نحو الهفوف ودار القتال بينه وبين أهلها وظل محاصراً لها حوالي اربعين يوماً .

اندحار قوات الإمام :

وكان الامام عبد الله الفيصل ، عندما بلغته هذه الاخبار ، اعلن الجهاد العام وامر بأن يكون مكان التجمع الرياض بذاتها ، فوصلتها جموع المجاهدين من أهل ضرمى والمحمل وسدير ، وسار الامير محمد بن فيصل يقود هذه الجموع والتحق بها أهل العارض وسبيع والسهول نحو الأحساء .

وعلم سعود الفيصل بقدوم قوات الامام نحوه ، فترك بلدة الهفوف متوجهاً بقواته نحو جودة « الماء المعروف » ونزل هناك يصحبه عدد كبير من آل مرة والعجمان وأهل المبرز واحمد بن الغتم بن خليفة وابن جبيل وغيرهم .

واقبل محمد بن فيصل بقواته إلى هذا الماء ونزل بالقرب من قوات اخيه سعود ، وفي اليوم السابع والعشرين من شهر رمضان التحم الفريقان بمعركة رهيبة ، خان ، اثناءها ، بعض الجنود محمد الفيصل واتباعه فاستشهد منهم نحو ٤٠٠ رجل بينهم عدد من امراء الاقاليم والفرسان الصناديد وهم : عبد الله بن بتال المطيري ومجاهد بن محمد امير الزلفى وابراهيم بن سويد أمير جلاجل وعبد الله بن مشاري بن ماضي من رؤساء بلدة روضة سدير وعبد الله بن علي آل عبدالرحمن أمير ضرمى ، وانهزمت بقية القوات متخلية عن قائد الحملة محمد الفيصل فاعتقله اخوه سعود وارسله إلى القطيف ووضعه في السجن .

احتلال الاحساء :

لقد أقـام سعود الفيصل بعد هذه الموقعة في « جودة » وكتب إلى رؤساء أهل الاحساء يأمرهم بالقدوم اليه ومبايعته بالامامة ففعلوا ذلك ، ورحل من مكانه إلى الاحساء واستولى عليها واخذ من اهلها أموالا كثيرة وزعها على العجمان .

سعود يحتل الرياض :

لقد تلقى الامام عبد الله الفيصل خبر اندحـار قواته واسر اخيه محمد الفيصل من قبل شقيقه سعود الفيصل بالأسف الشديد ، وخرج مـن الرياض حـاملا أمواله ويتبعه رجـاله نحو جبل شمر ومعـه عبد العزيز بن الشيـخ عبد الله ابي بطين وناهض بن محمد بن ناهض ، وضرب خيامه في موقع مـاء البعيثة المعروف في العروق وارسل عبد العزيز المذكور إلى كل من والي بغداد ووالي البصرة والنقيب محمد حاملا اليهم الهدايا وثلاث رسائل يطلب فيها نجدتهم ونصرتهم ومساعدتهم على سعود الفيصل فوعدوه بذلك وراحوا يجهزون الحملة العسكرية إلى الاحساء والقطيف . وفي شهر شوال من تلك السنة وفد محمد بن هادي بن قرملة ومعه عدد من رؤساء قحطان ، على سعود الفيصل ، في الاحساء ، فلم يكترث بهم ، فالتحقوا بالامام عبد الله الفيصل وهو في مكانه ذاك وعاهـدوه على السمع والطاعة ، ورحل واياهم إلى الرياض فوصلها في شهر ذي القعدة وفي آخر هذا الشهر تحرك سعود بن فيصل بقواته نحو الرياض ، وفي الطريق بلغه ان اخاه الامام عبدالله قد عاد إلى العاصمة ومعه رؤساء قحطان فعاد إلى الاحساء .

وفي شهر محرم من سنة ١٢٨٨ خرج سعود الفيصل بقواته من الأحساء وترك فرحان بن خير الله أميراً عليها ، وقصد الرياض ، ولما اقترب منها خرج الامام عبد الله الفيصل منها قاصداً عشائر قحطان ، وكان قبل خروجه منها أرسل امتعته واثاثه ومدافعه مع سرية من الرجال يقودها حطاب بن مقبل العطيفة ، وامره بأن يصل بما لديه إلى عشائر قحطان ، ولكن سعود الفيصل صادفه في الطريق واقتتل الطرفان ، واسفرت المعركة عن مقتل حطاب بن مقبل المذكور وفلاح بن صقر العطيفة وعويد بن حطاب العطيفة ومحمد بن راشد الفقيه ، واخذ جميع ما معهم من مال وسلاح ومطايا وخيول ، ثم دخل سعود ومعه عدد كبير من العجمان العاصمة الرياض فعاثوا بها ونهبوا بلدة الجبيلة وقتلوا عدداً من اهلها وقطعوا نخيلها ودمروها ، فتفرق أهلها في بلدان العارض ولم يبق فيها ساكن ؟!!

وهنا دب الفساد والتفكك في جميع أنحاء البلاد وكثر فيها الهرج والمرج واشتد الغلاء والقحط واكل الناس جيف الحمير ، ومات عدد كبير من الاهلين جوعاً ، وحلت المحن والرزايا والفتن ، وانتشر القتل والموت في كل مكان ! !

وما استقر سعود الفيصل في الرياض حتى كتب إلى رؤساء البلدان يأمرهم بالمجيء اليه لمبايعته فكان له ذلك ، وامرهم بالاستعداد للقتال ، وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة خرج سعود بقواته من العجمان وبني مرة وسبيع والسهول والدواسر وأهل الرياض والجنوب والخرج ومعه عمه ابن تركي ، وكان يميل إلى الامام عبد الله الفيصل ، وتوجه نحو عشائر قحطان وهي في موقع الأنجل ومعها الامام عبد الله الفيصل ، ولدى وصوله الى ثرمدا علم بأن هذه العشائر رحلت الى البرة « قرية معروفة » فقصدها سعود بقواته بينما ارسل عمه عبد الله بن تركي الى شقرا ومعه عدد من الرجال للاقامة فيها وذلك بسبب الجفوة التي

كانت قائمة بين سعود وعمه عبدالله المذكور .

وفي اليوم السابع من جماد الأول وصل سعود بقواته إلى البرة ودخل مع قوات أخيه الامام عبد الله بمعركة عاتية ، انهزم فيها الامام عبد الله ومن معه من قحطان وسقط من الطرفين عدد من القتلى ، ونهبت جماعة سعود البرة ، وقصد الامام ومن سلم معه بلدة « الرويضة » ونزلوا فيها ، وعاد سعود فاستدعى عمه من شقرا وقصد الرياض ، وسمح لقواته بالانصراف كل إلى بلده .

الأتراك يخدعون الإمام:

لقد بقي عبد العزيز بن الشيخ عبد الله ابي بطين رسول الامام عبد الله الفيصل إلى والي بغداد ووالي البصرة لديهما حتى شهر ربيع الأول من هذه السنة ، حيث تحركت القوات من البصرة إلى الاحساء والقطيف بقيادة فريق باشا وعبد العزيز بصحبته ، فاحتلوا البلاد واطلقوا سراح محمد بن فيصل شقيق الامام وكان اخوه سعود حبسه في القطيف ، كما أسلفنا ، واخرجوا فرحان بن خير الله من الاحساء وكان سعود الفيصل عيّنه أميراً عليها ، واعلن الباشا ومن معه من رؤساء وقادة انهم جاءوا لنصرة عبد الله الفيصل والقيام معه بحرب على اخيه سعود وارسلوا إلى الامام وهو يومذاك مع عشائر قحطان في رويضة العرض يطلبون حضوره اليهم ، فتوجه بقواته نحو الاحساء واكرموه غاية الاكرام ، ولكن اكرامهم هذا كان مكراً وخداعاً ، واقام الامام بينهم .

أما سعود الفيصل فانه بعد عودته إلى الرياض والسماح لقواته بالانصراف ، لم يبق لديه من يعتمد عليه بالحروب غير خدامه وشراذم

من العجمان فقام أهل الرياض ضده يتقدمهم عمه عبد الله بن تركي وحصروه في قصره ، ودار القتال بينهم بضعة ايام إلى أن اخرجوه من القصر بمن معه بعد اعطائهم الامان وتوجهوا إلى بلدة الدلم واستولى عبدالله ابن تركي على الرياض .

وفي آخر جماد الثاني توجه سعود الفيصل من الدلم إلى الاحساء يرافقه جماعته ، ونزل لدى عشائر العجمان وبني مرة واخذوا يرغبونه في الحرب واحتلال الاحساء والقطيف وانقاذهما من الاتراك ، واجتمع لدى سعود الفيصل عدد كبير من الخلائق ، وراحوا ينهبون قرى الاحساء ويخرجون كل ما تقع عليه أيديهم .

وفي شهر رجب توجهت القوات العثمانية ومعها الامام عبدالله الفيصل نحو الاحساء ودار القتال بينهما وبين قوات سعود الفيصل ، فانهزمت شر هزيمة وسعود في مقدمتها وقتل من جماعته عدد كبير .

وبعد أيام قليلة من هذه الموقعة وصل مدحت باشا إلى ميناء العقير يقود قوات كبيرة من بغداد وقد ساعده رؤساء عربان الكويت برئاسة الشيخ مبارك الصباح على ذلك فاوصلوه بحراً إلى هذا الميناء وجاء بعضهم براً إلى القطيف ، وحضر رجل من القوة الموجودة في الاحساء إلى الامام عبد الله واعلمه سراً : ان مدحت باشا قد وصل إلى العقير وهدفه اعتقاله وتسليمه للحكومة العثمانية ، ولم يتحرك هذا الباشا إلا بعد ان تعهد لاولياء أمره في القسطنطينية بذلك ، ثم طلب هذا الرجل إلى الامام ان يسرع بالهرب اذا استطاع ذلك ، فأخذ الامام يفكر في ايجاد وسيلة للهروب واخيراً حضر إلى فريق باشا وطلب اليه السماح له بالذهاب ، بعد العصر ، إلى عين نجم للاغتسال فأذن له بذلك ، ولما خرج من لدن الباشا أوعز إلى أحد خدامه بتجهيز خمس مطايا نجيبة وباصطحاب رفيق من العجمان وآخر من بني مرة والسير إلى الجبل المعروف باسم « ابو غنيمة » فنفذ الخادم هذه التعليمات بدقة ، وبعد

عصر ذلك اليوم خرج الامام عبد الله يصحبه ولده تركي واخوه محمد الفيضل يركبون خيولهم ويصحبهم ثلاثة من الجنود الاتراك على خيولهم، وبوصولهم إلى موقع الصفيا راح الامام ومن معه يقومون بالعاب الفروسية ويكرون على خيولهم ويفرون . وعند غروب الشمس أطلق الامام عبد الله الفيصل وابنه واخوه العنان لخيولهم ، ولحق بهم الجنود الثلاثة فلم يدركوهم ، وعاد الجنود إلى البلدة ، ووصل الامام وابنه واخوه إلى جبل ابي غنيمة حيث ركبوا ظهور المطايا الكامنة هناك وتوجهوا نحو الرياض ، فوصلوها سالمين ، واستبشر أهلها بقدومهم .

وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة قام الامام عبدالله الفيصل بمهاجمة آل شمر بالقرب من عليا ، وقتل منهم عدة رجال ، وكان يصحبه أهل الرياض وضرمى ، وقد قتل في هذه الموقعة محمد بن عبدالله بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود الأول .

محن تعمّ البلاد :

وفي سنة ١٢٨٩ اشتد الغلاء في جميع البلاد بسبب القحط الذي عمرها ، وراح الناس يأكلون الميتة وجيف الحمير ، وورق الزرع مما أثر في وجوه المخاليق فغدت صفراء ودب الورم فيها وفي الارجل ، مما سبب وفاة عدد كبير من الاهلين ودامت هذه الحال إلى آخر سنة ١٢٩٠ !!!

ووقعت في الوقت ذاته عدة فتن بين أهل البلاد مما زاد في حراجة الموقف وفي مضاعفة الاضطراب وتفشي الذعر في القلوب .

وفي شوال من هذه السنة « ١٢٨٩ » قدم سعود بن فيصل إلى الأفلاج وناصره ابن قنيان والعجالين والهزاني آل حسين وأهل الحوطة ، ولما

علم الامام عبدالله الفيصل بذلك ارسل أخاه محمد بن فيصل إلى الدلم يقود سرايا القتال من أهل الرياض وضرمى ، ورافقه عمه عبدالله بن تركي ، وعلم سعود الفيصل ومن معه من العجمان والدواسر وأهل الجنوب وغيرهم بهذا الامر ، فحاصروا بلدة الدلم ، وهنا وقع لمحمد ابن فيصل ما لم يكن في الحسبان ، فقد خانه أهل البلدة وفريق من أصحابه وفتحوا باب البلدة ودخلها سعود ومن معه ، ولما شاهد محمد الفيصل ذلك وتحقق من الخيانة غادر البلدة هرباً على فرسه حتى وصل الرياض ، وقبض سعود الفيصل على عمه عبدالله بن تركي وحبسه وصادر مطايا رفاق محمد بن فيصل وسلاحهم وقتل منهم عدة رجال ، وبعد أيام قليلة انتقل عبد الله بن تركي إلى رحمة ربه تعالى وهو في حبسه ، وكان – رحمه الله – شهماً شجاعاً وصارماً منيعاً .

وفي هذه السنة قام محمد بن عبد الله الرشيد بقتل أولاد أخيه طلال وهم خمسة وترك اخاً لهم اسمه نائف إذ كان صغيراً وتولى محمد زمام امارة جبل شمر على جثث هؤلاء الضحايا !!

سعود يحتل الرياض ثانية :

لقد خرج سعود بن فيصل في شهر محرم من سنة ١٢٩٠ من بلدة الدلم ومعه جنوده ، وقصد بلدة ضرمى ونهب اهلها ، وقسم الاموال الكثيرة التي جمعها منهم على جنوده ، وذهب منها إلى حريملا فخرج أهلها لقتاله خارج بلدتهم فانهزموا بعد ان قتل منهم نحو ثلاثين رجلا بينهم ناصر بن حمد آل مبارك وابنه وسليمان السياري من رؤساء أهل ضرمى ، ولكنه حضر حريملا وحضر الوقعة وقتل فيها ، واوعز سعود لجنوده بقطع نخيل البلدة فقطعوا قسماً كبيراً منه ، وصالحه أهلها بعد

ذلك ورحل عنهم إلى الرياض ، ولما اقترب منها خرج اليه اخوه الامام عبد الله الفيصل ومعه أهل الرياض ووقعت بين الفريقين معركة شديـدة أسفرت عن انهزام الامام عبد الله ومن معه من أهل الرياض بعد ان قتل منهم عدة رجال بينهم مساعد بن سلمان الظفيري واخوه فهد ودخـل أهل الرياض بلدهم ، واستطاع الامام عبد الله الفيصل ان يصل بمن معه من خدامه فقط إلى جهة الكويت واقام لدى عشائر قحطان على موقع الصبيحة ، وكان سعود الفيصل دخـل الرياض وبايعه أهلها على السمع والطاعة وكتب إلى رؤساء البلدان يأمرهم بالمجيء اليه للمبـايعة فنفـذوا أمره وأمرهم بالجهـاد فاستعـدوا لـه مرغمين !!!

وفي شهر ربيع الثاني من هـذه السنة خرج سعود الفيصل مـن الرياض بمن معه من الجنود ، واستنفر العربان ، وقصد مسلط بن ربيعان ومن معه من عتيبة وهم على ماء طلال ، ودارت رحى المعركة عنيفة شديدة بين الفريقين ، وأظهر مسلط وقومه من الصبر والثبات ما جعلهم يهزمون سعود الفيصل وقواته شر هزيمة بعد ان قتل منهم عدداً كبير ومن مشاهير هم سعود بن صنيتان ومحمد بن احمد السديري أمير بلدة الغاط واخوه عبد العزيز وعلي بن سويد أمير جلاجل ، ومن أهل شقرا قتل فهد بن سرحان وسعد بن محمد بن عبد الكريم البواردي وصالـح ابن ابراهيم بن موسى بن فوزان بن عيسى وسلمان بن عبدالله بن خلف ابن عيسى وعبد العزيز بن احمد بن منيع وغنم العتبان مطاياهم وسلاحهم وما لديهم من مال وذخيرة ، ورجع سعود إلى الرياض .

وفي التاسع عشر من شهر جماد الثاني من هذه السنة توفي العـالم المؤرخ الشيخ عثمان بن عبد الله بن عثمان بن أحمد بن بشر في بلدة جلاجل ، وهو من بني زيد وصاحب التاريخ الشهير باسم « عنوان المجد في تاريخ نجد » وعلى تاريخه هذا يعتمد جل المؤرخين في تـدويـن الحوادث والوقائع التي جرت في ديار نجد حتى سنة ١٢٦٧ هجرية . وكان أديباً فاضلا عابداً حسن السيرة رحمه الله .

الفصل الثلاثون

ظُهُورُ ٱلإمَام عَبد الرحمٰن ٱلْفَيْصَل

عاد سعود الفيصل إلى الرياض دون أن يستقر الوضع في البلاد ، ودخلت سنة ١٩٢١ والحالة في اضطراب مستمر ، واوعز سعود الفيصل إلى رؤساء البلاد بالقدوم اليه والاستعداد للقتال ، وتوجه بهم إلى بلدة القريعية ونزل فيها عدة أيام ثم عاد إلى الرياض واذن لمن معه بالعودة إلى ديارهم ، واستمرت الفتن في البلاد ، كما استمرت حوادث القتل اندفاعاً وراء الثأر ومنها الفتنة التي وقعت في بلدة اشقير بين آل نشوان من المشارفة وبين الحصانا والخراشي من آل بسام وسقط بسببها عدد من القتلى .

وفي هذه الاثناء شاء الله ان يتقرر مصير الديار النجدية وبعض الاقاليم العربية الاخرى ، في مستقبل زاهر إلى الابد فقيض للبلاد الامام عبد الرحمن الابن الرابع للامام فيصل بن تركي ، وانجب ذلك الامام العادل والملك المدبر المغفور له عبد العزيز آل سعود تغمده الله برحمته ،

وقد سار الامام عبد الرحمن في جهاده الكريم في سبيل مجد بلاده كما سنأتي على ايضاحه .

لقد عاد الامام عبد الرحمن الفيصل من بغداد ومعه فهد بن صنيتان إلى الاحساء في شهر رمضان من سنة ١٢٩١ هـ ، فاستقبله أهلها بالترحاب وشاهد الامام جنود الترك يحتلون البلاد بقيادة والي بغداد مدحت باشا ، فعقد العزم على اخراجهم منها ، وتضافر سكان البلاد معه على ذلـك ، وجمـع الامام عبد الرحمن جموعه وداهم القوات التركية المرابطة عند ابواب بلد الهفوف فابادها ثم حصر الجنود الترك في قصر خزام الكائن في خارج البلدة ، ونصب رجالـُه السلالم على جدرانه واحتلوه عنـوة وقتلوا جميع الجنود الذين بداخله ، وتحصن عربان الكويت الذين رافقوا مدحت باشا ومن معهم من القوات التركية في كوت ابراهيم وكوت الحصار ، أمل الامتناع على الامام عبد الرحمن الفيصل ، ولكن الامام ومن معه من أهل الاحساء والعجمان وبني مرة ضربوا عليهـم الحصار واشتد هذا الحصار عليهم ، وكانوا أرسلوا إلى والي البصـرة ووالي بغداد يعلمونهما بالواقـع ويطلبون النجدة ، فاوعز والي بغداد إلى ياصر بن راشد بن تامر بن سعدون رئيس المنتفق بالسير إلى الاحساء ، وعيّنه أميراً عليهـا وعلى القطيف ، وارفقـه بقوات عسكرية من بغداد واستنفر ناصر بن راشد رعاياه في المنتفق ، فاجتمع عليه عدد كبير من الجند والغزاة وسار بهم إلى الاحساء .

المعركة قرب الهفوف :

علم الامام عبد الرحمن الفيصل بوصول هذه القوات كنجدة إلـى القوات العثمانية ، فاستعد لها بجموع من أهل الاحساء والعجمان وبني

مرة ، ودارت المعركة رهيبة عنيفة بين الفريقين اسفرت عن انهزام أهل الاحساء إلى بلادهم ، وتتابعت الهزائم على العجمان وبني مرة ومن معهم من العربان فتوجه الامام عبد الرحمن إلى الرياض ، وهرب رؤساء الأحساء إلى البحرين واحتل ناصر بن راشد الهفوف واباح لجنوده نهبها مدة ثلاثة ايام ، وخرج الجنود المحصورون في الكوت وانضموا إلى رفاقهم ، وراحوا ينهبون الاهلين ويقتلونهم كيفما كان وكيفما اتفق ، ونهبت في هذا الظرف أموال كثيرة ، وكان الجنود الأتراك اكثر واشد الجميع فتكاً بالاهلين اندفاعاً وراء الثأر وقد كان ذلك في آخر شهر ذي القعدة من تلك السنة .

وفاة سعود الفيصل :

وصل الامام عبد الرحمن الفيصل عاصمة آبائه واجداده الرياض . وكان اخوه سعود الفيصل خرج منها غازياً وبوصوله إلى حريملا اصيب بمرض ارغمه على العودة إلى الرياض وتوفي فيها في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من هذه السنة ، فقام الامام عبد الرحمن بالامامة ، وكان اخواه عبد الله الفيصل ومحمد الفيصل يومئذ في بادية عتيبة .

دخلت سنة ١٢٩٢ والامام عبد الرحمن في الرياض ، واوعز عبد الله الفيصل إلى أخيه محمد الفيصل بالمسير إلى شقرا وزوده برسائل إلى رؤساء الوشم يأمرهم فيها باتباع اخيه محمد لغزو الامام عبد الرحمن ، وتحرك محمد الفيصل مع من اطاعه من أهل الوشم الى ثرمدا ، وعلم الامام عبد الرحمن بوصول أخيه إلى شقرا فخرج لمنازلته يصحبه عدد كبير من أهل الرياض والخرج والجنوب والعجمان والدويش ومن معه من عشائر مطير وسبيع ويرافقه اولاد اخيه المرحوم سعود وتوجه إلى الوشم فصادفه

محمد بن فيصل ومن معه في ثرمدا وحصروهم ووقع القتال بينهم وبين أهل ثرمدا واصحاب محمد الفيصل ، واخيراً عقد الصلح بينهم شريطة ان يخرج محمد الفيصل إلى أخيه وجماعته ويستلم ركائب أصحابه وسلاحهم ، فكان ذلك وبعد ان اقام الامام عبد الارحمن الفيصل في ثرمدا بضعة ايام توجه بمن معه إلى بلدة « الدوادمي » فاذا بمسلط بن ربيعان ومحمد ابن هندي بن حميد وهزال بن فهيد الشيباني ومن معهم من قبائل عتيبة قد أقبلوا يريدون النزول في هذه البلدة فوقع بين الفريقين قتال شديد كانت الغلبة فيه للعتبان . وعاد الامام عبد الرحمن إلى الرياض .

وفي هذه السنة فتك محمد بن سعود بن فيصل بفهد بن صنيتان ، وهذا الاسم هو عبارة عن لقب لازم عبد الله بن ابراهيم بن عبدالله ابن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن واشتهر به طيلة مدة حياته رحمه الله .

تصافي الإمام مع أخيه :

لازم الامام عبد الرحمن الفيصل الرياض يعمل جاهداً لاستقرار الأمور والاوضاع . ولكن الفتن كانت لا تزال تفعل أفاعيلها في النفوس، فما ان دخلت سنة ١٢٩٣ حتى تجمع أولاد أخيه المرحوم سعود الفيصل ، اثر نفور حصل بينهم وبين عمهم عبد الرحمن ، ارغمه على مغادرة الرياض إلى أخيه عبد الله الفيصل وهو في بادية عتيبة ، فأكرمه غاية الاكرام ، وباشر عبد الله يجمع القوات المجاهدة من البادية والحاضرة وتوجه بها نحو الرياض يرافقه اخوه عبد الرحمن الفيصل ، ولما اقترب منها ، غادرها ابناء سعود الفيصل بغير قتال إلى الدلم ،

فدخل الامام عبد الله الفيصل العاصمة واستقر فيها ، وقدم رؤساء البلدان إلى الرياض وبايعوه مجدداً على السمع والطاعة ، وكان اخوه الامام عبدالرحمن واخوه محمد لا يخالفان له أمراً ، ووفد عليه عبد الله بن عبد المحسن آل محمد ومحمد بن عبد الله بن عرفج وحمد آل غانم وابراهيم بن عبد المحسن بن مدلج من آل ابي عليان رؤساء بلدة بريدة سابقاً وقد اجلاهم عنها مهنا ابو الخيل ، وهم يحملون رسالة من زامل آل عبد الله بن سليم أمير عنيزة وفيها يطلب السماح بالقدوم إلى الامام ويعده بالمساعدة والقيام معه على اهل بريدة ، وذكر هؤلاء للامام ان لهم في بريدة عشيرة قوية ، حتى إذا ما دخلوها معه ، قامت هذه العشيرة بفتح أبواب البلدة وسهلت دخول القادمين اليها ، فاقتنع الامام عبد الله بذلك وسار مع هؤلاء وعلى رأس قوة كبيرة من المجاهدين إلى عنيزة ، ولما علم مهنا ابو الخيل بوصولهم كتب إلى محمد بن عبد الله الرشيد أمير جبل شمر يستحثه على نصرته ، وكان اتفق معه قبل ذلك على التعاون والتناصر ، فخرج ابن الرشيد من حائل بجنوده واستنفر من حوله من العربان وحرب وشمر وهتيم وبني عبد الله ، وقصد بهذه القوة بريدة ونزل فيها . ولما علم عبد الله الفيصل بذلك رجع إلى الرياض ، فرجع ابن الرشيد إلى بلده حائل ، وهذا مما اتاح لحسين بن مهنا ابي الخيل الفرصة لشن الغزوات على جواره ، فما ان دخلت سنة ١٢٩٤ حتى قام بالهجوم على شقرا وغيرها من أهل الوشم ، مما ارغم أهل شقرا على الصمود امامه وفي شهر محرم من هذه السنة ارسل ابو الخيل سرية اليها لمحاربة أهلها ، وبعد قتال عنيف انهزمت السرية وغنم أهل شقرا عدداً من مطايا جنودها .

وفي الرابع عشر من شهر جماد الثاني من هذه السنة توفي شريف مكة عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون وعمره ٥٦ سنة ، ومدة امارته ١٩ سنة ، وتولى أمارة مكة بعده اخوه الشريف حسين ، مع ان

الشريف عبدالله خلف ولدين هما علي ومحمد .

حروب وفتن جديدة :

لقد اجتازت البلاد طيلة سني ١٢٩٥ و ٩٦ و ٩٧ و ٩٨ هـ مرحلة هادئة بقدر الامكان وفي سنة ١٢٩٩ ، أمر عبد الله الفيصل انصاره المجاهدين بالاستعداد للجهاد ، وتحرك بهم نحو بلدة المجمعة ترافقه جموع غفيرة من أهل العارض والمحمل وسدير والوشم وعشائر عتيبة ونزلوا بلدة ضرمى ، وحاصروا المجمعة وكان أهلها قد اتفقوا مع محمد ابن عبد الله الرشيد أمير جبل شمر على ان يكونوا تحت ولايته لقاء حمايته لهم ، وقبل محمد الرشيد ذلك وعاهدهم على محاربة عبد الله الفيصل ، ولما علموا بمسير الامام وقواته اليهم كتبوا الى ابن الرشيد مستنجدين ، فخرج من بلده حائل واستنفر من حوله من عشائر شمر وحرب وبني عبد الله وتوجه بقوات كبيرة جداً إلى بريدة ودخلها ، وكان أميرها حسن آل مهنا ابو الخيل قد جمع جموعه الكثيفة من أهل القصيم والبادية واستعد للسير مع ابن الرشيد لنصرة أهل المجمعة ، وارتحل ابن الرشيد بقواته وابن مهنا وقواته معه إلى الزلفى ، ولما درت عشائر عتيبة بهذه الحشود رحلت منهزمة من ضرمى ، ورحل الامام عبد الله إلى الرياض وعاد جنوده كل إلى بلده ، بعد ان امضى ٤٠ يوماً في حصار المجمعة ، ومضى ابن الرشيد بقواته اليها وبعد عدة ايام عاد إلى بلاده .

وفي هذه السنة تولى امارة مكة الشريف عون بن محمد بن عبد المعين.
وفي سنة ١٣٠٠ وقعت المعارك بين عتيبة ومعها محمد بن سعود بن فيصل وبين محمد العبدالله الرشيد ومعه حسن آل مهنا أمير بريدة وذلك على ماء عروى ، فانهزمت عشائر عتيبة .

وبعدها قام محمد بن سعود الفيصل يصحبه عدد كبير من أهل الخرج وآل شامر والدواسر وغيرهم وشن غارة على ابن بصيص ومن معه من عربان برية . وبعد قتال عنيف سقط فيه عدد من القتلى بينهم عبدالرحمن ابن سعود الفيصل . تمكن محمد بن سعود من الحصول على عدد من المواشي والابل .

وفي شهر ربيع الأول من سنة ١٣٠١ قام الامام عبد الله الفيصل على رأس قوة من رجاله بالسفر إلى شقراء ، واوعز إلى عشائر عتيبة بان تنزل الحمادة وكان الامام يريد محاربة أهل المجمعة . ولما علمو به أرسلوا إلى امير جبل شمر ابن الرشيد بذلك كما أخبروا حسن بن مهنا أمير بريدة . فتحرك الاثنان على رأس قوات كبيرة . والتقوا بقوات الامام ودارت المعركة عنيفة عمياء أسفرت عن انهزام الامام عبد الله وقواته بعد ان قتل منها عدد كبير ومن مشاهير القتلى من أهل الرياض : تركي بن عبد الله بن تركي بن محمد آل سعود وفهد بن سويلم وابن عياف وفهد بن غشيان وقتل من أهل شقراء عبد العزيز ابن الشيخ عبد الله ابي بطين ومحمد بن عبد العزيز بن حسين وعبد العزيز ابن محمد بن عقيل واحمد عبد المحسن السديري أمير الغاط وقتل من مشاهير عتيبة عقاب بن شبنان بن حميد .

ابن الرشيد يطمع بنجد :

لقد أقام ابن الرشيد بعد هذه الوقعة في الحمادة عدة ايام واحضر رؤساء بلدان الوشم وسدير وعين لكل بلد من بلدان الوشم وسدير أميراً ثم رحل منها إلى بلده حائل . وبعد هذه الوقعة دفعه الطمع إلى الاستيلاء على نجد باجمعها . وراح يكاتب رؤساء البلاد بذلك ويبذل لهم المال

بسخاء عجيب !!!

وفي آخر شوال من هذه السنة أرسل الامام عبد الله الفيصل رسالة إلى محمد بن عبد الله الرشيد حملها اليه محمد بن فيصل شقيق الامام فاكرمه ابن الرشيد اكراماً زائداً . ولكن نفسه ظلت جامحة نحو الاستيلاء على البلاد .

وفي أول شهر محرم من سنة ١٣٠٢ عاد محمد الفيصل إلى الرياض حاملا من ابن الرشيد إلى أخيه الامام عبد الله الفيصل هدية غالية وتعهداً بأن يترك له بلدان الوشم وسدير . وكان وضع ابن الرشيد يده عليها كما أسلفنا . فعزل الامام عبد الله من اراد عزله من امراء البلاد وابقى من رغب في ابقائهم . فكثر الخلاف على الامارة وعظم الشقاق وتغلب بعض أهل البلدان على بلدان غيرهم . وضعف أمر آل سعود بسبب تفرق كلمتهم لا سيما في هذه الأيام العصيبة !!!

لقد نزع أولاد سعود بن فيصل وهم : محمد وسعد وعبد الله ، اثر هذه الحوادث المؤسفة إلى الخرج . وقد وقعت بينهم وبين ابن الرشيد عداوة كان سببها ان محمد بن سعود ناصر عمه عبد الله الفيصل فجمع عشائر عتيبة طالباً ابن الرشيد . والتقى الطرفان على ماء عروى ، وبعد قتال لم يدم طويلا . انهزم محمد بن سعود وعاد إلى الخرج .

ودب الطمع في نفوس هؤلاء الفتية ابناء سعود الفيصل فراحوا ينشدون الاستيلاء على الحكم مكان عمهم الامام عبد الله الفيصل فاعتقلوه وسجنوه ، فشجب ابن الرشيد هذه البادرة وراح يدعو لنصرة الامام السجين وجمع الجموع وسار بها نحو الرياض . ولدى اقترابه منها خرج اليه وفد من أعيانها برئاسة الامام عبد الرحمن الفيصل ، للمفاوضة على عدم هدر الدماء ، فقال ابن الرشيد انه لم يقصد بالبيت السعودي أي سوء وانما غرضه انقاذ الامام من السجن وابقاء الحكم في

البيت السعودي .

ولما رأى ابناء سعود الفيصل اجماع كلمة الامة ضدهم لاذوا بكنف ابن الرشيد وعاهدوه على الاخلاص له فأقطعهم الامان على دمائهم واموالهم وعادوا إلى الخرج . أما ولد سعود الفيصل الرابع واسمه عبدالعزيز فقد بقي مع عمه في الرياض .



الفصل الحادي والثلاثون

ابن آلرَّشِيد يحتَل الريَاض

لقد كانت هذه الخلافات بأجمعها ، بين امراء البيت السعودي ، سنداً قوياً لأبن الرشيد في الاستيلاء على ديار نجد برمتها تحقيقاً لاطماعه فيها ، واستغل رؤساء القصيم هذه الفتن ايضاً فاستقلوا بادارة اقليمهم وتولى ابن سليم زمام عنيزة وحسن آل مهنا زمام بريدة ، وكان زوّج ابنته من محمد العبدالله الرشيد . وقام أهل القصيم بعرض طاعتهم على ابن الرشيد فقبلها وابقى الحال على ما هي عليه كما ابقى ابن مهنا اميرا عليها ، بيد ان ابن مهنا ما كاد يشعر بالجاه الذي أصبح يتمتع به حق راح يكيد لأبن الرشيد فغزاه هذا بقوة كبيرة من دياره احتل بها منطقة القصيم بأجمعها وقضى على استقلالها النوعي وفتك بجميع من وصلت يده اليهم من آل مهنا ، وكان ذلك في سنة ١٣٠٨ .

وقد كان محمد الرشيد ، تمكن من احتلال الرياض ، وظهر بمظهر

البطل القوي الظافر ، واخرج الامام عبد الله الفيصل فعلا من السجن وارسله بصحبة اخيه الامام عبد الرحمن الفيصل وعشرة آخرين من آل سعود بشكل اسرى إلى حائل وعين سالم السبهان أميراً على الرياض .

وتفصيل ذلك : ان محمد بن سعود قد استاء جداً من خضوع القصيم لأبن الرشيد وهي من أتباع آل سعود ، فراح يجمع الاهل والأنصار لاسترجاع القصيم ، ونشبت الحرب بينه وبين ابن الرشيد وثبت محمد ثبات الابطال مع العلم أنه لم يسعفه سوى أهل العارض والدرعية ، ولكن هذه الحرب اسفرت عن تثبيت قدم ابن الرشيد في البلاد وانقياد بعض القبائل السعودية لطاعته وموالاته شيئاً فشيئاً .

وقد عقب ذلك غارات متواصلة بين آل سعود وآل الرشيد اظهر فيها محمد بن سعود « ويلقب بغزالان » ثباتاً عجيباً ، وظلت الحال على هذه الصورة إلى أن فاز محمد العبد الله الرشيد على خصومه نهائياً واستولى على الرياض وملحقاتها بعد حصار دام سنتة اشهر ، وقد عقدت قبل التسليم معاهدة بين ابن الرشيد ومحمد بن سعود تقضي باقامته مع اخوته في الخرج باستثناء عبد العزيز فقد كان بين الأسرى الذين ارسلهم ابن الرشيد إلى حائل !!

كما ان وفداً خرج من الرياض ، قبل التسليم ، اجابة لطلب ابن الرشيد ، وكان مؤلفاً من محمد بن فيصل بن تركي والشيخ محمد ابن عبد اللطيف « من آل الشيخ محمد عبد الوهاب » ويرافقهما أمير فتى من آل سعود اسمه عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل وعمره عامئذ لم يتجاوز الحادية عشرة من سنه ، فتفاوضوا مع ابن الرشيد على ان تكون الامارة في العارض للامام عبد الرحمن الفيصل ، ولكنه لم يبر بوعده ولم ينفذ معاهدته ، وقد ادرك بعد مدة وجيزة ان وجود ابناء سعود في الخرج لا يخلوا من خطر في المستقبل القريب أو البعيد ، فأوعز إلى عامله ابن سبهان بقتلهم فأبادهم ، وهم : محمد وسعد وعبد الله

رحمهم الله .

وفاة الإمام عبد الله :

اما الامام عبد الله الفيصل واخوه الامام عبد الرحمن الفيصل فقد اقاما في حائل مدة ليست قصيرة ، واذ استتب الامر لأبن الرشيد سمح لهما بناء على طلبهما بالعودة إلى الرياض ولدى وصولهما توفي الامام عبدالله الفيصل في اليوم الثاني من شهر ربيع الثاني ١٣٠٧ (٢٦ نوفمبر ١٨٨٩) رحمه الله رحمة واسعة .

ولقد تواترت الأدلة في صلب الروايات التاريخية : ان ابن الرشيد اوعز إلى عامله في الرياض ابن سبهان ، بأن يقضي على الخطر المرتقب من الامام عبد الرحمن الفيصل ، فقد كانت جل آماله ان يحرر بلاده النجدية من سلطان ابن الرشيد ، وأن يعيد السلطان السعودي عليها ، فلذا كان يعمل دائماً لاكتساب ما أمكن من صداقة العشائر النجدية لتكون درعه المنيع في الغرض العظيم الذي ينشده لوطنه الغالي السليب .

مؤامرة فاشلة !!!

وراح ابن سبهان يضع الخطط للتخلص من الامام عبد الرحمن ومن تبقى من اسرة آل سعود ، وكان قوام هذه الخطط ، خطة جهنمية غادرة ماكرة ، تستند إلى عادة لم يألفها العرب في ديارهم قط ، وهي الخيانة ونقض العهد ، وكان عيد الفطر على وشك المجيء ومن العوائد المتبعة ان يقوم الحاكم بزيارة آل سعود في قصرهم ، فاراد سالم السبهان ان يستغل هذه المناسبة ، ويباغت الامام عبد الرحمن ويقضي عليه وعلى أنجاله واقربائه الذكور ، بيد ان الامام عبد الرحمن كان حذراً

نديها ولم يغفل قط عن اية حركـة يأتيها ابن سبهان ، وعلم بنواياه وعلى هذا الاساس وضع خطة محكمة لدرء كل مكروه . وحل العيد ، واتى ابن سبهان مع اتباعه إلى قصر آل سعود واجلسوه عن يمين الامام عبد الرحمن الفيصل ، وبعد انتهاء المجاملات المعتادة ، اشار الامام ، من طرف خفي ، إلى اعوانـه بتنفيذ الخطة المتفق عليها ، فتقدمو بسيوفهم الوضاءة ، ودارت المعركة بينهم وبين أعوان ابن سبهان وكانوا على وشك الفتك بالامام ، فاسفرت النتيجـة عن هزيمة اتباع ابن سبهان بعد قتل عدد منهم ، وتمكن ابن سبهان من النجاة بروجه ، ولكنه اصيب بجراح ، واعتقل في السجن ، وسرت البشرى في مختلف انحـاء الرياض بأن الامام عبد الرحمن بن فيصل قد استعاد عاصمة الملك الرياض ! !

لقد علم ابن الرشيد بهذه الوقائـع المفاجئة ، كما علم أهل القصيم بما فعله الامام عبد الرحمن الفيصل بابن سبهان وجماعته ، وكان رؤساؤهم قد اختلفوا مع ابن الرشيد ، فبعثوا الى الامام عبد الرحمن بمبايعتهـم على السمع والطاعة والتعاون التام للقضاء على آل الرشيد ! !

وراح ابن الرشيد يعد العدة لاستعادة نفوذه وسلطانه على الرياض ، وزحف بجيش كبير ، وفرض حصاره عليها عدة اسابيع دون نتيجة ، وكان جمـاعته الشمريون يريدون الاسراع بالعودة إلى ديارهم لتـدبير امورهم في مواسمها ، مما اضطر ابن الرشيد لقبول تسـوية معقولـة تصون كرامته من الانهيار النهائـي ، ورأى الامام عبد الرحمن ان الحكمة تقضي عليه بقبول تسويـة معقولة ، وتنفيذاً لهـــذا الغرض قام بتسليم سالم بن سبهان إلى ابن الرشيد وتم الاتفاق على اجراء مفاوضــات للصلح في حائل ، وعلى هذا الاساس عاد ابن الرشيد بقواته الى بلاده .

وما كاد ابن الرشيد يبتعد عن الرياض ، حتى أخــذ الامام عبدالرحمن الفيصل يجمع الرجال ويشحذ من عزيمتهم لانزال الضربة القاصمـــة بابن الرشيد ، وتم له تأليف جيش من عشائر نجد وانطلق بـه وراء ابن الرشيد ، والامير عبد العزيز بن الامام عبد الرحمن فتى في الثانية عشرة

من عمره ، يركب مطية نجيبة ، مردفاً وراءه أحد العبيد ، والتقى الجمعان ، وتمكن الامير الفتى عبد العزيز من قتل احد أتباع ابن الرشيد بيده ، ودارت المعركة رهيبة دامية ، في العشر الأول من جمادى الأولى سنة ١٣٠٨ ، فتمكن أهلِ القصيم من التغلب على قوات ابن الرشيد ، ولـكن أحـد اعوانـه الدهاقين ارتجل خطة سريعة قلبت وجه المعركة بل حاضر البلاد ، في ذلك العهد بطناً إلى ظهر ! !

لقد اقترح ذلك الدهقان على ابن الرشيد بأن تخرج قواته من المعركة كأنها منهزمة ، فتصل الباديـة الخالية من الاماكن المنيعة والحصينة ، فيظن أهل القصيم انهم انهزموا ، ويلحقونهم ، فتقطع قوات الرشيد ساقة الزاحفين بالفرسان . ورحل ابن الرشيد فعـلا ، وأهل القصيـم يصيحون : لقد انهزم القوم ، ولحقوهم إلى أن ابتعدوا عن مراكـز تموينهم ونقـط دفاعهم ، فاذا بالخيل الشمرية تداهم مؤخرتهم فتبيدها بكاملها ، واسفرت نتيجة المعركة عن مقتل عدد كبير من أهل القصيم ورجـع ابن الرشيد بقواته يعمل قتلا ونهباً بتلك الجموع المنهزمة وكانت هذه المعركة الحد الفاصل بين آل سعود وآل الرشيد ، إلى ان جرت الامور بعكس هذا الحد الظالم الغادر ! !

لقد انسحب الامام ومن معه الى الرياض ، فاقد الوعي من شدة هذه الصدمة التي أصابت ملك آل سعود ، فما كان من ابن الرشيـد إلا انه حاصر الرياض ، مجدداً ، وراح سكانها يتذمرون من الحصار فقد عجزوا عن تحمل أعبائه وطالبوا بأن تسلم المدينة لابن الرشيد ، فتحمل عبد الرحمن الفيصل هذه الصدمة بأعصاب قوية وايمان راسخ وجمع اولاده وحريمه وانسحب بسرعة من العاصمة وتوجه إلى الاحساء ، وكان عاكف باشا متصرفاً عليها من قبل الدولة العثمانية .

وكان أول عمل قام به محمد الرشيد بعد احتلال العاصمة وتعيين حاكم لها هو هدم الجدار المقابل لحائل ، وهو عبارة عن سور منيع وذلك بقصد اضعاف الرياض عن المقاومة .

الإمام عبد الرحمن بالكويت:

لقد عانى الامام عبد الرحمن الفيصل وولده عبد العزيز واخوه محمد وابن اخيه جلوي ومن معهم من آل سعود الأمرين ، في محاولتهم جمع شتات ابناء وطنهم مرة جديدة لاسترجاع الوطن السليب ، وارسل متصرف الاحساء من يفاوض الامام لتسليمه ولاية الرياض شريطة اعلان خضوعه للدولة العثمانية في اعطائها مبلغاً من المال باسم « الخراج » ، ويقول أمين الريحاني في كتابه « نجد الحديث وملحقاته » ان متصرف الاحساء اعتمد في المفاوضة على طبيب لبناني هو الدكتور زخور عازار ، وكان الأمير الفتى عبد العزيز يرافق والده في هذه المفاوضات التي اعتذر الامام عن تنفيذ اغراضها ، ورحل مع أفراد عائلته إلى الكويت ولكن شيخها محمد الصباح منعه من الدخول اليها ، فعاد مع عائلته إلى البادية النجدية واقام لدى بني مرة في الربع الخالي ، ثم لدى العجمان ، وبعدها ذهب إلى قطر واقام وعائلته فيها مدة شهرين ! !

كانت الامور تسير على هذا الوجه في الجزيرة العربية ، ولكن السلطان عبد الحميد اراد ان يثبت وجوده في هذه الاحداث ، فعمل على كسب مودة الامام عبدالرحمن ، واسفرت هذه الرغبة « السلطانية » عن تخصيص مبلغ ستين ليرة ذهبية تدفع للامام شهرياً ، وعلى هذا الاساس قبل شيخ الكويت بالتجاء الامام وعائلته إلى بلاده ، وهكذا كان . إلى ان انقذ الله البلاد على يدي جلالة الملك البطل المغفور له عبد العزيز بن الامام عبد الرحمن الفيصل كما سيأتي ايضاحه في الجزء الثاني من هذا التاريخ العام ذاكراً اهم وادق واخطر المواقع وكثيراً من الاسرار والخفايا التي رافقت العهد حتى يومنا هذا .

مصادر الكتاب

١ – روضة الأفكار والافهام لحسين بن غنام – تاريخ نجد .
٢ – عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر .
٣ – عقد الدر فيما وقع في نجد لابراهيم بن صالح بن عيسى النجـدي الحنبلي .
٤ – فرقة الاخوان الاسلامية بنجد ، لمحمد مغيربي فتيح المدني .
٥ – نجد الحديث وملحقاته ، لأمين الريحاني .
٦ – ملوك العرب لأمين الريحاني
٧ – خلاصة الوفا باخبار دار المصطفى ، للسمهوري .
٨ – قوافل العروبة ومواكبها ، لمحمد جميل بيهم .
٩ – عبد العزيز ، للمؤرخ الالماني داكوبرت فون ميكوش وترجمة الدكتور أمين رويحة .
١٠ – المملكة العربية السعودية وتطورات مصادرها الاقتصادية تأليف « ك. س. توتيشل » وترجمة شكيب الاموي .
١١ – ملك وآمال شعب ، لزينب الغزالي الجبيلي .
١٢ – تاريخ شرق الاردن للفريق فريدريك بيك باشا .

١٣ – دليل اقتصاديات المملكة العربية السعودية لشركة ارامكو عبر البحار .
١٤ – مخالب الاستعمار البريطاني في واحة البريمي العربية السعودية – جمعته لجنة من احرار العرب .
١٥ – من وحي الذكرى – جمعته لجنة من أحرار العرب .
١٦ – الملك سعود بن عبدالعزيز – جمعه عربي .
١٧ – الملك سعود – من احاديثه وخطبه لفؤاد شاكر .
١٨ – سعود في الاردن – منشورات دار الجزيرة في الاردن .
١٩ – الدولة السعودية – للقائد محمد طارق الافريقي .
٢٠ – المملكة السعودية بين الامس واليوم لميشال الياس .
٢١ – ليلة المصمك ، ليوسف ابراهيم يزبك .
٢٢ – نشرات مختلفة – لعبدالله الملحوق .
٢٣ – صدى زيارة شبل الجزيرة لسوريا ولبنان – جمعه فهد المبارك .
٢٤ – الرحلة السعودية الحجازية النجدية – لقاضي القدس المرحوم محمد سعود السعودي .
٢٥ – التاريخ السياسي للمملكة العربية السعودية – للمحامي جمال الدين الشعراني .
٢٦ – زيارتان قام بهما المؤلف شخصياً فتجوّل في مختلف انحاء المملكة العربية السعودية وشاهد وبحث ودقق ودوّن ما يجب درجه في هذا التاريخ .

الفهرست